



البَابُ الثَّانِي

أثر الفكر اليهودي على غلاة الشيعة



obeikandi.com

الْفَضْلُ الْأَوَّلُ

تسرب الإسرائيليات إلى التفاسير ومرويات المسلمين

يذكر ابن خلدون في مقدمته أن أسباب انتشار الإسرائيليات وقصص التوراة والتلمود، يعود إلى كون العرب أمة بداوة متعطشة لعلم أهل الكتاب، ولكونهم أمة أمية لا تقرأ، فقد كانوا يكثرّون سؤال أهل الكتاب، ومن قام أول بهذه العملية اليهود العرب، خاصة من قبيلة حمير كما يذكر؛ وذلك لانتشار اليهودية في حمير قديماً في اليمن، كما ذكرنا، واستغرق بعض المفسرين للقرآن باستعارة المعلومات الواردة عن اليهود فيما يخص مثلاً أصحاب الكهف: عددهم، أسمائهم، واسم كلبهم، ولونه؛ كذلك مثلاً عصا موسى من أي الشجر هي؛ وهكذا...

يمكن تتبع مرويات كعب الأبحار، وعبد الله بن سلام، ووهب بن منبه، وأمثالهم من اليهود العرب الذين دخلوا الإسلام في أوائل القرن الأول الهجري، فنقل المفسرون لروايتهم التي استمعوها مما تعلموه من التوراة، وشروحها من تلمود وميشنا وجيمارا. فتقبلها كثيراً من المسلمين بالقبول والتصديق، ثم اتسع هذا المنهج في العصور اللاحقة، فعم كثير من الفرق الإسلامية، وأخذت تنسب هذه الآراء في تلك الروايات ليست لليهود ومصادرهم، بل ينسبونها إلى أئمتهم وعلمائهم، وقد خصصنا هذا البحث لأثر تلك الأفكار اليهودية على الفكر الشيعي.

وبخلاف ذلك، فقد تأثر بعض اليهود ببعض قواعد الشريعة الإسلامية، وإنه - وإن كانت هذه الفكرة تخرج عن هذا البحث - لكن يحسن بنا الإشارة إليها؛ لإيضاح أن الفكر الإنساني دائماً عرضة للتأثر بما حوله من مؤثرات.

أثر الإسلام على بعض اليهود

لوجود اليهود بين المسلمين وحصول أوقات من الانتعاش العلمي والحرية، فلم تسلم الديانة اليهودية المتأخرة من التأثير بالقواعد الإسلامية. وقد بحث الباحث اليهودي تغتالي منيدر، هذا الموضوع، وخلص إلى أن: كتب فقهاء اليهود في العصور الإسلامية تأثرت أولاً بالترتيب الفقهي، والتبويب الذي سلكه علماء الإسلام.

ولكن أهم الأمور التي سلط عليها الباحث الضوء هو ما قام به ابن ميمون وابنه إبراهيم من إدخال بعض العادات والشعائر الإسلامية في الوضوء، والصلاة، والطهارة مثلاً، فأصبح اليهود يقومون بها بوصفها جزءاً من الديانة اليهودية، وهي لم تكن في الأصل من دينهم، أو أنها كانت قد نسييت وتركت لسبب أو آخر، ومن ذلك غسل الجنابة، والوضوء للصلاة خاصة غسل الرجلين، أو لسبب تمتع اليهود بالحرية في عبادتهم بين المسلمين في ذلك الحين، ألغيت صلاة السر، وأصبحت الصلاة جماعية، وفيها إمام للجماعة، فقد نمت هذه بجهود موسى بن ميمون، وأدخلوا في صلاتهم السجود الذي لم يكن يمارس في اليهودية، وكذلك بسط اليدين في الدعاء^(١).

وفي موضعه من البحث سنسلط الضوء على موسى بن ميمون اليهودي ورسالته إلى يهود اليمن لاتصالها بانتشار اليهودية، بين عرب اليمن، بحيث أصبحوا الجسر الذي عبرت منه التعاليم اليهودية إلى التشيع.

(١) انظر تفصيل ذلك في المقالة التي كتبها الصديق د. هاشم الملاخ: التأثيرات الإسلامية في العبادة اليهودية. مجلة الجامعة، العدد ١١، سنة ١٩٧٣ ص ٣٧٠ وما بعدها. (جامعة الموصل بالعراق).

أثر اليهودية في عقائد الفرق الإسلامية عموماً

مقدمة

لقد تأثرت الفرق الإسلامية بعقائد الأمم السابقة من مجوسية، ويهودية، ونصرانية بشكل عام، وبعض هذه التأثيرات كانت واضحة للدارسين، وبعضها الآخر أدخل خلصة في ثنايا الحجج والادعاءات بين الخصوم.

ولم تخلُ الفرق الإسلامية من التأثير بالديانة اليهودية، وفق مستويات مختلفة، ولما كان هذا البحث طويلاً يخرجنا عن البحث الأساسي هنا، نشير إلى مسألة خلق القرآن بوصفه أحد الأمثلة:

قيل: إن بدعة القول بخلق القرآن، التي جاء بها المعتزلة، وأصبحت عنواناً لمذهبهم الفكري كان أصلها يهودياً، من فكرة خلق التوراة التي نادى بها قديماً لبيد بن الأعصم اليهودي، وقيل: إن أول من صنف في خلق التوراة هو طالوت اليهودي، ختن لبيد بن الأعصم.

وأخذ القول هذا عن طالوت أبان بن سميعان، وأخذ عن أبان الجعد بن درهم، من أوائل شيوخ المعتزلة، وأخيراً وصلت إلى القاضي ابن أبي دؤاد المعتزلي^(١).

وقد رصد ابن خلدون أقوال بعض من أسلم من اليهود، فأدخلوا في تفسير القرآن الكريم ما هو عندهم من شروح وتفسيرات للتوراة. (تساهل المفسرون في مثل ذلك وملؤوا كتب التفسير بهذه المقولات)^(٢).

(١) ابن الأثير: الكامل، ج٧، ص٢٦.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ص٣٦٧.

موضوع الإسرائيليات

تتمحور موضوعات الإسرائيليات في كتب تفسير القرآن الكريم أو الحديث الشريف، حول ما ذكرته تلك المصادر مجملًا، ومقارنته مفصلاً بما ورد في التوراة أو التلمود من ميثنا، وجيمارا، وشروحها، وقد تتجاوز ذلك عند الكذابين إلى إضافات وخزعبلات ومعجزات وخوارق لا يصدقها العقل، بل فيها من اختراع الخيال الإنساني الكثير، وأهم تلك الموضوعات تدور حول:

- ١ - خلق الكون: خلق السماوات والأرض، مدة هذا الخلق، السنة، والشهر، واليوم، وما هي وظيفة السماء، ومم تتكون السماوات وما عددها.
- ٢ - خلق الإنسان: مادة خلق الإنسان، كيفية الخلق هذا؛ زمان ومدة هذا الخلق، أحوال آدم وحواء، وكيف خلقت منه حواء؛ الشيطان وكيف وسوس لهما ودفعهما إلى الأكل من الشجرة المحرمة؛ الصعوبات التي حلت بهما جراء هذا العصيان، دور الشيطان والحية في هذه الخطيئة والغواية، تمحور الغواية حول المرأة وخطيئتها، ما هذه الشجرة المحرمة؛ وماذا أكل منها، كما تذكر أسماء الأنبياء وأقوامهم وما حصل لهم في دعوتهم.

ليس من أهدافنا في هذا البحث الدخول في هذه الموضوعات، وسأترك الخوض فيها إلى العرض الذي سأعرضه حولها من مصادر الشيعة؛ لأن ذلك هو الجديد في البحث، أما مباحث تلك الموضوعات عند السنة فكثيرة هي ومفصلة، تناولها العلماء قديماً وحديثاً، وعلماء المسلمين لم يروا بأساً من رواية الصحيح من الإسرائيليات، وإنما كان عتبهم على نقل أكاذيب أهل الكتاب، على الأنبياء والافتئات على الله سبحانه في الخلق، وذكر الخرافات والخوارق.

الإسرائيليات في كتب التفسير

كتب التفسير أصناف من حيث موقفها من الإسرائيليات، فمنها:

١ - تفاسير تذكر الإسرائيليات بأسانيدها. أي سلسلة روايتها، وتترك للقارئ حرية الحكم على السند والمتن، ومن أمثلتها: (جامع البيان في تفسير القرآن) لمحمد بن جرير الطبري.

٢ - تفاسير تذكر الإسرائيليات بأسانيدها ثم تعقب عليها بالنقد والتمحيص، سواء برفضها بسبب السند أو المتن أو قبولها، فمثلاً لاتفاقها مع ما جاء في القرآن الكريم وهكذا، ومن أمثلة ذلك: (تفسير القرآن العظيم) للحافظ ابن كثير.

٣ - تفاسير تذكر الإسرائيليات دون سند ولا تعقب عليها، بنقد ولا تمحيص، ومن أمثلتها، تفسير مقاتل بن سليمان، الذي حوى الكثير من الخرافات والخوارق الخارجة عن حكم العقل، وقد يذكر سند بعضها، ويكون السند مطعوناً به ولكنه لا يبين ذلك، بل يسكت عن ذلك، ومثله كذلك تفسير الثعلبي، وتفسير الخازن^(١).

٤ - تفاسير تذكر الإسرائيليات، ولكن تنتقدها وتكذب غير الصحيح منها، وتنبه القارئ إلى ما فيها من خرافات وخزعبلات، وتحذر من تصديقها، ومن أمثلتها: تفسير روح المعاني لأبي الثناء محمود شكري الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠ هـ)، ومن هذه التفاسير أيضاً تفسير المنار للشيخ رشيد رضا، الذي ينتقد رواة الإسرائيليات بشكل عام، وفي رأي الذهبي أنه كان عليه أن يبين ويدقق في الراوي، ومدى الوثوق به، حيث

(١) محمد حسين الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث ص ١٨٠-٢٢٠.

أنكر الذهبي على رشيد رضا هجومه على كعب الأحبار، ووهب بن منبه، ولم يمحص مروياتهم الصحيح منها والسقيم، وأن الناس ربما كذبوا عليهم، ونسبوا لهم إسرائيليات لم يذكروها، فصاحب المنار عند الذهبي يطعن حتى في بعض الصحابة الذين نقلوا بعض الإسرائيليات كأبي هريرة^(١).

(١) محمد حسين الذهبي: المصدر السابق، ص ٢١٩، وقد أحالنا الذهبي إلى تفسير المنار، ج ١، ص ٨.

تفاسير الشيعة والإسرائيليات

تفاسير الشيعة كثيرة، سنعرض نماذج للتفاسير التي تعكس أفكار الشيعة الغلاة، ثم نذكر نموذجاً لتفاسير المعتدلين، ولا نريد أن نستغرق في هذا الأمر هنا؛ لأننا سنذكرهم بالتفصيل حينما نستعرض مسألة تحريف القرآن الكريم، وموقف تفاسير الشيعة منها، كما أننا سنستعرض موضوع الإسرائيليات عند الشيعة، حينما نتناول بالتفسير تأثير الفكر اليهودي على آراء وأفكار الشيعة، فتحيل القارئ لهذه المواضع خشية التكرار، ولكن يستحسن أن نذكر هنا في عجالة جملة من تفاسير الشيعة الاثني عشرية والتعريف بها، إجمالاً، فمنها ما نهجت منهج الغلاة وتأثرت بمروياتهم، ومنها ما هو معتدل نسبياً، مع احتفاظه بأركان وأسس الاعتقاد عند الإمامية.

١ - التفسير المنسوب للحسن العسكري من إملاء ابن سيار وابن زياد، يتناول تفسير الفاتحة وأغلب سورة البقرة، وهو يرشح بالغلو لآل البيت، وفيه من المعجزات والخرافات ما لا يصدق العقل، وأكثر تركيزه على عقيدة الإمامة بأنها بالنص لعلي، وأن الإيمان بها هو أساس الاعتقاد، ومن دونها تفسد جميع الأعمال مهما كانت خيرة.

تذكر رواية عن الإمام الباقر، أن اليهود في المدينة كادوا للنبي ﷺ وعللي، منهم مالك بن الصيف، وكعب بن الأشرف، وحبي بن الأخطب، وأبو ياسر بن الأخطب، وأبو لبانة بن عبد المنذر، وقالوا للنبي ﷺ: (لا نؤمن بك حتى ينطق هذا البساط الذي تحتنا، وهذا السوط بيدنا، وهذا الحمار الذي أمامنا! فرد النبي ﷺ: (ألا يكفيكم ما نطق به التوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم بنبوتي، وذكر وصية أخي علي بن أبي طالب، فأنطق الله

الثلاثة بذلك، ومع ذلك لم يؤمن هؤلاء، فنزلت الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة: ٦) ^(١).

يتبين للباحث هنا أن رواة الشيعة قد استخدموا أسماء يهود المدينة والكتب المنزلة لغرض أساسي هو ولاية الإمام علي، وتعضيدها بالتأويل الباطني بالقرآن والكتب المقدسة، فقد كان هذا في متناول اليد، وقريب من أفكار أولئك الرواة.

وإنصافاً للحق فإن كثيراً من علماء الشيعة من رفض نسبة هذا التفسير إلى الإمام العسكري، وتجاهل النقل منه كثير من مفسري الشيعة.

٢ - تفسير القمي: لعلي بن إبراهيم القمي (ت ٣٠٧ هـ)، ومن شيوخ الكليني صاحب الكافي؛ لذا فهو أكثر من النقل والرواية عنه، وأكثر علماء الشيعة الإمامية على توثيق القمي مع ما أورده في تفسيره من تحريف للقرآن الكريم، وأكثر التحريف الوارد عنده متعلق بإمامة علي ابن أبي طالب، حيث يضيف الاسم إلى الآيات، من أمثلة: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾ (يا علي) فيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴿﴾ (النساء: ٦٥)، وهكذا يقحم اسم الإمام علي رضي الله عنه، ويستبدل مكانه ربما المعنى في الآية عيسى ابن مريم.

ويؤول الآيات الواردة عن فرعون وهامان بأن المعني بهما: أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما.

إن القمي ورواته مثل الرواة الآخرين المتأثرين بالأفكار اليهودية الواردة في التوراة وشروحها، ففكرة الرجعة يدل عليها القمي بآيات قرآنية

(١) محمد بن الحسن العسكري: تفسير القرآن، ص ٣٤.

كثيرة في تفسيره منها: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ (القصص: ٨٥) ، وفسر القمي قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ (النحل: ٢٢) أي لا يؤمنون بالرجعة^(١)، وسنتناول الرجعة عند اليهود وعند الشيعة، مقارنة في مصادر أخرى غير تفسير القمي.

والأثر اليهودي على تفسير القمي، وما ينقل من إسرائيليات، حورها رواة الشيعة، ووضعت بفم الأئمة مثل تأويله الآية: ﴿فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (الدخان: ٤) إلى فكرة التفويض إلى إمام الزمان إلى ما كتبه الله للخلائق، ومنها أن الأئمة يعلمون الغيب بدليل الآية: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۖ ﴿٣٦﴾ إِلَّا مَن أَرَزَقْنِي مِن رَّسُولٍ﴾ (الجن: ٢٦-٢٧) ، وأشرك القمي الإمام علي بعلم الغيب مع الرسول ﷺ بدليل هذه الآية^(٢).

كما فسر القمي بعض الآيات أنها دالة على ظهور الإمام القائم مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج: ٣٩) ، وظهور المنقذ آخر الزمان، وأوردتها التوراة كما سنرى تفصيلاً^(٣).

وذهب القمي بالتأويل الباطني إلى معانٍ بعيدة، ولكنها تخدم غرض الشيعة عمومًا، فعند تفسيره لقوله تعالى الموجه صراحة لبني إسرائيل: ﴿لُفْسِدُنَا فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ (الإسراء: ٤) ، إنما يعني بها أمة محمد ﷺ: لأن الإمام الصادق في زعمه قال: (إن القرآن نزل بإياك أعني، واسمعي يا جارة) ، فالعنى ليس بني إسرائيل^(٤).

(١) علي بن إبراهيم القمي: التفسير ج١، ص ٣٨٣، بيروت، مؤسسة الأعلمي ١٩٩١ م.

(٢) القمي: تفسير، ج٢، ص ٣٩٠، وص ١٤ - ٢٠.

(٣) المصدر السابق: ج٢، ص ٨٤ - ٨٥.

(٤) القمي: تفسير، ج١، ص ١٤ - ١٦.

والقمي مثل علماء بني إسرائيل، الذين خصوا اليهود وحدهم بمغفرة الله، وخاصة لعصاتهم، قال في تفسير الآية: ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (طه: ١٠٨)، أن النبي يشفع لعصاة الشيعة، فكلهم يدخل الجنة^(١)، والآية: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ (غافر: ٢)، أنها خاصة بشيعة علي رضي الله عنه. وهذا هو النهج الذي صار عليه شراح التوراة والتلمود من علماء اليهود.

من هو مؤلف تفسير القمي^(٢)؟

هو علي بن إبراهيم بن هاشم القمي من علماء القرن الثالث الهجري، ينسب لمدينة قم في إيران، التي قصدتها المسلمون عند فتح فارس، وسكنها الأشعريون، وكثير من كندة، وكان فيها كثير من الأشاعثة، وكانت موطناً لبعض الغلاة من الشيعة، لدرجة أن أهلها طردوهم منها في ذلك الوقت، لقد كان الأشعث بن قيس من أوائل ولاة هذه المنطقة قبل ولاة الإمام علي رضي الله عنه، حينما تولى الخلافة، ويبدو أن القبائل اليمانية ضاربة السكنى السكنى فيها منذ تمصيرها، روى الكليني عن القمي كثيراً في كتابه الكافي.

والد علي إبراهيم كان كوفياً، وانتقل إلى قم في أواخر القرن الثاني الهجري، ويبدو أنه من نقلة حديث الشيعة الكوفيين إلى قم، ولعلي بن إبراهيم ابن اسمه أحمد، نقل عنه الشيخ الصدوق ابن بابويه القمي الكثير من أحاديث الشيعة، ولعلي بن إبراهيم مؤلفات كثيرة غير هذا التفسير في موضوعات شتى، ومن هذه الكتب: كتاب الشرائع، فضائل أمير المؤمنين، كتاب المغازي، كتاب الأنبياء.

(١) القمي: تفسير، ج ٢، ص ٦٤.

(٢) انظر مقدمة ناشر الكتاب ص ٣-١١، (مؤسسة الأعلمي).

وهذا التفسير عبارة عن روايات أكثرها عن الإمام الصادق أسند القمي الرواية عن أبيه إبراهيم في كثير من الأحاديث.

والرواية عن الصادق تنتهي إلى زياد بن يحيى الأزدي، أما الروايات عن الإمام الباقر فتنتهي إلى أبي الجارود.

يعد هذا التفسير عند كثير من الشيعة الإمامية من الأصول التي قعدت المذهب.

وتفسير القمي يرويه تلميذه أبو الفضل العباس بن محمد بن حمزة، ويقول الناشر: إنه هو الذي أدخل روايات الإمام الباقر التي أملاها على أبي الجارود في أثناء هذا التفسير، كما أضاف بعض الروايات المناسبة عن بعض مشايخه، كما يقول الناشر.

وهذا يعني أن التلميذ قد أدخل نصوصاً جديدة على نص شيخه، ويبدو أن هذا التلميذ هو الذي كتب مقدمة الكتاب، التي تناولت أصول التفسير وقواعده وليته التزم بها. وذلك بعد أن بين مكانة القرآن وما فيه من عبر وحلال وحرام، وما نقله في هذا المعنى من كلام الإمام علي عليه السلام المنسوب إليه، وقال: إن القرآن خاطب الأئمة بقوله: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا (القرآن) لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا (أنتم يا معشر الأئمة) شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ (الحج: ٧٨).

ثم ذكر أن القرآن منه ناسخ ومنسوخ و... ومنه على غير ما أنزل الله... ومنه آيات بعضها في سورة وتماها في سورة أخرى. ومنه... ومنه تأويله قبل تنزيله، ومنه... ومنه رخصة ظاهرها خلاف باطنها، يعمل

بظاهرها، ولا يدان باطنها، ومنه... ومنه مخاطبة لقوم وهو لقوم آخرين، ومنه... ومنه رد على من أنكر المتعة والرجعة، ومنه... ومنه مخاطبة الله ﷻ لأمير المؤمنين والأئمة، وما ذكره الله في فضائلهم، ومنه خروج القائم وأخبار الرجعة... ثم قال: وأما ما كان هو على خلاف ما أنزل الله فهو قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١١٠)، فقال الصادق لقارئ هذه الآية: (خير أئمة) يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين، يريد بذلك، كيف يكونون خير أمة وقد قتلوا أولئك الأئمة! وقال: أما ما هو محرف منه فهو قوله: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ (في علي) وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ. (المائدة: ٦٧). قوله... وأورد جملة من آيات ادعى أنها محرفة.

وذكر أن ما تقدم تأويله على تنزيله، فأية الظهار وآية اللعان معروفة، ثم ذكر أن القرآن فيه ردود على جميع أصحاب المقالات والفرق، وبسط تفصيل ذلك، لكنه لم يذكر أي رد على مقولات الشيعة المعروفة، وإن تعددت فرقتها، مع أنه ذكر الرد من القرآن على المعتزلة^(١).

ثم يأتي نص تفسير القمي بادئاً ببسم الله ثم أحاديث يرويها في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم، وهكذا...

ويبدو أن القمي قد كتب تفسيره قبل استقرار الآراء الفقهية للشيعة الإمامية؛ لأنه يورد الكثير من الآراء على خلاف ما عليه أو ما استقر في مذهب الاثني عشرية، مثل تفسيره للآية: ﴿نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتِ شَتْمٌ﴾ (البقرة: ٢٢٣)، قال: أي متى شتتم، وأن العامة (السنة) قد ذهبوا

(١) انظر مقدمة الكتاب ص ١٣ - ٣٩.

في تفسيرها حيث شئتُم في القبل أو الدبر، وهكذا يدل من القمي، إما على قلة علمه، أو أنه تعمد إصااق التهمة هذه بالسنة^(١).

والقمي يروي عن رجال مطعون فيهم من أصحاب علم رجال الشيعة، أمثال أبو الخطاب، (انظر الرواية عنه في ج ١ ص ١٠٥).

وذكر القمي لتحريف القرآن الكريم كان في مواضع كثيرة خاصة تلك التي تصدق مع عقيدة الشيعة، فمثلاً عندهم أن الأئمة الاثني عشر هم المفضلون عن العالمين عند الله، وحينما يأتي إلى تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران: ٣٣)، يقول: إن ذلك: في وقتهم فقط؛ لأنه قد حصل تحريف وأورد النص الآتي: (قال العالم عليه السلام ننزل وآل عمران وآل محمد على العالمين فأسقطوا آل محمد من الكتاب)^(٢).

(١) انظر مقدمة الكتاب. ص ١٣ - ٣٩.

(٢) المصدر السابق: ج ١، ص ١٠٨.

بعض الإسرائيليات في تفسير القمي

خلق الإنسان

في تفسيره للآية: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ٣٤). ينسب الرأي للصادق: أن الله أمر الملائكة بعد خلق آدم بالسجود له، فسجدوا إلا إبليس، حسد آدم على هذه المكرمة. وكان الله قد خلق في الأرض خلقاً غير آدم، فأفسدوا فيها، فبعث الله الملائكة فقتلوهم، وأسروا إبليس ورفعوه إلى السماء. وقال المؤلف في رواية أخرى: إن الملائكة تعجبوا، واعترضوا كيف يجعل الله في الأرض خليفة من جنس يفسد في الأرض، بينما هم لا يفسدون، أي إنهم يصلحون أن يكونوا خلفاء بدل خلق آدم. فرد الرب إنني أعلم ما لا تعلمون. فأبعدهم الله من العرش، ولكن نزلت عليهم رحمة الله، ووضع لهم البيت المعمور، ليطوفوا فيه، فهو توبة لأهل السماء، ووضع الكعبة توبة لأهل الأرض، وقال المؤلف: إن الله بعد أن تاب الملائكة من اعتراضهم، عزم على خلق آدم، فأخذ غرفة من الماء العذب، فخلق منه الأنبياء والأئمة الصالحين و... ثم أخذ غرفة من الماء المالح، فخلق منه الجبارين وإخوان الشياطين، قال: وشرطه في ذلك البداء، ولم يشترط في أصحاب اليمين.

ثم نسب المؤلف القول للإمام أبي جعفر أنه وجد في كتاب الإمام علي، أن إبليس تحاور مع الرب في طلب غواية بني آدم، وأن يجري بهم مجرى الدم إلى يوم القيامة، فأعطاه الله ذلك.

وأورد رواية أخرى أن آدم اعترض على ما أعطى إبليس من تمكين، وسأل آدم الرب ماذا تعطيني؟ فأجابه الرب: الحسنه بعشر أمثالها، وسيئتمكم بمثلها، والتوبة لك ولولدك حتى تبلغ الحلقوم.

ثم أورد روايات أخرى يعكس فيها أن إبليس هو الذي وسوس لآدم وحواء أن يأكلا من الشجرة المحرمة، طلباً للخلد والملك، فلما أكلأ منها سخط الله عليهما، وسأل جبريل آدم: لم عصيت الله؟ فقال: إن إبليس أقسم بالله ولم أعلم أنه يكذب علي.

كما أورد الكاتب رواية أن موسى سأل أن يجمعه بآدم، فتم له ذلك فسأله: لم عصيت ربك؟ فرد موسى عليه، (بكم وجدت خطيئتي قبل خلقي في التوراة؟ قال: بثلاثين ألف سنة، قبل أن خلق الله آدم قال هو ذلك، قال الإمام الصادق: حج آدم موسى عليه السلام).^(١)

وأورد المؤلف رواية كيف أن آدم حينما جاءه الغم بعد طرده من الجنة، وشكا ذلك إلى جبريل، طلب جبريل من آدم أن يقوم بمناسك الحج لمكة، ويتوب ويدعو، فعرض له إبليس عند العقبة، فأمر جبريل آدم أن يرمي إبليس بعشر حصيات^(٢).

وفي تفسير الآية المتعلقة بطلب موسى لبني إسرائيل أن يذبحوا بقرة. قال المؤلف: إنه كان في بني إسرائيل ولد صالح خطب امرأة، فحسده ابن عمه وقتله غيلة، فجيء بالقتيل لموسى وهم لا يعرفون قاتله. وكان في بني إسرائيل أيضاً؛ ولد صالح لديه سلعة يريد بيعها، وقد حضر المشترون، ولكن

(١) المصدر السابق: ج ١، ص ٥٤.

(٢) المصدر السابق: ص ٥٩.

مفتاح البيت تحت وسادة أبيه النائم، فكره إيقاظه وفات عليه البيع والريح، فلما استيقظ الأب سأل ابنه: هل بعث سلعتك؟ فأخبره أنه كره أيضاً إيقاظه لأخذ المفتاح من تحت وسادته، فأهدى الأب للولد بقرة عنده، ولأجل معرفة موسى للقاتل أمر بني إسرائيل بذبح بقرة، بذات صفات تلك البقرة، فاشتروها بذهب كثير من ذلك الابن الصالح، وطلب موسى بعد ذبحها، أن يضرب بذيلها القاتل، فلما فعلوا ذلك تكلم الميت، وقال: قتلني ابن عمي فلان^(١).

وفي معرض جملة من الآيات قال: إنها نزلت في اليهود منها: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ (البقرة: ٨٠)، عن عذابهم بالنار، قال: أين الأيام التي عبدوا فيها العجل. كما أورد الآيات التي توصم اليهود بتحريف التوراة وهم يعلمون، وذلك لهوى في أنفسهم.

ويضع المؤلف الرواية أن عطاء بمكة، فسأل الإمام أبا جعفر عن الملكين هاروت وماروت، الواردين في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوَتَ﴾ (البقرة: ١٠٢)، فقال: إن الملائكة كانوا ينزلون إلى الأرض، فوجدوا فيها العصيان والكفر والقتل، فضج أهل السماء بما فعل أهل الأرض، فتعجبوا ألا ييغض ذلك الرب سبحانه، فأوحى الله للملكين أن يهبطا إلى الأرض، بعد أن جعل فيهما طبع الشره للطعام والشرك بالله، والزنا، وكل ما جعله من طبع لبني آدم، فهبطا ناحية بابل، فوجدا امرأة وقعت في قلوبهما فراودوها فأبت، إلا أن يسجدا لصنمها، ثم أن يشربا الخمر، ففعلا فدخل عليهم رجل، فطلبت منهم المرأة

(١) المصدر السابق: ج ١، ص ٦٠.

قتله كي لا يضجعها، فقتلاه ثم هربت المرأة، ولم يتمكنوا منها، فقال لهم رب العزة: كيف تشركان بي وتشربان الخمر، وتقتلان الرجل، وتتويان الزنا، وكنتما تعترضان على فساد أهل الأرض، فاختارا عذاب الدنيا، أو عذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا، فكانا يعلمان السحر ببابل؛ ليفرقا بين المرء وزوجه، ولم يزالا في العذاب معلقين في الهواء إلى يوم القيامة^(١).

وفي تفسيره لقوله تعالى حاكياً عن بعض بني إسرائيل الذين قالوا لنبيهم: ﴿أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنْقِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (البقرة: ٢٤٦)، نبيهم، المقصود بقوله إنه إرميا والملك المتسلط عليهم هو جالوت من القبط.

فبعث الله لهم طالوت ملكاً، وكان قوياً ولكنه فقير، فاعترضوا كيف يكون له الملك، ولم يؤت سعة من المال، ولكن الله نبههم أن آية ملكه عليهم، أن يأتيهم تابوت موسى فيه سكينه لهم في الحرب، وهو كما يقول: التابوت الذي وضعت أم موسى صبيها فيه، وبقي عند موسى يضع فيه الألواح، التي أوحى الله له فيها من تعاليم لبني إسرائيل، وقال: إن هذا التابوت أهمله بنو إسرائيل بعد موسى حتى غدا لعدة للصبيان، فرفعه الله إليه ثم أنزله في وقت طالوت.

وأورد المؤلف تفاصيل عن الحرب بين طالوت وجالوت، ولباس أصحاب طالوت درع موسى، وكيف ابتلاهم الله بنهر، وهم في فلاة عطشى، فأمرؤا ألا يشربوا، وقال: إن الذين شربوا من النهر ستون ألف رجل، وهؤلاء هم الذين قالوا: لا طاقة لنا اليوم بجالوت، ثم يورد تفاصيل القتال بالحجارة، وكيف قتل داود جالوت، وانتصروا^(٢).

(١) المصدر السابق: ج ١، ص ٦٦ - ٦٨.

(٢) المصدر السابق: ج ١، ص ٨٨ - ٩١.

وفي تفسيره لآية الكرسي: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ (البقرة: ٢٥٥). يرفع الرواية عن الأصبع بن نباتة عن الإمام علي رضي الله عنه، أن الكرسي أوسع من السماوات والأرض، وأن كل ما فيهما هو في جوف الكرسي، وأن الكرسي يحمل أربعين من الملائكة، أحدهم على هيئة الآدميين، وهو أكرمهم عند الله، والثاني في صورة ثور، وهو سيد البهائم، والثالث في صورة النسر، والرابع في صورة الأسد، وكل يطلب الله الرزق لبني قومه. ويضيف - والكلام منسوب للإمام علي رضي الله عنه - أن الثور كان أحسن الصور، ولذا عبدته بنو إسرائيل، فخفض الثور رأسه استحياء من الله^(١).

ويجاري القمي حقد بني إسرائيل على نبوخذ نصر، وذلك عند تفسيره للآية: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ (البقرة: ٢٥٩)، في تفاصيل طويلة، مفادها أن نبي الله إرميا أمره الله أن يعذب بني إسرائيل الذين عنده، بسبب فسقهم، فقال: إن فيهم الطفل والضعيف، فكيف أفعل ذلك؟ فمر على امرأة بغي تطعم ولداً مرمياً في مزبلة خبزاً منقوعاً بحليب الخنزير، فكان ذلك الغلام؛ هو نبوخذ نصر، الذي سلب على بني إسرائيل وهدم هيكلهم، وفيما بعد أخبر دانيال نبوخذ نصر أنه سيقطله رجل من فارس، وهذا كما تقول رواية القمي: ما حصل حيث قتل نبوخذ نصر وجميع من حوله، فخرج دانيال بين القتلى الكثيرين، وتعجب كيف يحيي الله هذه الأرض بعد تلك المذبحة، فأماته الله مئة عام ثم بعثه، وأراه الله كيف يحيي عظامه وعظام حماره^(٢).

(١) القمي: تفسير، ج١، ص ٩٠ - ٩٢.

(٢) المصدر السابق: ج١، ص ٩٧ - ٩٨.

ويعرض القمي محاورة بين الإمام أبي جعفر، وأحد رجال الدين من أهل الكتاب، يكرر فيها سيادة علم أبي جعفر وشهادة الحبر النصراني على علمه، وأنه من الأمة المرحومة^(١).

٣ - تفسير العياشي

هو محمد بن مسعود العياشي (ت ٣٢٠ هـ) الكوفي السمرقندي، روى عنه الكشي صاحب الرجال، وعند أكثر رجال الشيعة أن العياشي ثقة صدوق، عده النوري من جملة القائلين بتحريف القرآن مثل القمي^(٢)، وقد ذكر العياشي في تفسيره قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أن يكفروا بما أنزل الله بغياً ﴿(البقرة: ٩٠)﴾^(٣) والعياشي على رأي، أن القرآن زيد فيه، وأنقص منه، وينسب ذلك رواية للإمام الصادق، ولو تتبعنا مواضع تحريف القرآن عند العياشي، لطال بنا البحث، وخرج عن هدفه. وقد شابه العياشي شراح التوراة، حينما قام بتأويل كثير من الآيات، للطن في الصحابة عليهم السلام، وخص أبا بكر وعمر رضي الله عنهما^(٤).

كما ذهب في تفسير بعض الآيات لمعانٍ فيها غلو بالأئمة كنسبة معرفة الغيب لهم ومعجزاتهم المكررة في كتب الشيعة^(٥).

(١) المصدر السابق: ج ١، ص ١٠٧.

(٢) حسين النوري: فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب، ص ٢٦.

(٣) العياشي: تفسير، ج ١، ص ٢٣٢.

(٤) العياشي: تفسير، ج ١، ص ٧٢ - ٧٣، وص ٢٥٥ - ٢٥٧.

(٥) العياشي: تفسير، ج ١، ص ١٣، وص ٦٢، وص ٣٣٠، وج ٢ ص ١٤٢.

وستتناول المقارنة بين ما ورد في اليهودية من أفكار نقلها رواة الشيعة، متأثرين بالإسرائيليات وشروح علماء اليهود.

٤ - تفسير التبيان

لمحمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) والطوسي هو تلميذ الشيخ المفيد (ت ٤١٣)، وقد شرح كتاب الفقه للمفيد المسمى (المقنعة)، وسماه كتاب تهذيب الأحكام، وذلك عن طريق جمع روايات الأحاديث الدالة على أبواب الفقه، والطوسي هو مؤلف كتاب الاستبصار، وهذان الكتابان يعدان من الكتب الأربعة (إضافة للكا في ومن لا يحضره الفقه)، وله مؤلفات كثيرة، ولذا سموه بشيخ الطائفة.

وعموماً فإن تفسيره التبيان، يعد من التفاسير المعتدلة، يخلو من الادعاء بالزيادة والنقصان، فلم يتابع شيخه المفيد، حتى إن بعض علماء الشيعة عد تفسير التبيان من مؤلفات الطوسي التي جامل وداهن فيها العامة، وقد صرح الطوسي في تفسيره: أنه لا يحيد عن معاني اللغة العربية^(١)، ولم يجنح أو يساير المتأولين، ولم يدع بأن للآيات معاني ظاهرة وباطنة، كما هو الحال في التفاسير الثلاثة السابقة، التي ألفها شيعة القرن الثالث الهجري التي يتضح فيها الغلو كما عرضنا، وربما يعود سبب اعتدال الطوسي في تفسيره هذا لكونه كان شافعياً حينما كان في طوس (الشهد)، ولما انتقل إلى الكوفة وبغداد والنجف انقلب شيعياً، فتأثر الحكم البويهى للعراق وإيران في هذه المدة، وحين احتلال السلاجقة العراق هرب الطوسي من بغداد إلى النجف، وقد انتهت كتبه أو أحرقت كما قيل.

(١) الطوسي: التبيان، مقدمة الكتاب في الجزء الأول ص ١٥-١٧.

ولا شك أن الطوسي قد تعرف إلى تفاسير علماء الشيعة قبله، التي يقول فيها مؤلفوها بالهوى والتشهي، يقول الطوسي: (ينبغي لمن تكلم في تأويل القرآن أن يرجع إلى التاريخ، ويراعي أسباب نزول الآية، على ما روي، ولا يعول على الآراء والشهوات) ^(١)، ولا يفهم من هذا أن الطوسي يتخلى عن أركان عقيدة الشيعة الإمامية الاثني عشر، خاصة تلك المتعلقة بالإمامة، يذكر الطوسي أن سبب نزول الآية: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ (الزخرف: ٥٧)، أي يصدون عن ولاية علي عليه السلام، كما يراها الطوسي ^(٢).

٥- كنز العرفان في فقه القرآن

للمقداد بن عبد الله السيوري الحلي (من علماء القرن التاسع الهجري)، وهذا التفسير خصه كاتبه بالأحكام الفقهية فقط، وفيه انتصار لأفكار الشيعة الاثني عشرية في كيفية الوضوء (مسح الرجلين)، ومسألة الطلاق الثلاث في مجلس واحد يعد طلاقاً واحدة، وهو مبدأ معروف ومشهور في الفقه الجعفري. وفي ذلك أيضاً الحكم بنجاسة أهل الكتاب، نجاسة عينية لا حكمية؛ لأنهم مشركون، وكل مشرك يعد كافراً، ويدخل في ذلك كل من أنكر الإمامة إذا بلغته وجوبها عليه بالنص، ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ (التوبة: ٢٨).

وفي الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦)، الصلاة واجبة في أثناء الصلاة المكتوبة على الرسول صلى الله عليه وآله، وعلى الأئمة، أما في غيرها فمستحب.

(١) المصدر السابق: ج٩، ص٣٢٥.

(٢) المصدر السابق: ج٩، ص٢٠٩.

وهذه من الزيادات التي زادها الشيعة الاثنا عشرية على الصلاة المكتوبة وجوب الصلاة على الأئمة المعروفين عندهم، وهو لم يقله بقية المسلمين، ويعلل الكاتب ذلك لأنهم معصومون مثل الرسول ﷺ^(١).

٦ - تفسير شبر

وهو للسيد عبد الله شبر (ت ١٢٤٢ هـ). وهذا التفسير وإن لم يساير أقوال الشيعة في تحريف القرآن الكريم صراحة، إلا أنه ينتصر لمبادئ الاثني عشرية في التقية والرجعة والإمامة والعصمة... إلخ، ففي تفسيره للآية ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ (آل عمران: ١٠٤)، أي ولتكن منكم أئمة وهم الاثنا عشر، كما يساير شبر التفاسير التي تطعن في الصحابة، وخاصة الخلفاء الراشدين، والسيدة عائشة رضي الله عنها، فالآية المتعلقة بليلة القدر: ﴿نَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ (القدر: ٤)، تنزل الملائكة على النبي، والأوصياء بعده. والآية القائلة: ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ (المعارج: ١)، أي بعذاب واقع بالمنافقين، الذين أنكروا يوم الغدير ولاية علي رضي الله عنه^(٢).

٧ - تفسير الصافي

وهو لمحمد بن المرتضى المدعو بمحسن، انتهى من تأليفه سنة ١٠٧٥ هـ، جمع فيه مؤلفه أقوال الغلاة من الشيعة، وخاصة ما تعلق منها بتحريف القرآن الكريم، ثم رجع في ذلك لكتب التفاسير قبله، وكتب الحديث أيضاً، وفي تفسيره

(١) كنز العرفان في فقه القرآن: المقداد بن عبد الله الحلي. ص ٨ - ٢٢، ص ٧٠ - ٨٠.

(٢) تفسير شبر: السيد عبد الله شبر، ص ٩٦ - ٩٧، ص ١٤٥ وما بعدها، ص ٢٣٨، ص ٢٠٤، ص ٥٣١، ص ٥٦٢.

هجوم على صحابة الرسول ﷺ، ويرميهم بالنفاق، ويدعي أن مصادره في التفسير ترجع إلى الأئمة الاثني عشر.

وذكر أن المنافقين أسقطوا الكثير من القرآن، وقد رُفِىَ بعض الأماكن سقوط ثلثه، وقد رد على بعض علماء الشيعة القائلين بتمام القرآن وعدم تحريفه، أمثال الشيخ الطوسي والصدوق والطبرسي، وينقل آراء من سبقه من المفسرين الشيعة^(١)، خاصة تفسير القمي، وما ورد فيه من القول بتحريف القرآن الكريم.

٨- البرهان في تفسير القرآن

وهو لهاشم البحراني (ت ١١٠٧ هـ)، يرى البحراني أن القرآن الكريم لم يجمعه أحد كما أنزل إلا الأئمة، وفي هذا التفسير آراء للغلاة من مفسري الشيعة، وقد نهج منهج المتأولين الباطنيين، فقد ذكر رواية عن الإمام الصادق بأن القرآن قد نزل بـ (إياك أعني واسمعي يا جارة)، وهذا سبيل من سلك من الشيعة بالهجوم على الصحابة ﷺ أجمعين، وركز المؤلف كثيراً في تأويل الآيات الصالحة للاحتجاج، لإمامة سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وتفضيله بل والمغالاة فيه، والقول: إن الظالمين قد اغتصبوا حقه.

وتفسيره الباطني بعيد إلى درجة مثلاً يفسر آية: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُنَا فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ (الإسراء: ٤)، أي أنتم يا معشر أمة محمد ﷺ. وأما تفسير: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ (الفاتحة: ٧)، فهم الشكاك في دين الشيعة. ويقوم بتحريف الآيات مثلاً، فيقول: (كتاب علي لا ريب فيه)، زاعماً الآية هكذا أنزلت^(٢).

(١) تفسير الصافي: محمد بن المرتضى، ج١، ص ١٨ - ٢٠، وص ٣٠، ج٢، ص ١٣٣.

(٢) البرهان في تفسير القرآن: هاشم البحراني، ص ١٥ - ٢١، وص ٣٤ - ٣٧، ص ٤٧ - ٥٢.

٩- تفسير (الميزان في تفسير القرآن)

وهو لمحمد حسين الطبطبائي، وهو من التفاسير الحديثة، وهو أقرب للاعتدال منه إلى الغلو، مع أنه يورد بعض الروايات التي كان أصحابها يستدلون بها على التحريف، ولكنه يوردها على سبيل البيان والتفسير، أي إنها ليست من نص القرآن، بل هي تأويل له وإيضاح، ولما كانت الولاية ركن عند الاثني عشرية من أركان الدين، لا يصح دين المسلم إلا بها، فإن الكاتب يستغرق في تأويل الآيات التي سبقه مفسرو الشيعة في تأويلها، على أنها دالة على ولاية الإمام علي عليه السلام، فعنده مثلاً طاعة الله والرسول واجبة، أما أولو الأمر فهم الأئمة الاثنا عشر، فهم أولو الأمر المعصومون في الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩).

وصاحب الميزان يورد الروايات الإسرائيلية، ولكنه كغيره من علماء الإمامية ينسبها إلى الأئمة خاصة الإمام الصادق، وهذا هو شأن تفسير القمي، ويستخدم الرواية هو ورواته الذين ينقل عنهم في الاحتجاج لولاية وعصمة الأئمة، ففي موضوع أكل آدم من الشجرة المحرمة، ومحاولة آدم الحصول على الخلد، قال: إن الله قال لآدم ارفع رأسك. فنظر آدم إلى الساق فوجد مكتوباً عليه اسم علي بن أبي طالب عليه السلام، وفاطمة وبقية الأئمة!

وهكذا فإن الروايات الإسرائيلية التي نجدها مثلاً في تفسير الطبري وابن كثير نجدها هنا محورة كثيراً، منسوبة للأئمة، ويدخلون فيها معاني وأقوالاً لم يسبقهم أحد إليها، وذلك لمجرد الانتصار لرأي المذهب في الإمامة.

والروايات الإسرائيلية مثلاً عند الطبري وغيره حينما يتحدثون عن تأويل الآية: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَةً فَثَبَّ عَلَيْهِ﴾ (البقرة: ٣٧)، فإن صاحب

الميزان كغيره ممن سبقه من الاثني عشرية يقول: إن الكلمات التي تلقاها آدم بالتوبة بعد أن سأل بحق محمد وعلي والحسن والحسين، فشفع الله لأدم بهم، وغفر له خطيئته^(١).

١٠ - التفسير الكاشف

وهو لمحمد جواد مغنية، وهو تفسير حديث ابتعد فيه صاحبه عن الغلو المعهود في تفاسير الشيعة، وقد التزم فيه الأخذ غالباً بالمعنى الظاهري الذي تقتضيه قواعد اللغة العربية، وعمد إلى تفسير القرآن بالقرآن، كمنهج إذا أمكن ذلك، وألا يرجع إلى الأحاديث الثابتة عن الأئمة، مع ابتعاده عن روايات الغلاة والأساطير غير المعقولة، التي لا يتحملها الزمن الحديث، وقد مرت على علماء الشيعة السابقين، على شكل روايات عن الأئمة من رواة كذبة، مع الأسف يكذبون على الأئمة، وينقلون عن التراث التوراتي، كما هو مبين في هذا البحث.

والاعتدال واضح في منهج المؤلف، فهو حينما يتعرض لتفسير الآية: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ (البقرة: ١١٣)، قال: هذه أمم تكفر بعضهم بعضاً، فما بال المسلمين اليوم يكفر المسلم أخاه المسلم، وهو يتلو كتاب الله سبحانه، وذكر وجوب التأسّي بالإمام علي بن الحسين زين العابدين، حينما دعا للمهاجرين والأنصار بالرحمة، وكأن الكاتب يرد على من يقول من الشيعة بكفر وردة أكثر الصحابة من المهاجرين والأنصار.

(١) تفسير الميزان: للطبائبي ج١، ص ٩ - ١٢، ص ١٤٤ وما بعدها.

ولكون موضوع الإمامة والولاية ركن في الدين عند الاثني عشرية، فإن الكاتب لا يخرج عن هذا المفهوم العام حينما يتعرض للآيات المتعلقة بأولي الأمر، أما تلك التي تشير في رأيه إلى الإمامة، ويبدو أنه يعتقد بما أورده من حديث منسوب للإمام علي عليه السلام عن القرآن الكريم: (ذاك القرآن الصامت وأنه القرآن الناطق). وهو يعتقد بعصمة آل البيت وإمامتهم كما هو في المذهب^(١).

من هم رواة الإسرائيليات

يبدو أن نقلة الإسرائيليات من رواة القرن الأول الهجري، كانوا قلة؛ لعدم الانشغال كثيراً في تفسير القرآن الكريم والكتابة فيه، بخلاف الحديث الذي اتسع نقله وكتابته في أواخر القرن الأول وما بعده، ونقلة الإسرائيليات من الصحابة قلة، وهم بلا شك عدول صادقون، وما نقلوه يعد غاية علمهم ومعرفتهم، أما من التابعين فكانوا في العدد أكثر؛ لاتساع النقل ودخول الناس في الإسلام وتوالي الفتوح، وهذا أمر طبيعي، وسنلقي الضوء سريعاً على حملة الإسرائيليات عموماً، ولكن البحث سيركز على بعض رجال الشيعة الذين نقلوا الإسرائيليات، وتأثروا بها في رواياتهم ومدوناتهم.

ثم عموماً أثرت اليهودية على التشيع وليس الإسرائيليات وحدها، فهي فرع صغير من الأثر اليهودي على بعض المسلمين.

إن نقلة الإسرائيليات منهم الثقات الذين ينقلوه ما قرؤوه صحيحاً، وقد يكون عندهم رأي ثاقب في رد هذه الإسرائيليات وتكذيبها، أو ربما

(١) التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية، ج١، ص ١٦ - ٣٥، ص ١٨٠، ١٩٦ - ٢٠٠.

السكوت عنها؛ لعدم قدرتهم على الحكم عليها، وقد يكون الرواة أولئك من الكذبة الذين يسخرون الإسرائيليات لمقاصدهم الفكرية، لإقناع الآخرين وتبني وجهة النظر اليهودية، ومن هنا تأتي الخطورة على ثقافة الأمة وعلومها، حيث يتزايد بعض الرواة، فيزيدون من عندهم أفكاراً على تلك الإسرائيليات، معززين وجهة نظرها، وهذا ما حصل عند بعض الفرق الإسلامية، وخاصة عند بعض فرق الشيعة، حيث سنأتي على تفصيلها.

من الصحابة

١ - عبد الله بن عباس (ت ٥٨ هـ)

كانت سن ابن عباس حين وفاة الرسول ﷺ بين العاشرة والثالثة عشرة، على اختلاف الروايات، وكان ذكياً من بيت النبوة لا يرد سائلاً، اشتهر بالعلم والجرأة في الفتيا، ولهذا تعرض إلى نقل الإسرائيليات عن علم بمصادرها، ولكن يبدو أن المنسوب لابن عباس من الإسرائيليات كثير ربما لم يقله، وإنما تقوله عليه بعض الرواة، والكتاب في العصر العباسي؛ تقريباً لسلطان بني العباس؛ لأنه جدهم.

تذكر الروايات أن مصدر ابن عباس، كان أبو رافع القبطي، مولى رسول الله ﷺ، وقيل مولى للعباس بن عبد المطلب، أسلم أبو رافع قبل غزوة بدر، ولم يشهداها.

روى عنه ولده رافع وتوفي بالمدينة، ولا يبعد أن يكون علم ابن عباس بالإسرائيليات، من أبي رافع ذي الأصل النصراني، ومن بعض الصحابة خاصة أبا هريرة رضي الله عنه، المشهور في نقل الإسرائيليات، فقد نسب إليه الكثير^(١).

ذكر الشيخ محمد أبو شعبة عن مرويات ابن عباس أن فيها الصحيح والحسن والضعيف، بل الموضوع شيء كثير^(٢). ونشير إلى أن الضعف أو الكذب لم يأت من طرف ابن عباس رضي الله عنه فهو ثقة، ولكن العلة منصبة على من نقل

(١) ابن حجر: الإصابة في معرفة الصحابة، ج٤، ص٩٢، وج٧، ص٦٥.

(٢) محمد أبو شعبة: الإسرائيليات والموضوعات، ص٩٠، القاهرة ١٩٨٤.

من ابن عباس من جهة، أو من روى تلك الإسرائيليات من مصادرها الأصلية، وهو يعلم بفسادها، وكذب أصحابها، وأنها مجرد خرافات، وشأن ابن عباس هذا شأن كثير من الصحابة والتابعين الذين نقلوا أو رَووا تلك الإسرائيليات.

٢ - عبد الله بن عمرو بن العاص

هو من صفار الصحابة سناً أسلم قبل أبيه، قيل: إنه كان يقرأ التوراة، وذكر أنه كان يعرف اللغة السريانية، اشترك في معركة اليرموك، وغنم حمل بعيرين من كتب أهل الكتاب، حيث استهواه ما فيها من علوم وأخبار، وهذا مصدر واضح لنقله للإسرائيليات^(١).

٣ - عبد الله بن سلام

أصل اسمه الحصين بن سلام بن الحارث اليهودي الإسرائيلي، ويكنى بأبي يوسف، سماه رسول الله ﷺ عبد الله بن سلام وبه اشتهر، وكان حبراً لليهود في المدينة قبل إسلامه، فهو ضليع بعلم التوراة والإسرائيليات، وقد حسن إسلامه، وقيل: إن الآية الكريمة: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَنَامَنَ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ﴾ (الأحاف: ١٠)، نزلت فيه، إن عبد الله بن سلام لم ينسب له رواية عن النبي ﷺ، ذكر فيها إسرائيلييات، وإنما روي عنه هو مباشرة قصص وأحداث وردت في التوراة، وهذه إن كانت إسرائيلييات، لكن ابن سلام صحيح فيما نقل ثقة، ولكن ابن سلام لم يدع إلى بدعة وردت في الإسرائيليات، أو أنه تبنى رأياً يهودياً مخالفاً لما عليه القرآن والمسلمين، وهذا شأن الصحابة جميعاً.

(١) ابن حجر: الإصابة، ج٤، ص ١١٤.

٤ - أبو هريرة: هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي^(١)

قدم على الرسول ﷺ من اليمن، وأسلم عام خيبر، عن ثمان وعشرين سنة، وصحب رسول الله ﷺ وكان فقيراً معدماً، أكثر الحديث عن الرسول ﷺ، فرد عمر وعثمان وعائشة بعض مروياته، وقيل: إنه كان يروي عن الصحابة في كثير من الحالات، وليس عن الرسول ﷺ مباشرة. ذكر أنه كان يصارع في المسجد من شدة الجوع، وذكر أن أبا هريرة لا يكتب، وأنه كان يروي الكثير؛ لأنه كان يسأل عن الكثير، يسأل الرسول ﷺ، ويسأل من عنده علم من الصحابة رضي الله عنهم، ولا شك أنه كان صادقاً عدلاً، ولكنه كأي بشر يعتريه ما يعتري أي إنسان من ضعف ومرض وشيبة ونسيان، وكان أبو هريرة يسأل كعب الأحبار الذي قدم من اليمن بحصيلة كبيرة من العلم بالاسرائيليات، ومن كثرة ما تعلمه أبو هريرة من أخبار التوراة، فقد شهد له كعب الأحبار، حسبما تنقل بعض الروايات، أنه برغم عدم قراءته للتوراة فهو عالم بما فيها، حسبما نقل الذهبي في تذكرة الحفاظ. توفي أبو هريرة عن ثمان وسبعين سنة، وهذا العمر المديد يفسر كل رواياته.

(١) الذهبي: تذكرة الحفاظ. ابن سعد: الطبقات، ج٢، ص٢٦٤

رواة الإسرائيليات من التابعين

١ - كعب الأحبار

هو كعب بن ماته الحميري اليمني، قدم المدينة من اليمن في خلافة أبي بكر، وقيل: بل عمر رضي الله عنه، وفيها أسلم وكان يهودياً، ولهذا ينسب بالأحبار، وقد والى العباس بن عبد المطلب، اتصلت صحبته بأبي هريرة الذي أخذ عنه كثيراً من الإسرائيليات، وأخبار التوراة كما قدمنا.

ثم أيضاً هو صاحب لابن عباس هو الآخر مهتم بعلم كعب ورواية الإسرائيليات كما قدمنا، وقد قيل: إن كعباً أسرف في رواية الإسرائيليات، ووجد حوله أناس متعطشون للعلم لا سابقة لهم، في علوم أهل الكتاب ^(١)، قيل: إنه إضافة لخته لقراءة القرآن فإنه كان يختم قراءة التوراة، في ستة أيام ويدعو من يسمعه في يوم ختمها، حيث يدعي نزول الرحمة، وربما نسب له آراء غير معقولة، مثل سؤال معاوية له: أنت الذي قلت: إن ذا القرنين يربط خيله بالثرى؟ فرد عليه بالآية: ﴿وَأَيُّنَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾ (الكهف: ٨٤)، ولم يقل: إن ذلك وجدته عند أهل الكتاب ^(٢)، وقد شهد كعب الأحبار بغزارة العلم الصحابي أبي الدرداء فقال: (إن عند ابن الحميري لعلماً كثيراً)، بينما تذكر بعض الروايات أن عمر رضي الله عنه هدده بالنفي إلى أرض القردة.

٢ - ابن أبي فروة الأزدي

مختلف في اسمه، قيل: هو أبو الجلد الجوني (حي من الأزدي)، وقيل: اسمه جيلان بن فروة، كما ورد في بعض المصادر: أبو الخلد غيلان بن فروة،

(١) ابن سعد الطبقات، ج٧، ص٤٤٥، وما بعدها.

(٢) محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات، ص١٤٤ - ١٤٥.

ذكر أنه قرأ كتب اليهود والنصارى، وقد طعن بعض رجال الحديث بروايته عن رسول الله ﷺ، وقيل: إن ابن عباس كان يسأل عن بعض الأمور^(١)، وربما تعدى السؤال إلى الإسرائيليات، ما زال عالماً بالتوراة والزبور كما ذكر، وذكر المستشرق جولد زيهر أن ابن عباس كان يسأل أبوفروة عن الإسرائيليات، وأن ابنة أبي فروة ذكرت أن أباهما هو الذي يختم القرآن في سبعة أيام، وبالتوراة في ستة؛ طلباً للرحمة^(٢).

٣ - عامر بن عبد الله بن عبد القيس العنبري

تذكر المصادر علمه بالتوراة وعلوم أهل الكتاب وشغفه في روايتها، ونقل عنه أنه يتشبه بإبراهيم الخليل، فلا يأكل اللحم ولا السمن، وهو أمر قد ورد في شروح التوراة، ويعد كعب الأحبار من شيوخه، وقد شهد له مالك ابن دينار، أنه راهب هذه الأمة مع معرفتهم لا رهبانية في الإسلام^(٣).

٤ - وهب بن منبه الصنعاني (٣٤ هـ - ١١٤ هـ)

قيل: إن أصل أبيه فارسي من هراة، أرسل إلى اليمن في جيش كسرى، وعلى كل حال يبدو أن علم وهب بن منبه بالإسرائيليات واليهودية عمومًا كان في اليمن لإشاعة علوم اليهود فيها، كما ذكرنا، ونقل عنه أنه يذكر عن نفسه أنه جمع علم عبد الله بن سلام وكعب الأحبار، ذكر له كتاب في القدر، وربما بث من خلاله كثيرًا من الإسرائيليات.

(١) ابن حجر: الإصابة، ج٤، ص ١٨٢.

(٢) محمد حسين الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص ١٠٧، ص ١٠١.

(٣) ابن سعد: الطبقات، ج٧، ص ١٠٤ و ص ١١٠. الذهبي: تذكرة الحفاظ، ج٢، ص ١٠٢.

ويذكر أنه أسرف في رواية الإسرائيليات، وهي مبثوثة في كتب التفسير والحديث والمغازي والملاحم التي نقلت عنه، وكما هو معلوم فإن الذين شغلوا بالقول بالقدر كانوا متأثرين بما عند اليهودية من أقوال حول الموضوع، وقيل: إنه رجع عن القول بالقدر، ووثقه بعض المحدثين^(١).

٥ - مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ)

رواياته أكثرها مبثوثة في تفسير القرآن الكريم؛ ولذا سمي بالمفسر، أشار ابن خلكان إلى أن أكثر المحدثين لا يوثقونه، وأنه كان يفسر القرآن الكريم بما جاء عن اليهود والنصارى صراحة، قال عنه أبو حاتم: إنه يأخذ من اليهود والنصارى، ونسب له بعض الأقوال في تشبيه الخالق على ما عند اليهود، قال عنه الذهبي: إنه متروك الحديث، ونقل عن الشافعي أنه يوثق تفسيره، توفي مقاتل سنة ١٥٠ هـ في البصرة^(٢).

٦ - محمد بن إسحاق بن يسار

أسرف ابن إسحاق في رواية الإسرائيليات، خاصة المتعلقة بخلق السماوات والأرض وتواريخ الأنبياء وأخبارهم، مفسراً بذلك ما ورد مجماً عن ذلك في القرآن الكريم، قال الذهبي: إنه كان يحدث عن أهل الكتاب، اتهمه بعض المحدثين بالتدليس، وأنه كان يحدث عن يهودي اسمه يعقوب، ويبدو أنه متأثر بما عند اليهود من تشبيه للخالق تعالى الله عن ذلك، نقل عن الإمام مالك أنه كان يعد ابن إسحاق كذاباً، ويبدو أن لملك رأياً في نفي ابن إسحاق وطرده من المدينة، وقد اتهم ابن إسحاق بأنه يتشيع وينسب له

(١) محمد أبو شهبة: الإسرائيليات والموضوعات، ص ١٤٨.

(٢) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٢٥٦، الذهبي: الميزان، ج ٤، ص ١٧٥.

القول بالقدر، وأنه يدلّس في الحديث، ولكن قبل كثير من الرجال روايته في المغازي والسير، ولكنه ليس حجة في الحلال والحرام^(١).

ذكر أن ابن إسحاق يروي عن أبي الزناد، وهو متهم عند الإمام مالك، وهو الذي يروي عنه: (أن الله خلق آدم على صورته) وهذا نص قد ورد في التوراة وشروحها عند اليهود، ويظهر لنا في كثير من المصادر السنية القديمة والشيعة خاصة عند من يسمون بالمشبهة أو المجسمة الذين سنذكرهم في هذا البحث.

٧ - ابن جريج: وهو عبد الملك بن عبد العزيز (٧٠ هـ - ١٥٠ هـ)

قيل: إنه من أصل رومي، وهي إشارة إلى نصرانية أصله، وهو عند المحدثين مدلس، أي يسقط الراوي عن الرسول ﷺ، لا يذكره، وإنما يذكر من بعده ممن لم يروا الرسول ﷺ ولم يسمعوا منه، ضعفه الإمام أحمد، كان يروي حليّة المتعة، وقيل: إنه تزوج كثيراً من النساء متعة، وإنه كان يحتقن طلباً للمتعة، وقد سكن ابن جريج البصرة، وأكثر الطبري في تفسيره من نقل الإسرائيليات عن ابن جريج^(٢).

٨ - الواقدي: هو محمد بن عمر المدني

صاحب تصانيف كثيرة في التاريخ والمغازي والفتوح وأخبار الردة، تذكر بعض مصادر الشيعة بأنه سيئ الحفظ حتى في القرآن الكريم، كما توثق رواياته، ومنها، أن علياً رضي الله عنه، معجزة من معجزات الرسول محمد ﷺ، كما العصا لموسى وإحياء الموتى لعيسى، وتعد هذه المصادر من أوائل الشيعة.

(١) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١، ص٢٢٦.

(٢) الذهبي: ميزان الاعتدال، ج١، ص١٧٣.

أما رجال السنة فلم يوثقوه: قال عنه أبو حاتم: إنه كان يروي معضلات (لا تصدق)، وقال الذهبي: مجمع على تركه، وقال عنه المديني: إنه من الوضاعين للحديث، وقال عنه البخاري: متروك الحديث، وإنه مدني سكن بغداد، وعند أحمد أنه كذاب، وعند أكثر محدثين أنه متروك الحديث، ونقلوا عن الشافعي، أن كتب الواقدي كلها كذب^(١).

٩ - لوط بن يحيى الأزدي الغامدي أبو مخنف

ذكره النجاشي^(٢) في رجاله وقال: إنه صنف كذباً كثيراً في المغازي وهو في الكوفة، وتعد بعض المصادر الشيعية أن أبا مخنف الغامدي من جملة رجال الشيعة^(٣)، وتذكر المصادر أن أباه كان من أصحاب الإمام علي عليه السلام، وقيل: إن جده مخنف كان صحابياً شهد الجمل مع علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو حامل راية الأزدي حيث توفي فيها سنة ٣٦ هـ، هذا وقد توفي أبو مخنف لوط سنة ١٥٧ هـ، وقد نقل عنه الطبري في تاريخه وابن الأثير في الكامل في التاريخ.

لكن علماء الرجال السنة لم يوثقوا أبا مخنف: قال عنه ابن حجر: إخباري تالف لا يوثق به، تركه أبو حاتم وغيره، وقال عنه يحيى بن معين: ليس بثقة، وقال عنه الدارقطني: ضعيف، وقال عنه ابن عدي: شيعي محترق، وذكره العقيلي في الضعفاء من الرواة^(٤).

(١) ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج٩، ص٣٦٣، وما بعدها.

(٢) النجاشي: رجال، ص٢٢٤.

(٣) محسن الأمين: أعيان الشيعة، ج١، ص١٢٧.

(٤) الذهبي: ميزان الاعتدال، ج٢، ص٣٦٠.

١٠ - ابن السائب الكلبي

هو هشام بن محمد بن السائب بن بشير الكلبي. تذكر مصادر الشيعة أن أباه محمداً كان من أصحاب الإمام الباقر، كتب ابن السائب في المقاتل بين المسلمين، كما كتب في المثالب، كما يعد أكثر مصادر الشيعة ابن الكلبي، وأباه من أصحاب الأئمة الباقر والصادق^(١).

ذكر أنه كوفي عالم بالأنساب، قيل: إن جده كان مع علي في الجمل وصفين، كما ذكر أن السائب قتل في جيش مصعب بن الزبير، وقيل: إن أباه محمداً شهد موقعة الجمام مع ابن الأشعث ضد الجيش الأموي، وهو كوفي يؤمن بالرجعة، كان الإمام الصادق يقربه إليه، وذكر أنه أصابته عكة، نسي العلم بعدها، فشكا ذلك للصادق فسقاه كأساً أعادت إليه ذاكرته كما يدعي^(٢).

أما مصادر السنة فتقول عن الأب محمد: إنه من كذابي الكوفة، مثله مثل السدي، قال عنه البخاري: تركه يحيى بن معين وابن مهدي، ذكر أنه قال عن نفسه: أنا سبئي، وروي عنه حديث منكر، يتعلق بالوحي إلى رسول الله ﷺ، وفي أثناء ذلك قام من مقامه، فجلس علي بن أبي طالب رضي الله عنه مكانه يوحى إليه، ورجال الحديث مجمعون على ترك حديث محمد ابن السائب، ورواياته مبثوثة في التفاسير، خاصة الإسرائيليات، توفي الأب محمد بالكوفة سنة ٤٦ هـ، ولكنه عند الجميع (السنة) متروك الحديث، وعند بعضهم أنه كذاب، وابنه هشام ينقل عنه ولهذا لم يوثق هشام، ويعدّه الإمام أحمد صاحب سمر ونسب، أما حديثه فمتروك، غير ثقة، يحدث عن أبيه الذي ينسب لابن عباس تفسيراً لم يصح، وإنما هو من الإسرائيليات^(٣).

(١) الطوسي: رجال، ص ٢٨٩.

(٢) النجاشي: رجال، ص ٣٠٥.

(٣) ابن حجر: التهذيب، ج ١، ص ١٧٨، وما بعدها.

وهناك أسماء يهود دخلوا الإسلام، ثم ارتدوا، ولم يتم تسليط الضوء عليهم من قبل المؤرخين، لكشف أدوارهم في ترويج الإسرائيليات، ودس القصص الخرافية والمقاصد المضمرة، في تمزيق الأمة وتكوين الفرق ذات المقالات المنكرة، فمن ذكر هؤلاء عبد الله بن سوريا الأعور القطيوني، أنه أسلم، ثم ارتد إلى يهوديته^(١).

وقد أكمل القصص دور المروجين للإسرائيليات، حيث ذكر أن بعض القصص كانوا يجلسون في المسجد، يسمعون الناس بعض القصص والسير في تاريخ السابقين، وعن هذا الطريق تدخل الإسرائيليات في قصصهم، خاصة إذا تعرضوا لقصص الأنبياء، وهي كثيرة في القرآن والتوراة وشروحه، ذكر ممن جلس في المسجد في المدينة القاضي تميم بن أوس الداري في عهد عثمان رضي الله عنه، وذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قد نهاه عن ذلك، وقيل في رواية: إنه قد استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك فأذن له، وقد أدى القصص دور سياسياً بين أصحاب علي ومعاوية رضي الله عنه، كل يأتي بما يؤيد موقف صاحبه من الناحية السياسية.

وقد اشترك في هذه الحلبة، وكانوا فرسانها من سمي بمسلمة العرب، من يهود ونصارى عرب، دخلوا الإسلام وكانوا على علم سابق بعلوم التوراة، فكانوا عاملاً مساعداً في نشر الإسرائيليات، والزيادة عليها من خيال القصص، حيث تلقفها بعض الرواة على أساس أنها جزء من العلم، فكتبوها أو رووها للآخرين، وبمرور الوقت أصبح لها موضع في التراث في بيئة عربية متعطشة لمعرفة العلم، بعد استقرار من البداوة إلى الحضارة، كما يقول ابن خلدون.

(١) ابن هشام: السيرة، ج٢، ص١٧٦، محمد حسين الذهبي: الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص٢٤، ١٩٨٤.

obeikandi.com

الفصل الثاني

من آثار اليهودية على الفكر الشيعي المغالي

إن ابن بابويه القمي (ت ٣٨١) فيما يبدو هو أو رواته على علم بما في التوراة، فهو ينقل عن بني إسرائيل أن من علامات تقبل القربان عندهم أن تأكله النار^(١)، كما يورد روايات يبدو فيها متأثراً بما عند اليهود في كون الذبيح هو إسحاق وليس إسماعيل، وأن إسحاق كان قد تمنى أن يكون حقاً هو الذبيح، فسماه الله ذبيحاً لصدقه وصبره، وذكر ابن بابويه أيضاً أن أنبياء بني إسرائيل كانوا يجأرون بالتلبية بالحج، وأن موسى فعل ذلك عند صفائح الروحاء، بل إن سليمان حج البيت في الجن والإنس^(٢).

بل حتى موعد السفر عند ابن بابويه يستحب أن يكون يوم السبت، فإن لم يتمكن فيوم الثلاثاء؛ لأنه اليوم الذي ألان فيه الحديد لنبي الله داود^(٣)، وعلى هذا النسق يشير ابن بابويه في كتابه واضعاً ما أمكنه العلم الذي ينقله عن الأئمة، مسنداً لما كان عليه الحال في بني إسرائيل واليهود، حتى استحباب أخذ العصا عند السفر (إشارة لعصا موسى)، وأن إبراهيم وإسماعيل كانا قد روضا خيل العرب بعد أن كانت وحشية^(٤).

ويبدو أن الشيعة أو بعضهم كانوا يخالطون اليهود والنصارى في مجتمعهم، فقد أورد ابن بابويه في كتابه السالف جواز أن ترضع اليهودية أو النصرانية أو المجوسية الصبي^(٥).

(١) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص ٢٨٣.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٩٢ - ٢٩٣.

(٣) المصدر السابق: ص ٣٠٧.

(٤) المصدر السابق: ص ٣٢٨.

(٥) المصدر السابق: ص ٥٩٤.

وقد استعار الشيعة ما ذكر عند اليهود بالتابوت الذي كانوا يحملونه معهم، وفيه تعاليم الألواح، يحملونه خاصة في الحروب، تبركاً وطلباً للنصر، وقد استعار المختار الثقفي في ثورته بالكوفة على الأمويين كرسيّاً، ادعى أن الإمام عليّاً عليه السلام كان يخطب عليه، وأخذ جيشه يحمل الكرسي؛ كما كان اليهود يحملون التابوت، طلباً للسكينة والنصر، وقد وردت أحاديث كثيرة في كتب الحديث عند الشيعة تشبه السلاح الذي عند الإمام بالتابوت عند بني إسرائيل، وأنه علامة للملك والإمامة^(١).

ومن الغريب عند الشيعة الإمامية قولهم: إن الإمام الغائب إذا ظهر فسيملاً الأرض عدلاً، ويحكم بشريعة سليمان وداود، لا يسأل البينة، وهذه استعارة صريحة وضعت من فم الإمام الصادق، ادعوا أنه قالها^(٢)، وفيها إعلاء شأن بني إسرائيل وشريعتهم، وأن القرآن شريعة العرب لا تصلح حينذاك.

وكأنما يود الشيعة لو أن الإمام عليّاً عليه السلام أخذ بشريعة موسى وعيسى صراحة: أورد الكليني حديثاً عن أبي بصير^(٣)، عن رسول الله ﷺ، أنه خاطب علي بن أبي طالب عليه السلام: «أن فيك شبهاً من عيسى ابن مريم، ولولا أن تقول فيك طوائف من أمتي، ما قالت النصراني في عيسى ابن مريم، لقلت فيك قولاً لا تمر بملاً من الناس إلا أخذوا التراب من تحت قدمك يلتمسون بذلك البركة...»^(٤).

(١) انظر ثورة المختار في كتابنا جذور التشيع. وانظر الكليني الأصول، ص ١٣٦.

(٢) الكليني: الأصول، ص ٢٣٦.

(٣) الحديث مكذوب، وأبو بصير الشيعي ليس في عصر الرسول ﷺ.

(٤) الكليني، المصدر السابق، ص ٦٩٩.

وينقل الطبرسي في كتابه الاحتجاج مناظرات بين رجال الشيعة وعلمائهم، وبين بعض رجال الدين من أهل الكتاب، تدل هذه المناظرات على اطلاع رجال الدين الشيعة على تعاليم اليهودية والنصرانية، وبعض هذه الاحتجاجات وضعت في فم الأئمة لإعطائها وزناً أكبر، ومن تلك المجادلات ما تقبله الطبرسي من احتجاج الإمام الرضا على الجاثليق، في أمور قد أقرتها نصوص التوراة في صالح الرسول ﷺ أو تعاليم الإسلام عموماً، أريد بها الانتصار خاصة لدعاوي الشيعة بخصوص الإمامة، والبداء، ومعجزات الأئمة من إحياء الموتى...^(١).

وينقل علي بن إبراهيم القمي في كتابه (تفسير القمي) تأويله للآيات القرآنية، الواردة في سورة البقرة الخاصة بنبوّة موسى عليه السلام، وتنزيل الألواح في طور سيناء، وعبادة بني إسرائيل العجل، ينقل تفصيلاً وشرحاً من أفكار اليهود الواردة في شرح التوراة المتعلقة بتلك الأحداث، أو إيراده القصة التي دارت في بني إسرائيل، عن طلب موسى منهم أن يذبحوا بقرة، وما مبررات أن تكون بقرة بعينها، موصوفة بتلك الصفات الواردة في القرآن^(٢).

وفي تفسير القمي هذا تفاصيل وخرافات عن سوء منبت نبوخذ نصر، منذ كان طفلاً ترضعه أمه الزانية من حليب الخنزير كما يدعون، ولا شك أن كل ذلك من آثار كراهية اليهود لنبوخذ نصر الذي هدم أورشليم، ويذكر

(١) الطبرسي: الاحتجاج، ج٢، ص٤١٧ - ٤٢٤.

(٢) علي بن إبراهيم القمي: تفسير القمي، ج١، ص٦٠، بيروت ١٩٩١م، وهو من علماء القرن الثالث الميلادي، كان أبوه كوفيّاً، ورحل إلى قم بعد سنة ٣٣٩هـ تقريباً، وعلي يروي عن أبيه إبراهيم، والكليني روى عن علي هذا، والظاهر أنه وأباه من ناقلي الفلو الذي دخل على التشيع في إيران.

تفاصيل عن أنبياء بني إسرائيل، إرميا، ودانيال، وعلاقة كل واحد بمأساة هدم أورشليم^(١).

وهذه القصص والأساطير سبق أن سطرها علماء بني إسرائيل في شروحهم للتوراة والتلمود، خاصة التلمود البابلي، وهؤلاء الرجال يغرفون من ذلك الميراث عن علم أو عن جهل.

وتوضع هذه القصص والمجادلات للانتصار غالباً للإمام الصادق، وإظهار خصمه النصراني أو اليهودي غير ذي علم، بينما المعلومة أساسها قد ورد في شروح التوراة مثل سؤال الصادق للنصراني عن رجلين من بني إسرائيل، حملتهما أمهما في رحم واحد، ووضعتهما في ساعة واحدة، وماتا في ساعة واحدة، ودفنا في ساعة واحدة، وفي قبر واحد؟ قال: هما عزيز وعزيرة^(٢).

والعتب ليس على الشيعة وحدهم، فجميع الفرق الإسلامية عرفت من إناء واحد، ولكن كل فرقة تؤول النقل حسب مرادها، والشيعة دائماً معروفون بالتأويل لصالح إمامة سيدنا علي عليه السلام وأولاده وعصمة الجميع، ومعرفتهم العلوم وخلقتهم من طينة غير تلك التي خلق منها بقية البشر.

وفي تفسير القمي للآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ (البقرة:

١٦١)، نزلت في أعداء آل محمد عليهم السلام، ويقصد بهم مجموع الصحابة والسنة أو النواصب منهم، وأما قوله تعالى في ذلك: ﴿لَنْ نَّأْلُوا الْبَرِّحَىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ (آل عمران: ٩٢)، أي حتى تردوا على آل محمد كلهم من الخمس^(٣).

(١) القمي: تفسير، ج١، ص ٩٥-٩٧.

(٢) المصدر السابق: ج١، ص ١٠٧.

(٣) القمي: تفسير، ج١، ص ١١٥.

وإذا كان علماء الشيعة القدماء أمثال القمي عاشوا في عصر الجهالة، بالنسبة إلى عصرنا الحاضر، فما بال بعض العلماء الشيعة ينشرون وينقلون في خطبهم ومقالاتهم ويرددون تلك القصص والخرافات نفسها والاحتجاجات غير المقبولة؟

يستغرق علماء اليهود قديماً في شرح ما ورد في باب التكوين من التوراة، فيضيفون على النص تفاصيل من اجتهاداتهم، فيفصلون أن الله في كل يوم من أيام الأسبوع خلق كذا من خلقه أو كونه، ففي يوم الأحد للخلق، والإثنين والسبت عطلة، وفي تفسير علي بن إبراهيم القمي للقرآن حينما يفسر الآية: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ (هود: ٧)، ذكر القمي أن الله خلق الهواء، ثم القلم ثم الظلمة والنور، ثم الماء والعرش... ثم بدأ يفصل خلق الأشياء حسب أيام الأسبوع، فذكر خلق السماوات والأرض والملائكة يوم الخميس، وخلق الأرض يوم الأحد، وخلق دواب البر والبحر يوم الإثنين، والشجر والأنهار يوم الثلاثاء، وخلق الجان يوم السبت، وخلق الطير يوم الأربعاء، وخلق آدم في ست ساعات من يوم الجمعة^(١)، وعند ابن بابويه أن يوم السبت عطلة (راحة الخالق)^(٢) كما في التوراة.

ولم يبال رواة الشيعة ومصنفوهم؛ حينما ينقلون تلك التفاصيل عن أصحاب العلم الأول، كما سماهم الإخباريون العرب، لم يبالوا حتى في تلمس نقل الصيغة اللغوية، التي تلفظ بها نبي الله نوح مثلاً حينما اشتد الطوفان، وتاهت السفينة، قال القمي: (فرغ نوح يده، فقال: يارهمان اخفرس وتفسير

(١) القمي: تفسير، ج ١، ص ٣٢٣.

(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج ٢، ص ١٨٠.

أحسن)، ويستغرق في تفصيل قصة الطوفان، واضعاً تلك التفاصيل قولاً في فم الأئمة^(١)، وعلى هذا المنوال يسير القمي في تفسير سورة يوسف، وما فيها من تفاصيل وجدوها في شروح التوراة المتراكمة على مر السنين^(٢)، ومفسرو الفرق الأخرى يفعلون الشيء نفسه، ولكن الفرق أن الشيعة يضعون هذه التفاصيل على شكل أحاديث ينسبونها إلى الأئمة، في حين ينسب الآخرون غالباً تلك التفاصيل والنقول إلى رواة من العرب اليهود أو النصارى الذين أسلموا، أو ينقلون مباشرة من شروح التوراة، ويعترفون أنهم وجدوها هكذا عند أصحاب العلم الأول (أهل الكتاب)، إن أكثر تفاسير علماء الإسلام حينما يتعرضون إلى اسم الذبيح من ولد إبراهيم يقولون: إنه إسماعيل، لكن الناقلين من كتب اليهود مباشرة، يتابعون اليهود في قولهم: إن الذبيح هو إسحاق، وهكذا فعل علي بن إبراهيم القمي في تفسيره، حينما تعرض لتفسير الآية: ﴿يَبْنِيْ اِيَّيْ اَرَى فِي الْمَنَامِ اَنِّيْ اَذْبَحُكَ﴾ (الصافات: ١٠٢).^(٣)

ابن بابويه القمي المسمى بالشيخ الصدوق (٣٨١) والمولود بالري كتب كتابه، علل الشرائع، فكانت موروثات الفكر اليهودي المضمنة في شروح التوراة والتلمود معيناً عذباً، ففي ذكره العلة التي من أجلها عبدت النار بلا شك، كان يستطيع أن يذكر السبب الشائع، بين الفرس في عبادتهم الزرادشتية للنار المتعلقة بالنور والظلمة، لكنه وجد في شروح التوراة أن هاويل حينما قدم قربانه الجدي المشوي بالنار تقبل منه، بخلاف قابيل الذي قدم قليلاً من الحبوب، إذن النار كانت سبباً مقدساً لقبول القربان، لكن ابن بابويه جعل

(١) القمي: تفسير، ج١، ص ٣٢٩.

(٢) القمي: تفسير، ج١، ص ٣٤٠.

(٣) القمي: تفسير، ج٢، ص ١٩٧.

قاييل أيضاً يوقد النار التي عبدها الضالون مثل قاييل قديماً^(١)، لكن فكرة النور وقداسته تظل في الفكر الشيعي المغالي الذي يستمد أصوله من التراث الزرادشتي القديم، فيرجع ابن بابويه ويذكر أن العلة في تفضيل الأئمة الإثني عشر على الملائكة، أنهم خلقوا من نور قبل خلق الملائكة^(٢)، ومن هنا جاءت ضرورة المزج بين التراث اليهودي، والتراث الزرادشتي الفارسي.

وينقل ابن بابويه في علل الشرائع عن بعض رواته أنهم ينقلون أو يروون مباشرة من صحف موسى بن عمران^(٣)، أن ابن بابويه ورواته بارعون في سد الباب على الفرق التي أباحت نكاح المحارم، ممن انتسب للإسلام بفارس قديماً، وذلك لرجوعه إلى علة زواج أبناء آدم من أخواتهم من أول الخليقة، وللهروب من ذلك ابتدع ابن بابويه ورواته القول: إن الله أرسل من جنته حوريات إلى كل من شيث ويافت كي يتزوجوهن، وإن جميع بني آدم من تلك الزيجة^(٤).

ورواة الشيعة يعكسون حقيقة أخذهم من التراث اليهودي وعموم أهل الكتاب، بل يضعون ذلك من عمل أئمتهم؛ لأنهم قد ورثوا علم أهل الكتاب، وما في الصحف الأولى، ففي حديث يرويه ابن بابويه عن الصادق أنه (صحفي) أي يقرأ ما في الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى، وحديث آخر يحتج به على أبي حنيفة في مسألة القياس، ويسأله هل ورث شيئاً أو علماً مما في الصحف الأولى، حتى يتصدى للإفتاء بالكوفة ويستعمل القياس^(٥).

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج ١، ص ١٣ مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٨٨ م.

(٢) المصدر السابق: ج ١، ص ١٦.

(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج ١، ص ٢٤.

(٤) المصدر السابق: ج ١، ص ٣٢.

(٥) المصدر السابق: ج ١، ص ١١١ - ١١٢.

وأخذ الشيعة عند اليهود العرب من الرواة يظهر واضحاً في كثير من مروياتهم، ومن أمثلة ذلك يتردد اسم عبد الله بن سلام، وما يرويه عنه ابن بابويه، في علل الشرائع^(١). ومرات أخرى يروي ابن بابويه في علل الشرائع عن يهودي دون ذكر اسمه^(٢)، وفي بعض الأحيان بعد أن يذكر ابن بابويه تلك العلوم التراثية القديمة، ينسب إلى الإمام أبي جعفر مثلاً: (وجدناه في كتاب من كتب علي عليه السلام)^(٣)، كما يروي ابن بابويه عن وهب بن منبه قوله: (إنه وجد في التوراة كذا وكذا...) ^(٤)، ويسرد ما فيها من شروح اليهود.

والشيعة تعد الرسول محمداً ﷺ يقرأ ويكتب، وإنما سمي بالأمي نسبة إلى أم القرى مكة، فإذا كان يقرأ ويكتب فنحن نسأل ماذا كان يقرأ ويكتب؟ إن هذا التصور سهل على رواة الشيعة وعلمائهم نسبة العلوم والمعرفة إلى الرسول ﷺ وإلى الأئمة بعده^(٥)، ومن ثم يسهل عليهم نسبة علوم أهل الكتاب وما فيها من علوم نقلوها من مصادرهما أن تكون تلك العلوم معروفة ومقروءة للنبي ﷺ، مع أن القرآن الكريم يقول: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَا تَنَابَ الْمُبِطْلُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٨)، ورواة ابن بابويه يودون، فيما يبدو من أسألتهم التي سطرها المؤلف، لو أن الرسول ﷺ كان مثلهم يقرأ ما في الصحف الأولى، لتأييد ما جاء به، فقد سأل الرواة إمامهم عن قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ (يونس: ٩٤)^(٦)، وينقل

(١) المصدر السابق: ج ١، ص ١١٧.

(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج ١، ص ١١٩.

(٣) المصدر السابق: ج ١، ص ١٣١.

(٤) المصدر السابق: ج ١، ص ١٣٤.

(٥) المصدر السابق: ج ١، ص ١٥١.

(٦) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج ١، ص ١٥٦.

ابن بابويه القمي عمن رواه أن بعض الناس وجدوا كتابة غير عربية على حجر فجاؤوا بها إلى وهب بن منبه، فترجمها لهم وكان مدلولها، يحث على الزهد في الدنيا^(١).

وينقل ابن بابويه القمي عن رواته، أنهم وجدوا في أوراق وهب بن منبه أن ذا القرنين فعل كذا وكذا، تفاصيل مما وردت في شروح التوراة، ثم قال: إن ذا القرنين بعد أن سار عشرين سنة: (إذ وقع على الأمة العادلة الذين هم قوم موسى، الذين يهدون بالحق وبه يعدلون.)^(٢).

وينقل ابن بابويه القمي، أسماء أنبياء بني إسرائيل وما يقابلها بالعربية، فيقول: إن إسرافيل هو يعقوب، ويوشع هو ذو الكفل، (انظر يهود العراق)، والخضر هو إرميا، ويونس هو ذو النون، وعيسو هو المسيح عيسى^(٣). وهذا يدل على صريح النقل والعلم بما في التوراة وشروحها من قبل أولئك الرواة.

ولكون موضوع ولاية الإمام علي رضي الله عنه، ووجوب الإيمان بها ضرورة للمذهب، فقد أوردت المصادر القديمة عند الشيعة، أن ولاية علي رضي الله عنه والنص عليها مذكورة في جميع الصحف المنزلة من الله^(٤)، وتهتم مصادر الشيعة خاصة القديمة منها بنقل أو ما روي من أحاديث أو أسئلة دارت بين رجال يهود، مثل عبد الله بن سلام، أو مجموعة من اليهود قامت بطرح أسئلة على الرسول ﷺ^(٥).

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج٢، ص١٧٦.

(٢) المصدر السابق: ج٢، ص١٨٤.

(٣) المصدر السابق: ج٢، ص٣٢١.

(٤) المفيد: الاختصاص، ص١٨.

(٥) المفيد: الاختصاص، ص٣٣، ٤٣.

وهذه المرويات تلقاها كثير من علماء الشيعة بالقبول، رغم الطعن الوارد على روايتها عند محدثي الشيعة أنفسهم، فعلى سبيل المثال ينقل الشيخ المفيد في كتابه (الاختصاص)، مرويات جابر بن يزيد الجعفر، وبريدة العجلي، ووزارة بن أعين وغيرهم، ولم ينكر عليهم مقولاتهم المغالية في الأئمة، بل مدحهم بوصفهم أول من أظهر علم الأئمة، بعد أن كان الرواة يخافون نشره^(١).

ويبدو أن إدخال اليهود أو علمائهم في أسئلة موجهة لأئمة الشيعة، يعزز في رأي الرواة والعلماء، أحقية هؤلاء الأئمة بالعلم؛ لأن اليهود هم أصحاب العلم الأول، وهم أهل المعرفة، فإذا صادق اليهود على أقوال الأئمة، أو ما ينقل فقد تعزز رأي الفقيه الشيعي وأعطاه ثقلًا علميًا كبيرًا، فهنا الشيخ المفيد محمد بن محمد بن نعمان (٤١٣ هـ)، ينقل في كتابه (الاختصاص)، إجابات طويلة لليهودي سأل الإمام علي رضي الله عنه، وكلها من المسائل التي يريد المفيد أن يتعزز فيها رأي الشيعة مثل دعوى وصية النبي ﷺ لعلي ومعجزات كثيرة، تدفع في رأي المفيد القارئ أو المتلقى لتصديقها^(٢)، ويسند الشيخ المفيد للراوي (مثلًا رفاعة) عن الإمام الصادق مباشرة أن في التوراة كذا وكذا^(٣)، بل يصدق الشيخ المفيد ما ورد في التوراة حتى في تكفيرها للملك نبوخذ نصر^(٤)؛ لأنه عند اليهود هو الذي هدم أورشليم وسبى اليهود، وجاء بهم عبيدًا إلى بابل.

(١) المفيد: الاختصاص، ص ٦٦.

(٢) المفيد: الاختصاص، ص ١٦٣ - ١٧٠.

(٣) المفيد: الاختصاص، ص ٢٢٦.

(٤) المفيد: الاختصاص، ص ١٦٥.

إن علماء الشيعة القدماء حاولوا بناء رابط وصلته بين رهبان المسيحية ورجالهم، فرواية الشيخ الطوسي في أماليه تذهب إلى درجة أن الراهب الذي قابله علي عليه السلام بعد رجوعه من حرب الخوارج، بارك نزول الإمام علي عليه السلام وجيشه حول تلك الصومعة، قائلاً: إنها أرض لا ينزلها إلا نبي أو وحي، فهل أنت أصلع قريش؟^(١)، وفي موضع آخر يظهر الطوسي الجدل بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما من جهة، وجاثليق النصارى القادم من نجران، بكثير من ضعف حجة الاثنين حتى يأتي الإمام علي عليه السلام فيباشر الكلام مع الجاثليق الذي يظهر له علو الشأن والمعرفة والتصديق^(٢).

ذكر البرقي في كتابه (كسر الصنم) عدم صحة أحاديث الكايفي، وأن روايتها مطعون فيهم عند رجال المذهب نفسه، وقد حصرت أكثر من مئة وعشرين راوياً من بينهم رواية الكايفي في كتابي جذور التشيع، وأوضحت أسباب الطعن في هؤلاء الرواة في نظر رجال حديث الشيعة الإمامية، ولكن من وثق الكايفي ادعى أن الكتاب عرض على الإمام الغائب، فاستحسنه وقال: كافٍ بشيعتنا.

ولا أدل من أن رجال الشيعة كانوا يلتمسون في أفكارهم وردودهم على خصومهم ما كان عند الأمم السابقة من يهود ونصارى: ذكر الكليني أن هشام بن الحكم احتج في الدفاع عن أفكاره ضد خصمه (عمرو بن عبيد إن صح النقل) فلما عرض هشام حجته على الإمام الصادق، رد عليه الإمام: (هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى)، إذن القوم يأخذون من

(١) محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، ص ٢٠١ - ٢٠٣.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٢٣.

علوم التوراة والتلمود وينسبون لها بوضوح إلى الإمام^(١)، وحتى أولئك الرواة الذين ربما يسمعون من إمامهم علمًا لا ينقلونه كما سمعوه، إنما يزدون عليه أو ينقصون، حسب مقتضياته. روى الكليني في الكافي أن أحدهم سأل الإمام الصادق (أسمع الحديث منك، فأزيد أو أنقص؟...) (٢).

(١) الكافي، الأصول: ص ٩٦، الأعلمي، بيروت ٢٠٠٥ م.

(٢) الكافي، الأصول: ص ٣٣.

أفكار وإسرائيليات يهودية استعارها التشيع

مقدمة

١- لا بد من نبي يخلف موسى، ولكل نبي خليفة إلى جانبه في حياته، فكان خليفة موسى هو يوشع بن نون عليهما السلام، وهكذا^(١).

وقد استعار الفكر الشيعي من اليهودية القول: إن علياً هو وصي محمد ﷺ في حياته وخليفته من بعده، وقالت الشيعة: إن الأرض لا تخلو من إمام ظاهر أو مستور (إمام غائب)، ولو خلت الأرض منهم لساخت.

٢- إن كثيراً من الرواة الذين وصمتهم كتب الرجال عند الشيعة بالغلو والكذب والارتفاع، هؤلاء كان سبب غلوهم وكذبهم أنهم ادعوا على الأئمة أقوالاً اقتبسوها أو سمعوها من أهل الكتاب، وزحفت هذه الأقوال على أحاديث تلقفها مدونو الحديث دون تمحيص، ونستعرض هذه الأفكار وقربها مما قاله أهل الكتاب.

فدعوى صالح بن محمد الهمداني القائل: إن الإمام أبا جعفر هو الرب، أو دعوى سعيد بن طريف الإسكافي بأن الإمام الصادق لم يمت، وإنما غاب وسيرجع فإنما هو المهدي^(٢). كما أن أفكار الخطابية والمفضل بن عمرو الجعفي (جماعته وأفكار النصيرية نسبة إلى محمد بن نصر النميري الفهري) الذي ادعى أن الإمام علي بن أبي طالب ﷺ هو الإله، وأن النميري هو النبي، هؤلاء وأضرابهم قالوا بكثير من الآراء المشابهة لما

(١) فان فلوتن، أحزاب المعارضة، ص ١٧٢.

(٢) النوبختي، فرق، ص ٨٧.

عند أهل الكتاب يهوداً ونصارى، وقد تسلت أحاديث هؤلاء إلى كتب حديث الشيعة وتراثها مبثوثة في الكتب القديمة خاصة، مثل الكافي والتهذيب، ومن لا يحضره الفقيه وكتاب المحاسن^(١) و... غيرها.

ذكر الكشي في رجاله أن محمد بن سنان شكا إلى الإمام الرضا وجعاً في عينه، فأرسله إلى الإمام أبي جعفر، فجعل يرفع رأسه ويقول: ناخ ناخ، فذهب كل وجع في عينه، فقال ابن سنان لأبي جعفر: جعلت فداك شيخاً على هذه الأمة، كما جعل عيسى ابن مريم شيخاً على بني إسرائيل^(٢).

٣- فكرة توحيد الله: يؤمن الشيعة بكيفية المسلمين بوجود إله واحد معبود فرد صمد لم يلد ولم يولد، وقد تواتر النقل من رواة الشيعة والإمامية خاصة على وحدانية الله سبحانه وتعالى والنهي عن الإشراك به^(٣). وقد أفرد كثير من فقهاء الشيعة الإمامية كتباً كاملة في التوحيد^(٤). لا مجال لبسطها، لكن روايات الغلاة، وهي استثناء بطبيعة الحال يرى فيها الدارس خروجاً على أصل التوحيد وتفسيراً يخرج عن مقتضى المعنى الواضح، وما ذلك إلا اجتهاد من هؤلاء الرواة للاحتجاج لعقيدة المذهب وتمييزها عما يقوله الآخرون. فبرغم وضوح الآية القرآنية في التوحيد القائلة: ﴿لَيْنَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبُطَنَّ عَمَلُكَ﴾ (الزمر: ٥٦)، مقتضى التفسير الواضح والظاهر حسب قواعد اللغة العربية أنها تعني: إن أشركت بالله إلهاً آخر فإن عملك مهما كان حسناً فإنه غير مقبول. جاء في تفسير القمي أن الآية تعني: إن

(١) النويختي، فرق، ص ٤٠ وما بعدها.

(٢) الكشي، رجال، ص ٥٨٢-٥٨٣. (مع اختيار معرفة الرجال للطوسي).

(٣) كتاب توحيد المفضل: للمفضل الجعفي.

(٤) القمي، تفسير ج ١ ص ٢٥١. المجلسي، البحار ج ٢٣. ص ٣٩١. الكليني الكافي ج ١ ص ٤٣٧.

أشركت في الولاية غيره^(١). يعني إن أشركت مع.... في الولاية غيره فقد كفرت، وهكذا أدخلوا تأويل الشرك بالولاية مع أن النصوص المتعلقة بالشرك بالقرآن لا تذكر ولاية ولا علاقة لها بذلك. وهذا التأويل البعيد شجع أبا الخطاب والغلاة أضرابه إلى تأويل أبعد من ذلك، فقد نقل عنه تأويل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ (الزمر: ٥٥)، يعني إذا ذكر الإمام علي وحده. ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ يعني فلاناً وفلاناً، يعني بذلك أبا بكر وعمر رضي الله عنهما. وقد تبرأ الصادق من هذا التأويل حينما نقل إليه^(٢). إذا الولاية لها أهمية كبيرة في العقيدة الشيعية تقرب من أن تكون صنواً للتوحيد، فمن لا يؤمن بولاية علي رضي الله عنه وبقية الأئمة المنصوص عليهم عندهم فهو في مرتبة من أشرك بالله. وذكر الطوسي في أماليه عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (لوجاء أحدكم يوم القيامة بأعمال كأعمال الجبال، ولم يجئ بولاية الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه لأكبه الله عز وجل في النار). ونقل هذا كثير في التفاسير وكتب الحديث^(٣). والمناقض له أو المخفف لهذه الغلواء أيضاً يرد في بعض التفاسير. والنتيجة أن يرتفع الاهتمام بالأئمة إلى مرتبة فوق الناس العاديين، فيبني الغلاة على ذلك أن الأئمة معصومون عن الخطأ بخلاف البشر، وأنهم يعلمون متى سيموتون، ولديهم علم المغيبات عن باقي الناس وما إلى ذلك.

وهكذا يبالغ رواة الشيعة في صفات الأئمة إلى درجة أن يعدوهم واسطة بين العبد وخالقه، فهم وسيلة الهداية. لقد عقد المجلسي في بحاره باباً (أن الناس لا يهتدون إلا بهم، وأنهم الوسائل بين الخلق وبين الله...) وروى المجلسي عن الصادق أنه قال: (نحن السبب بينكم وبين

(١) القمي: تفسير البرهان. ج ٤. ص ٧٨.

(٢) الطوسي. أمالي ج ١، ص ٣١٤.

(٣) المجلسي. البحار. ج ٢٧. ص ١٧٢.

الله ﷻ^(١). كل ذلك والقرآن الكريم صريح في عدم وجود واسطة بين العبد وربّه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ ﴿أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾، ويذكر القرآن مقولة على لسان المشركين عن عبادتهم للأصنام، فقال: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ ودفع هذا الانحراف والغلو إلى أن يستغيث العبد بالأئمة، وينسى الله أو لا ينساه، وإنما يعده واسطة وشفيعاً. وقد أورد المجلسي في بحاره أدعية عدة كلها ترشح بالاستغاثة بالأئمة^(٢). وقد دفعت هذه الأقوال والأفكار عامة الشيعة إلى التعلق بقبور الأئمة والحج لها، وطلب الحاجات والمغفرة منهم، أو من الله عن طريقهم، كل ونيته المقصودة.

تدعي روايات عن بعض الرواة الشيعة أن الله قد اختار الشيعة أولياء لعلي بن أبي طالب ﷺ وبقية بنيهِ من الأئمة. وتذهب روايات شيعية إلى القول: إن الله قد ناجى علياً يوم الطائف ويوم عقبة تبوك ويوم حنين^(٣). وسمع صوتاً من الجبل تحت الرسول محمد ﷺ وعلي ﷺ معه، فسأل: ما هذا الصوت؟ فقال: (إن الله يناجي علياً)^(٤).

نقل المجلسي من كتاب (خص الاختصاص للشيخ المفيد) عن كتاب سليم بن قيس الهلالي..... قال أبان: لقيت أبا الطفيل بعد ذلك، فحدثني في الرجعة عن أناس من أهل بدر وعن سلمان والمقداد..... قال... (ثم سأل أبو الطفيل الإمام علياً ﷺ عن الآية:.....) ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾.... قال أمير المؤمنين ﷺ: هي دابة تأكل وتمشي في الأسواق وتنكح النساء،

(١) المجلسي. البحار. ج ٢٣ ص ٩٧-٩٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المجلسي. البحار. ج ٣٩ ص ١٥٤. الشيخ المفيد الاختصاص. ص ٣٢٨.

(٤) محمد بن النعمان المفيد. الاختصاص. ص ٢٠٠.

فقلت: يا أمير المؤمنين، من هو؟ قال: هورب الأرض الذي تسكن الأرض به...^(١). وتتفق أكثر تفاسير الشيعة على تفسير هذه الدابة في الآية: أنها هي علي عليه السلام.

٤- إله اليهود وتعاليم التوراة والتلمود: إن اليهود لم يستطيعوا الاستقرار على إله واحد معبود، كما دعا إليه موسى وبقية أنبياء بني إسرائيل. وهم في عقيدتهم يتجهون كما ذكرنا إلى تجسيم الإله الذي أمرهم موسى عليه السلام بعبادته. ولما كانوا قد تأثروا بعبادة العجل مذ كانوا بمصر قبل الخروج أعادوا عبادة العجل كما تقرر التوراة ذلك، حيث تقول: إن هارون هو الذي عمل لهم العجل بطلب منهم حينما غاب موسى عليه السلام؛ وتقول التوراة: إنهم استبشروا بهذه العبادة حيث خلعوا ملابسهم وأخذوا يرقصون عراة أمام هذا الرب. كما عبد بنو إسرائيل الحية؛ لكونها مقدسة عندهم، فهي رمز الحكمة والدهاء والانسحاب. وهي الحيوان الوحيد الذي يلتقي طرفاه. ترسم التوراة في أسفارها الخمس صورة بشرية للإله يهوه له طول وعرض وله يد ورجلان، والإله يهوه يأمرهم بأن يسرقوا ذهب المصريين وفضتهم عند الخروج من مصر، كما يذكر العهد القديم من تعاليم الإله في معاملة غير اليهود: (لا تقطع لهم عهداً ولا تشفق بهم). فيهوه إله قاسٍ شديد البأس حتى ضد شعبه، فيذكر العهد القديم أن يهوه غضب على شعبه مرة فراجعه موسى وطلب منه الرجوع عما أضمره ضد شعبه، وقال له موسى: (ماذا يقول عنك الناس إذا سمعوا بفعلتك؟... فندم الرب على الشر الذي أضمره^(٢). وبدأ له غير ما قرر. وبعد بناء الهيكل في أورشليم أضحى الإسرائيليون لا

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٣. ص ٢١٧.

(٢) سفر الخروج، الإصحاح ٣٢، آية ١٠ - ١٤.

يذكرون إلههم يهوه بالاسم، حيث تنكر التعليمات عدم تسميته باسمه، بل بالإشارة فقط ثم استعاضوا بذلك إلى عبادة الهيكل نفسه على أساس أن فيه روح الإله يهوه^(١). إنه ممنوع على غير اليهود عبادة معبودهم أو الدخول في الهيكل للصلاة، فقد أضحت ديانتهم ديانة عنصرية خاصة بهم فقط، أما بقية الشعوب فهم أنجاس لا يستحقون الرحمة، بل إن أموالهم (وما قدرتم أخذه حلال لكم)^(٢).

وتذكر التوراة أن موسى صنع لشعبه تابوتاً، وضع فيه الألواح التي تسلمها من الرب، وهي من كتابة الرب، وفي التابوت المذبح الذي يوقد فيه نار للبخور صباح مساء، ووضع في التابوت ذهباً وفضة، وكل ما غلا ثمنه بقصد حفظه، وقيل لهم: لا يجوز لأحد أن يمس التابوت؛ لأن فيه روح الرب يهوه. وقد تركزت تعاليم عدم مسح التابوت عند أحبار اليهود، وذلك كما يقول الدارسون، ليحفظوا الأشياء الثمينة، وادعوا أن من يمسه - كما هو نص التوراة - فإنه يموت حالاً، ويكون مصيره كمصير الرجل الذي مات حينما مسه دون علم وقصد منه. وتذكر التوراة أن إله يهوه يحب القرايين من الخراف المشوية. والقرايين والنذور التي تقدم لا تكون مقبولة إلا إذا كانت على يد الكاهن، بل توبة العبد لا تقبل إلا على يده. وأصبح الكهنة حول الهيكل يمثلون قوة في العقيدة اليهودية، فقد كانوا معفيين من الضرائب، وتقسم بينهم النذور والقرايين التي تقدم، وقد كان يقدم للإله حتى القرايين البشرية حيث قدمت للذبح ابنته حية، ثم في مرحلة لاحقة

(١) ذكر المجلسي في البحار المجلد ١٣، ص ٣٩ النهي عن ذكر اسم الإمام الثاني عشر، بل يذكر بأسماء الكنى، الحجة، القائم، المهدي، الفقيه، م ح د، صاحب الزمان، صاحب العسكر، الناحية المقدسة حرسها الله، انظر ج ١٣، ص ٢٣٧ - ٢٤٢.

(٢) سفر الخروج، الإصحاح ١٤، آية ١٣ - ١٨.

اكتفوا بتقديم الضحايا البشرية لمجرد الخدمة في المعبد، وقد اكتفي بتقديم جزء من الأعضاء البشرية، فبدل أن يضحي بالإنسان كله يقطع منه جزء علامة على انقياده للإله وهو الختان الذي كان رمزاً عندهم لهذا العرف^(١). يدعي اليهود أن إلههم يهوه قد وعد آبائهم بتمييزهم عن بقية الشعوب؛ لأنه اختارهم من دون الآخرين: (..... بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم)^(٢) ويقول التلمود بالتناسخ أيضاً.

ويرى الباحثون أن هذا من الأثر الفارسي على الديانة اليهودية، حيث قام حاخامات بابل الذين كتبوا التلمود البابلي إلى تكرار فكرة التناسخ، فأرواح اليهود هي جزء من الله، كما الابن جزء من أبيه، وهذا يعني أن اليهود خلقوا بشكل مختلف عن بقية الشعوب كما يفسر ذلك أحبارهم. وفي بعض أحاديث الشيعة أنهم خلقوا من طينة غير طينة آدم.

ويكرر التلمود ما ورد في التوراة من كون الرب يغير رأيه في بعض الأحيان. فمرة كما يذكر التلمود غضب الرب واستولى عليه الطيش، فحلف بحرمان شعبه من الحياة الأبدية، لكنه ندم بعد ذلك؛ لأن غضبه كان ضد العدالة. وهذا يشبه إلى حد كبير فكرة البداء التي بثها كثير من رواة الشيعة.

يرى اليهود أن نصوص التلمود في أهميتها وقديسيتها: كنصوص التوراة، مع أنهم يعلمون أن التلمود مجرد أقوال رجال الدين جمعوها فيما بعد، وهم يقولون: من يقرأ التوراة بغير المشنا والجيمارا (التلمود) فليس له إله؛ لأن قول الحاخامات هو قول الله الحي، بل إن الرب يستشير الحاخامات عندما تواجهه معضلة لا يمكن حلها في المساء.

(١) يوحنا ١٨: ٣٠، الملوك الثاني، ١٦: ٣ و ١: ٨ و ٦ و ١٤: ٢١ - الخروج، ٣٠: ١-١٠.

(٢) سفر التثنية، ٧: ٦-٨.

اليهودي الإنسان منزلة كبيرة في الفكر اليهودي، فهو عندهم معتبر عند الرب أكثر من الملائكة؛ لأن اليهودي جزء من الله. إذا قام آخر غير يهودي بضرب يهودي فكأنما ضرب الرب نفسه. أما غير اليهود فلا يجوز إطعامهم وهم أقل من الحيوانات. وفي مجال السلوك يجب على اليهودي ألا يغش يهودياً مثله، أما مع غير اليهودي فلا تكن طاهراً مع الدنسين. ولا يجوز أخذ الربا من اليهودي، ويجوز مع غيره. أما الأرضون والأموال فهي ملك للرب واليهود هم المالكون للأرض والأموال نيابة عن الرب. وأعد التلمود أن سرقة المال من غير اليهودي يعد استرداداً للمال من سالبه. وأجاز الحاخامات أن يحلف اليهودي ويغش غير اليهودي البيع ويعطي الأيمان الكاذبة. ولا يجوز لليهودي رد المال المفقود من غير اليهود. جاء في التلمود: (محرم على اليهودي أن ينجي أحداً من غير الأيمن من هلاك أو يخرج من حفرة وقع فيها). وأجاز التلمود لليهودي ارتكاب المحرم مع المرأة النصرانية؛ لأنها غير مؤمنة. كما لا بأس من الحلف زوراً عند الحاكم؛ لإنقاذ يهودي من خصمه غير اليهودي؛ لأن هناك يوم الغفران ستمحى فيه جميع ذنوب السنة الماضية.

الحيض والولادة تدنس المرأة كما الخطايا تدنس الإنسان، لكن الهدايا والقرايين يكفران تلك الخطايا على أن تقدم للكهنة مع الاعتراف بها.

لا يجوز زواج اليهودية من غير اليهودي. والرضاعة ليست سبباً للتحريم. اليهودي من خرج من رحم يهودية فقط.

٥- تحمل ذنوب الأمة: إن كثيراً من رواة الشيعة اتهموا بالغلو؛ لأخذهم بأفكار أهل الكتب، ونسبوها إلى الأئمة. فكثيراً ممن ينتمون إلى فرقة

الخطابية الشيعية انتحلت أفكاراً من النصرانية، وصاغوها بشكل حديث نسبوه لأحد الأئمة، ونجد تسرب هذا الحديث أو ذاك في كتب حديث الشيعة الإمامية.

من هؤلاء المفضل بن عمرو الجعفي الذي ذهب به الغلو حد القول: إن الأئمة تقدر أرزاق العباد، فلما علم منه الإمام الصادق ذلك تبرأ منه ولعنه^(١).

كما عدّه النجاشي فاسد المذهب برغم ما ذكر له من مصنفات^(٢).

ذكر المجلسي أنه وجد في أحد كتب الشيعة: (لم يذكر الكتاب ولعله أحد مصنفات المفضل) برواية المفضل بن عمرو أنه سأل الإمام الصادق عن المهدي.... ثم سأله عن المتعة وذكر قول علي عليه السلام في تحريمها من قبل عمر عليه السلام، ثم يذكر قول الصادق: (... ثم يقوم جدي (علي عليه السلام) فيشكو للرسول ﷺ الظلم الواقع على الأئمة من قبل الخلفاء، فيرد الرسول ﷺ: الحمد لله الذي صدقنا وعده.... ثم يقول ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا. لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فقال الإمام الصادق: يا مفضل، إن رسول الله ﷺ قال: اللهم، حملني ذنوب شيعة أخي وأولادي الأوصياء ما تقدم منها وما تأخر إلى يوم القيامة، ولا تفضحني بين النبيين والمرسلين من شيعتنا، فحمله الله إياها وغفرها جميعها. قال المفضل: فبكيت بكاء طويلاً وقلت: يا سيدي، هذا بفضل الله علينا منكم. قال الصادق: يا مفضل، ما هو إلا أنت وأمثالك بلى، يا مفضل، لا تحدث بهذا الحديث أصحاب الرخص من شيعتنا، فيتكلمون على هذا الفضل ويتركون العمل...). قال المجلسي في آخر

(١) الكشي. رجال. ص ٢٧٤.

(٢) النجاشي. رجال. ص ٢٩٥.

هذا الخبر: أقول: روى الشيخ حسن بن سليمان في كتاب منتخب البصائر هذا الخبر هكذا^(١).

ونقل المجلسي أيضاً عن (كنز = كنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة) .. أنه سأل الإمام أبا الحسن الثالث عن قول الله ﷻ: ﴿يَغْفِرْ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ فقال: وأي ذنب كان لرسول الله ﷺ متقدماً أو متأخراً؟ وإنما حمل الله ذنوب شيعة علي ﷺ ممن مضى منهم وبقي ثم غفرها له^(٢). هذا وقد اقتبس رواة الشيعة فكرة تحمل الرسول ﷺ ذنوب الشيعة من فكرة تحمل المسيح ابن مريم ذنوب أمته، فقدم نفسه قرباناً ليظهرهم من الذنوب. تعتقد النصرانية أن عيسى عليه السلام قد قدم نفسه لأن يصلب فداءً لذنوب أمته. وقد تكررت هذه الفكرة واستعيرت بطرق شتى وتبريرات مختلفة عند معالجة كثير من مصادر الشيعة لموت الإمام الحسين عليه السلام. إنه كان يعلم مصرعه مقدماً، ولكنه أصر لأن يقدم روحه الطاهرة فداءً للأمة^(٣).

٦- نقل الجنائز ودفنها في النجف: ترى اليهودية أن أفضل مكان لدفن اليهودي هو سفوح جبل الزيتون. ويرون أن النبي زكريا مدفون هناك، وكثير من أوليائهم كانوا ينقلون موتاهم للدفن في هذا الموقع على دعوى أن النبي ﷺ سينفخ يوم البعث بوقه ليخرج الموتى من قبورهم^(٤).

لقد أشرنا إلى الأحاديث الشيعية التي تروى في تقديس أرض كربلاء التي دفن فيها الإمام الحسين عليه السلام. وتذهب بعض الأحاديث إلى حد أن من

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٣. ص ٢٠٠-٢٠٨.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ٧ ص ١٤٧.

(٣) المجلسي. بحار الأنوار. في مواضع عدة أحاديث مروية كثيرة بهذا المعنى. انظر: عزاء الحسين في هذا البحث.

(٤) الإنسكلوبييا اليهودية (جبل الزيتون).

دفن بجوار الإمام علي عليه السلام فإن محنة عذاب القبر لا وجود لها، كما يروى عن الإمام الصادق أن الدفن بجوار الإمام علي عليه السلام يعادل يومه سبع مئة يوم من العبادة^(١).

وكان شيعة إيران منذ القدم يتوقون لدفن موتاهم في النجف؛ واستمر نقل الجناز من إيران، واتخذ أهمية اقتصادية ومهمة تبدأ من النقل إلى الدفن. وكانت أكثر اتفاقيات الصفويين مع العثمانيين تنص على حرية الإيرانيين في دفن موتاهم في النجف؛ لما لذلك من أهمية دينية.

وقد انتقد بعض علماء النجف نقل الجناز ودفنهم في النجف، منهم هبة الدين الشهرستاني الذي ذهب إلى حد التشكيك في صحة الأحاديث المروية في الدفن في الأماكن المقدسة، وذهب إلى أن الرسول صلى الله عليه وآله أمر أصحابه بالدفن حيثما يموت المسلم. وأشار الشهرستاني نفسه إلى أن الإمام علي حذر أتباعه من الاقتداء باليهود ونقل أمواتهم للدفن في معابدهم. وأوضح قبح ما يفعله البعض من تأمين دفن الجناز في مكان ثم نقل الجثة إلى النجف؛ لما فيها من انتهاك حرمة الميت. وقد لاقى الشهرستاني الأذى من أهل النجف بسبب فتواه هذه وطرد منها وذهب إلى الهند مدة سنتين عاد بعدهما إلى كربلاء. وبهذا فقد إمكانية ترشيحه لأن يصبح مرجعاً أكبر. وقد أنكر من علماء الشيعة نقل الجناز ودفنها في النجف علماء غير هبة الدين الشهرستاني مثل السيد محسن الأمين ولكن لم تلق دعواتهم آذاناً مصغية مع الأسف^(٢). وهذا يوضح مدى تأثير العامة على العلماء في هذه الحقبة التي

(١) محبوبية. ماضي النجف ج ١ ص ١١.

(٢) الطوسي. المبسوط. ج ١. ص ١٨٧. هبة الدين الشهرستاني. تحريم نقل الجناز. بغداد. ١٩١١.

الآداب. عبد الله النفيسي. دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث. ص ٧٩.

فقدوا فيها قدرتهم على التوجيه ما دفع أكثر علماء الشيعة إلى عدم معاكسة تيار العامة والوقوف ضد عاداتهم الدينية، وإن لم يكن لها سند من الشرع.

٧- فكرة التثليث: ذكر الكشي في كتابه "الرجال" الذي لم يصلنا، وإنما وصلنا ما اختاره منه الطوسي، فأسماء اختيار معرفة الرجال. قال الكشي: إن بشار الشعيري ادعى، فقال: هي مقالة العلياوية يقولون: إن علياً هرب أي (هرب من الربوبية في عالمها)، وظهر بالعلوية الهاشمية وأظهروا به وعبدوه ورسوله بالمحمدية، فوافق أصحاب أبي الخطاب في أربعة أشخاص: علي وفاطمة والحسن والحسين عليه السلام. وأن معنى فاطمة والحسن والحسين عليه السلام الأشخاص الثلاثة تلبس، والحقيقة شخص علي عليه السلام؛ لأنهم الأول في الأمانة، وأنكروا شخص محمد عليه السلام وزعموا أن محمداً عليه السلام عبد وعلياً عليه السلام رب... عليه السلام

وذكر الكشي أن الإمام الصادق كان قد اشتكى من هذا الإنسان^(١)؛ لأنه أغوى أصحابه. وقد تبرأ الإمام الصادق من هذه المقالة حينما بلغته.

٨- البداء: روى الطبري أنه كان في الكوفة امرأتان ناعطيتان: إحداهما تسمى هند بنت المتكلفة الناعطية والثانية ليلي بنت قمامة المزنية يمينتان، وكان يجتمع إليهما غلاة الشيعة في الكوفة أيام المختار، وقد قامتا ببث أفكار غلاة الشيعة مناصرة للمختار. وكان عبد الله بن نوف قائد سرية المختار في حروراء يتردد على الناعطيتين، فلما انهزم جيش المختار في حروراء لقي عبد الله بن شريك النهدي عبد الله بن نوف، فقال له: ألم تزعم يا ابن نوف، أننا سنهزمهم؟ قال: أو ما قرأت في كتاب الله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾

(١) الكشي. الرجال. ص ١٩٨-٤٠١، ج ٢ ص ١٠٤.

فلا بد أنه قد تلقى مثل هذه الأفكار من تلكما الناعطيتين اليمينيتين اللتين ربما كانتا على دراية باليهودية وأفكارها السائدة لدى عرب اليمن ممن سكن الكوفة بعد الفتح^(١). وقد أوضحنا فيما سبق أن فكرة البداء كانت في الفكر اليهودي، قال بها المختار.

وقد ذكر أن هند الناعطية ادعت النبوة. وقد رمى الشاعر بشار بن برد بالتناسخ على طريقة ليلي الناعطية^(٢).

٩- التابوت والكرسي: تذكر الروايات الإسرائيلية أن نبي الله موسى عليه السلام بعد أن تسلم الألواح من ربه، التي فيها تعاليم الرب، قام فوضعها في تابوت؛ للمحافظة عليها من التلف. وقد أشار القرآن الكريم إلى فضل الله على بني إسرائيل، وتنزل التابوت الذي فيه بقية من بني إسرائيل؛ ليضفي عليهم السكينة والأمان. وقد استعارت الكيسانية فكرة التابوت واستبدلتها بالكرسي، فقد ذكر الطبري عن طفيل بن جعدة بن هبيرة أن جاراً له كان عنده كرسي متسخ قدمه الجار إلى المختار الثقفي على ادعاء أن هذا الكرسي كان عند أم جعدة أم هانئ بنت أبي طالب وهي أخت الإمام علي عليه السلام. فأخذ المختار الكرسي وزينه بالديباج، وكان يحمله على بغل في الكوفة، فيطوف به على أصحابه يستسقون به ويستنصرون أمامه. وكان المختار إذا قاتل حمل الكرسي هذا معه؛ طلباً للنصر. فالمختار لحاجته للنصر في ثورته في الكوفة على الأمويين ركب الصعب، وأدخل على أنصاره بزعمه أن في الكرسي بقية من الإمام علي بن أبي طالب برغم ما نقل عن شيث بن ربعي وهو من أصحاب علي عليه السلام إنكاره على من تدافعوا على الكرسي يستنصرون به،

(١) الطبري. تاريخ: ج ٦. ص ١٠٣، حركات الشيعة المتطرفين. د. محمد جابر عبدالعال. ص ٣٣.

(٢) فتحي الزغبى. غلاة الشيعة. ص ١٢١.

وإبراهيم بن الأشتر قائد المختار ذكر عنه قوله: (اللهم، لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا) ^(١) وقد أنكر الشاعر أعشى همدان عليهم قائلاً:

شهدت عليكم أنكم سبئية وأني بكم يا شرطة الكفر عارف
وأقسم ما كرسيكم بسكينة وإن كان قد لفت عليه اللفائف ^(٢)

١٠ - استعارة معجزات نبي الله عيسى عليه السلام: إن القارئ لكتب الحديث عند الشيعة والمتعلقة بمعجزات الإمام علي عليه السلام والحسين وفاطمة رضي الله عنهن يشاهد استعارة صريحة لما نسب من المعجزات لنبي الله عيسى عليه السلام في حال مولده وفي حال قتله، يذكر منها للإمام علي عليه السلام ومنها كثير للإمام الحسين عليه السلام، أما معجزات فاطمة رضي الله عنها فقد استعيرت جميع معجزات مريم عليها السلام وذكرت لفاطمة رضي الله عنها.

كما استعيرت معجزات مولد نبي الله عيسى عليه السلام إلى مولد الإمام الثاني عشر.

معجزات الإمام علي عليه السلام ومشابهتها لتلك المذكورة لعيسى عليه السلام:

من معجزات نبي الله عيسى عليه السلام التي ذكرها القرآن الكريم: إحياء الموتى وإبراء الأعمى والأبرص بإذن الله. وقد نسبت للإمام علي عليه السلام أنه أحيأ ميتاً من بني مخزوم خرج من قبره يتكلم بلسان الفرس. ونسب له أيضاً أنه أحيأ ميتاً لأجل أن يتحقق أهله، ويسألون من قتله ^(٣). ومثل هذا كثير نسب لعلي عليه السلام وإلى الأئمة. وذكر الكليني أن الأئمة قادرون على إحياء

(١) الطبري، تاريخ، ج٦، ص ٨٣.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ج٢، ص ٣٥٢.

(٣) الكليني. الكافي. ج ١. ص ٤٨٤.

الموتى وإبراء الأكمه والأبرص^(١). وتذكر روايات كثيرة أن الأئمة يعلمون الغيب، وأخرى تقول: إنهم لو شأؤوا أن يعلموا الغيب لعلومه^(٢).

وقد جمع دونالدسون معجزات كثيرة لعلي^{عليه السلام} والأئمة تشابه تلك المذكورة لعيسى^{عليه السلام} تماماً خاصة إحياء الموتى^(٣).

وقد ادعت فرق الشيعة المغالية إحياء الموتى من قبل أئمتها، فقالت فرقة البينانية: إن ابن الحنفية يحيي الموتى^(٤)....

كل ذلك وهم يتلون كتاب الله القائل بكل وضوح:

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾.

- معجزات فاطمة، وتلك المذكورة لمريم :

في كتاب بحار الأنوار للمجلسي نقول من مصادر عدة قديمة لأحاديث مروية عن الأئمة في شأن معجزات منسوبة لفاطمة^{عليها السلام}، وتلك المعجزات نجدها بعينها كتلك المنسوبة لمريم ابنة عمران في المصادر النصرانية.

- معجزات الحسين، وتلك المذكورة لعيسى :

ينقل المجلسي عن كتاب (ير = بصائر الدرجات) رواية تفيد أن حبابة الوالبيّة شكت للحسين^{عليه السلام} العمى في عينيها، فقتل الحسين^{عليه السلام} في عينيها فأبصرت^(٥). وقد أشار القرآن الكريم إلى معجزة نبي الله عيسى^{عليه السلام}: ﴿وَتَبَرَّئِ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ أَخْرَجُ الْمَوْتَ بِإِذْنِي﴾.

(١) المصدر السابق.

(٢) الطبرسي. الاحتجاج. ج ١. ص ٣٥٦.

(٣) دونالدسون. عقيدة الشيعة. ص ٨٠.

(٤) الأشعري. مقالات. ص ٣٨.

(٥) المجلسي. البحار. المجلد ١٠. ص ١٤١ وما بعدها.

ونقل أيضاً رواية عن كتاب (يج = الخرائج) أن امرأة أرادت أن توصي للإمام الحسين عليه السلام وبحضوره ولكنها توفيت، فلما حضر الحسين وقف على بابها وناداه، فقامت (من الموت) ثم قال لها: أوصي. فأوصت ثم ماتت ^(١).

وذكر رواية تفيد أن الحسين عليه السلام كان يعلم أموراً غيبية، فقد دخل عليه أعرابي فقال له الحسين: أما تستحي أن تدخل على إمامك وأنت جنب؟

وذكر أيضاً (عن يج): أن رجلين اختصما على طفل رضيع أمام الحسين عليه السلام فنطق الطفل مشيراً إلى أبيه الحقيقي. ^(٢) وقد ذكر القرآن الكريم معجزة عيسى: ﴿يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصّٰلِحِينَ﴾.

وذكر المجلسي روايات تفيد أنه بعد استشهاد الحسين عليه السلام بكت السماء والأرض عليه وانكسفت الشمس وانخسف القمر. وبكت كل البلاد ما عدا البصرة (كانت البصرة عثمانية) ودمشق وآل الحكم بن أبي العاص أو آل عثمان بن عفان. وبكت الوحوش والحيتان والطيور ومؤمن الإنس والجن وجميع ملائكة السماء والأرض ^(٣).

ونقل المجلسي رواية عن نضرة الأزديّة قالت لما قتل الحسين عليه السلام: أمطرت السماء دماً، وجرارنا صارت مملوءة دماً..... ورواية أخرى تذكر أنه لما قتل الحسين عليه السلام ضجت الملائكة إلى الله بالنحيب، وهبطوا يريدون نصرته، ولكن لم يؤذن لهم ^(٤).

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٠. ص ١٤١-١٤٢.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٠، ص ١٤٢.

(٣) المجلسي. البحار. المجلد ١٠، ص ٢٤٤- وما بعدها.

(٤) المجلسي. البحار. المجلد ١٠، ص ٢٢٨-١٢٩.

كما ذكر المجلسي ما قيل من مرثٍ وأشعارٍ في مقتله، والعلة التي من أجلها أخرج الله الانتقام من قاتل الحسين عليه السلام أن الله ينتقم منه في زمن ظهور الإمام القائم ^(١).

ذكر المجلسي أيضاً رواية تفيد أن الحسين ولدته فاطمة، ولم يمكث في رحم أمه إلا ستة أشهر، كما هو الأمر في عيسى ابن مريم ^(٢).

وذكر رواية (عن كا = الكايفي) تفيد أنه لما ولد الحسين عليه السلام أمر الله خازن النار أن يطفئها كرامة لمولود آل محمد، وأمر رضوان أن يزخرف الجنان، وأمر الحور العين أن يتزين، وأوحى الله إلى الملائكة: أن قوموا صفوفاً للتسبيح والتحميد. وأوحى الله إلى جبريل أن اهبط... وهنئوا آل محمد عليهم السلام.

وهذه نصوص تقارب ما ذكر في الأنجيل عند مولد المسيح عليه السلام من فرحة الطيور وتسبيح الملائكة....

وذكر رواية تقول: إن الله سبحانه كان قد غضب على أحد الملائكة، فجرده من ريشه، وألقاه في جزيرة، فلما ولد الحسين عليه السلام شفع فيه الحسين عند ربه، فرده الله إلى مكانه مع الملائكة المقربين.

ونقل المجلسي من تفسير العياشي كما يبدو أن الله خير الرسول عليه السلام إما أن يميت إبراهيم (ابن الرسول عليه السلام) أو (يميت الحسين) فاختار عليه السلام إماتة إبراهيم فداءً للحسين؛ لأن إبراهيم أمه أمة إذا مات لم يحزن عليه إلا محمد عليه السلام بخلاف الحسين.

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٠، ص ٢٥٦-٢٦٧

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٠، ص ٦٩.

وذكر أن الحسن والحسين عليهما السلام مكانهما يوم القيامة ما بين عرش الرحمن أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره^(١).

١١- معجزات الإمام الثاني عشر عند مولده، وتلك التي قيلت بمولد عيسى: نقل المجلسي عن كتاب (كا) رواية تفيد أن الإمام الحجة بعد أن ولدته أمه تكلم، فشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم صلى على أمير المؤمنين والأئمة جميعاً، ثم سلم على أمه، ثم تلا الآية: ﴿وَرِيدٌ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ ونقل المجلسي عن (ك = لكمال الدين) أن فلاناً دخل على القائم بعد مولده بليلة فعضس عنده فرد عليه القائم (الطفل) يرحمك الله.

وذكر المجلسي نقلاً عن كتاب (ك): أن فلانة (هكذا) شاهدت طيوراً تمسح بأجنحتها القائم بعد مولده، فقالت لأبيه: ما شاهدته؟ فقال: هم الملائكة نزلت تتبرك به^(٢). وهذه استعارة صريحة لما عند النصارى في كتيبهم عن معجزات الطفل المسيح وأمه.

ونقل المجلسي رواية عن كتاب (غط = الغيبة للشيخ الطوسي) أن الإمام الحسن العسكري (الإمام الحادي عشر) أرسل أحد خدمه ليبتاع له جارية صفتها كذا وكذا وكتب له كتاباً باللغة الرومية؛ ليعطيه إياها ففعل ذلك، وتبين له من كلامها أنها بنت ملك الروم، وأنها وقعت في الأسر، وأنها كانت قد حلمت حلمًا بأن المسيح عليه السلام قد زوجها من أبي محمد الحسن العسكري، فلما

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٠، ص ٧٣-٨٨.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٠. ص ب- ج. الصفحات الأولى من ١-٣ لم ترقم إنما بدأ الترقيم بعدها.

قدم الخادم بها للإمام خيرها الإمام بين مبلغ من المال أو بشارة يقولها لها، فاختارت البشارة، فقال لها: (أبشري بولد يملك الدنيا.... فهو القائم)^(١).

أثر عقائد الصابئة (المندائيين) على اليهود والشيعة:

يسكن الصابئة جنوب العراق على ضفاف الأنهار، وخاصة في قلعة صالح قرب العمارة. وقد تأثرت بعض تعاليم الشيعة الإمامية ببعض عقائد الصابئة منذ القديم. وتعاليم الصابئة نفسها قد ورثوها من العقائد القديمة في العراق وفارس، وما عند النصارى حيث يدعي الصابئة أن نبيهم يحيى من أنبياء النصارى.

أكثر تأثر الشيعة، وربما غيرهم من الفرق الساكنة في العراق كان بالعقائد المتصلة بالكواكب. يرى الصابئة أن كل يوم من أيام السنة يتحكم فيه كوكب كما يتحكم الملائكة المعنيون بذلك. فيوم الأحد، وهو أول أيام الخليقة تتحكم فيه الشمس يرتبط أيضاً بتجسيد (هشبثة) أول أيام الأسبوع، وهو ملك يطابق أحياناً بالأرواح المنقذة.

كما تقسم ساعات اليوم إلى ساعات نحس وساعات سعد يوم الجمعة وليلته وقت نحس.....

الشمس كوكب ودود، ولكن القمر ذو تأثير منحوس. والزهرة أكثر وداً ومارس هو رب السحاب والرعد. وعطارد رب الكتابة والكتب ورب الحكمة.

إذا سقط الصابئي مريضاً في الحادي والعشرين من أي شهر فأمله في الشفاء قليل؛ لأن ذلك يوم يتحكم فيه الجن... وكذلك اليوم الخامس

(١) المصدر السابق. المجلد ١٠ ص ١.

والعشرون والأفضل ألا يغادر منزله. القمر يُعدُّ مسؤولاً عن حالات الإجهاض والعاهات التي تصيب الناس^(١).

إن هناك ساعات نحس يجب على الزوج ألا يقرب زوجته ورجل الدين (الكنزفرة) هو الذي يكشف طالع الزوجين.... والكاهن هو الذي يخبر باليوم السعيد لعقد الزواج أو وقت إرسال الوليد للدرس أو التهيؤ للسفر أو... الحائض نجسة. ويرى الفرس القدماء أن الحيض عند المرأة أو أي زف عند الرجل إنما هو نجس، والذي يمسه يتنجس. وكان في إيران القديمة بجانب بيت النار مكان اسمه (داستانستان) أي بيت للنساء الحائضات، وذلك لعزلهن وألا يمسن أي شيء؛ كي لا يتنجس. وعلى الحائض ألا تأكل إلا في أوانٍ معدنية؛ لأن الفخارية يصعب تطهيرها بعد الحائض.

وعلى الحائض لبس القفازات. وحالما تقترب المرأة من الحيض فعليها: تغيير ملابسها.

أن تبحث عن مكان منعزل، فلا ترى ماء ولا ناراً ولا رجلاً مقدساً، ولا تنظر إلى الشمس، ولا القمر، ولا إلى السماء، والأشجار.

أن تأكل بملقعة أو بقفازين.

أن تعتزل الناس من ٣-٩ أيام بعدها لا بد من غمس نفسها بالماء. ويلزم استحمام الرجل والمرأة بعد الجماع.

(١) الليدي دراور. الصابئة المندائيون. ج ١. ص ١٣٥-١٤٣. مطبعة الإرشاد. بغداد. ١٩٦٩م.
ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي.

وبعد الوفاة يصنع طعام يؤكل على روح الميت يسمى (اللفاني)، وهذا مما يساعد روح الميت على اجتياز العقبات في أثناء خروجها إلى عالم النور. ويؤكل اللفاني أيضاً بعد اليوم الخامس والأربعين (الأربعينية)، وهذه العادة موجودة لدى الفرس القدماء غير أنها واجبة بعد ثلاثين يوماً من الموت. وقد أخذ اليهود هذه العادة ونصوا في التلمود على وجوب إعداد الطعام على روح الميت بعد ثلاثين يوماً من وفاته.

كما للصابئة عادة توزيع الخبز على روح الميت أو أكل الخبز.

شجر الآس عند الصابئة شجر مقدس، ويجب إحضار الآس عند الموت أو الزواج^(١).

وعقائد الصابئة هذه تبدو مزيجاً من عقائد الفرس القدماء وعقائد الحضارات السومرية والبابلية في العراق القديم، التي أدخل اليهود كثيراً منها حين تدوين التلمود في بابل.

ما ورد عند الشيعة الإمامية من أحاديث لها شبه لما عند الصابئة واليهود:

أورد المجلسي في كتابه بحار الأنوار أحاديث كثيرة عن الأئمة، مضمونها أن يوم الأربعاء هو يوم نحس يتطير منه لأسباب مختلفة ذكرتها تلك الأحاديث، منها: أن يوم الأربعاء هو اليوم الذي قتل فيه قابيل أخاه هابيل، وفيه ألقى نبي الله إبراهيم عليه السلام في النار، وفيه أغرق الله فرعون، وفيه أدخل نبي الله يوسف السجن^(٢).

(١) المصدر السابق. ج ١. ص ٢٨٠-٣١٧.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٤. ص ١٩٥.

ونقل المجلسي أن الشيخ الصدوق (ابن بابويه القمي) نهى عن السفر يوم الأربعاء أو الاحتجام فيه.

ويسوق المجلسي حديثاً عن الإمام علي عليه السلام أنه إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله فليتنق أول الأهلة وأنصاف الشهور، فإن الشيطان يطلب الولد فيها^(١).

ويذكر المجلسي أن يوم الحادي والعشرين من كل شهر يوم نحس، وذكر أن الفرس ترى أنه يوم جيد، وفي رواية أنه يصلح لإهراق الدم.. ولا تطلب منه حاجة. وذكر رواية حديث عن الأئمة أن هذا اليوم لا تطلب فيه حاجة، وتكره فيه سائر الأعمال^(٢).

وذكر المجلسي روايات عن اليوم السادس والعشرين، وأنه يصلح لكل شيء ما عدا الزواج (فمن تزوج فيه فرق الله بينهما، كما فرق الله لموسى البحر)^(٣).

وذكر المجلسي في بحاره في المجلد الرابع عشر من ص ١٩١ وحتى ص ٢٠٨ روايات تكلم فيها عن نحس الأيام وسعادتها. ثم ذكر النيروز، وقال: إنه أول يوم طلعت فيه الشمس، وفيه نزل جبريل على النبي محمد صلى الله عليه وآله... وإذا قرأت أي كتاب من كتب الشيعة الإمامية وخاصة القديمة تجد تفاصيل عن أيام النحس والسعد. أورد الشيخ المفيد في كتابه الاختصاص جملة أحاديث عن الأئمة، مفادها: أن الجماع يكره عند الفجر وعند المغيب وعند الكسوف والخسوف وعند اشتداد الريح الحمراء والصفراء والسوداء. ثم أورد حديثاً عن الرسول صلى الله عليه وآله أنه لم يجامع في ليلة انكسف فيها القمر^(٤).

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٤. ص ١٩٦-١٩٨.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٤. ص ٢٠٣.

(٣) المجلسي. البحار. المجلد ١٤. ص ١٠٦.

(٤) المفيد. الاختصاص. ص ٢١٣.

وتعتقد كتب فقه الشيعة الإمامية في باب الزواج فصلاً للأوقات التي يكره فيها الزواج، فمثلاً في كتاب العروة الوثقى للطبّيبائي وشرحه للسيد الحكيم المسمى المستمسك أورد فيه جملة من الأوقات التي يكره فيها الزواج، ومعاشرة الزوجة.



obeikandi.com

الفصل الثالث

العنصرية والتمييز

أ- قصر العنصر السامي على اليهود

جاء في سفر التكوين (٩، ١٨، ١٩) أن بني نوح الذين خرجوا من الفلك، هم سام وحام ويافت، ويعدون ساماً هو أب الكهنة، ورجال الدين، بينما حام هو أب الرقيق، ويافت أب للسادة^(١).

والهوية اليهودية تثير أشكالا بين الباحثين في العصر الحديث، فإذا كانت اليهودية مجرد دين فقط، فيصح أن يكون من بين اليهود، الأبيض والأسود والسامي والآري والشرقي والغربي... وهكذا أصبح لدينا تعريف ديني لليهود، (وهو من خرج من رحم يهودية) في رأي رجال دينهم، فالسامريون في فلسطين يعدون أنفسهم فقط هم اليهود المعنيون في الأسفار السنة فقط، وما عداها فمن زيادات الفرق المدعية باليهودية، في حين نشأت تعريفات قومية لليهودي وأخرى صهيونية لخدمة الأغراض السياسية ولدولة إسرائيل^(٢).

وذهبت فرقة القبايلين من اليهود إلى التمييز بين اليهودي وغيره إلى الادعاء بأن: (اليهود خلقوا من طينة مختلفة، عن تلك التي خلق منها بقية البشر)^(٣).

(١) محمد يونس هاشم: الدين والسياسة والنبوة، ص١٣٣، دمشق ٢٠١٠م، دار الكتاب العربي.

(٢) عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود، المجلد الأول، ص٩٠ - ١٠٥، دار الشروق.

(٣) المصدر السابق: عبد الوهاب المسيري، ص٤١، ص٥٦.

ب- خلاص الرب لليهود من ذنوبهم

تنص التوراة في كتاب أشعيا (١١/١١ - ١٢) على بشرى لليهود واجتماعهم، بعد شتات في أرض الميعاد، حيث سيحكمون بالعدل والسلام، وأن من سيظهر للحكم بالعدل، هو من سلالة داود عليه السلام، وأن الرب سيخلصهم أخيراً من جميع شرورهم، وقد ورد في زكريا (٨): (كنتم لعنة يا أبناء يهوذا وإسرائيل، فأنتي أخلصكم فتصبحون بركة)، وهذا الخلاص الذي ورد عن طريق الأنبياء أشعيا وزكريا وغيرهم، إنما كانت تخص رجوع المسيبين من بابل إلى فلسطين، لنخلصهم من الاضطهاد والاستبعاد، وقد تحقق هذا الخلاص على يد الملك الفارسي كورش، كما هو معروف، ولكن رجال الدين اليهودي يحرفون نصوص الأنبياء هذه، لتعم جميع اليهود في شتات الأرض، وهو أمر قد درجوا عليه، وأشار إليه القرآن الكريم: ﴿مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (النساء: ٤٦)، وقد استغلت الصهيونية هذا التحريف، وزادت عليه بقصد حث اليهود على العودة إلى فلسطين^(١).

ج- إن الله قد اختارنا من بين خلقه وسيثأر لنا

ورد في التوراة حث لليهودي على الصلاة والدعاء المخصوص، وذلك كما يقول البعض (.. لكي تكثر أيامك وأيام أولادك على الأرض، التي أقسم الرب لآبائك أن يعطيهم إياها طيلة أيام السماء والأرض)، (انظر التوراة سفر التثنية ١١ / ١٣ - ٢١).

(١) محمد يونس هاشم: المصدر السابق، ص ٥٥، وما بعدها.

وفي الصلاة اليهودية أدعية كثيرة، تطلب من الرب أن يعجل لهم بالفرج؛ لأنه قد اختارهم من بين خلقه، ووعدهم بالنصر، وفي جزء آخر من الصلاة، يشكر اليهودي الرب على (... وأيدتهم في خصومتهم، وحكمت حكمهم، وثارت انتقاماً لهم، سلمت الجبابرة بيد المستضعفين و...).

القاعدة عند اليهود، تقضي بحق الابن البكر في الميراث، ثم عدلت إلى أن يكون له سهمان، وكما كان إسماعيل هو الابن البكر لإبراهيم، لكنهم عدلوا عن ذلك باجتهاد أن إسماعيل ولد الأمة المصرية، لا ينطبق عليه اختيار الرب لشعب إسرائيل من نسل إسحاق^(١).

وفرقه اليهود القريزيون يعدون أنفسهم هم العلماء الأتقياء، وأن الآخرين (من عامة الأرض)، أي عوام الأرض^(٢)، وقد ورد في سفر التثنية: (لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك قد اختارك الرب لتكون له شعب أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض) (الإصحاح ٦ / ٧).

وقد ورد في التلمود: أن أرواح اليهود قد تحررت من الله مباشرة، لا من آدم.

وفي التوراة أن الرب خاطب النبي داود: (... لأن الرب خاطب إسرائيل إلى الأبد، جعلك ملكاً لتجري حكماً وبراً) (الإصحاح ٩ / ١٠)، وادعى اليهود أن الله قد سخط على جميع الأمم عدا إسرائيل التي أحبها وحدها: (... لأن الرب قد سخط على جميع الأمم...) (الإصحاح ٣٤ / ١ - ٣)، وأمرت التوراة اليهود بالألا يشفقوا بهذه الأمم، ولا يقطعوا لهم عهداً (الإصحاح ٧ / ١ - ٢)، وطلب

(١) المصدر السابق: ص ١٩٧.

(٢) المصدر السابق: ص ٢١٠.

نص التوراة من اليهود ألا يدخل في دينهم غير بني إسرائيل (الإصحاح ٢٣ / ١ - ٣)، وشجع اليهود على الاستيلاء على أموال خصومهم ومخالفهم من المسيحيين وغيرهم، فأموالهم كالرمل في الصحراء، أو كالماء بالبحر، قد يعبرون عن ذلك، وتحرم التوراة استعباد اليهودي لأخيه اليهودي، أما الآخرون فهو جائز، لأن الأمم الأخرى إنما خلقت عبيداً وخدماء لبني إسرائيل (الإصحاح ٢٥ / ٣٩ - ٤٦)، ولأنهم يهود قد اختارهم الله فإنهم لن يعذبهم الرب، حتى إن أذنبوا بل سيغفر لهم، لأنهم أبنائوه وأحبائه (المزمور ٨٥ / ١ - ٢)، كما ادعى اليهود أن الجنة لا يدخلها إلا اليهود الصالحون، قد حكى القرآن الكريم هذه الدعاوى^(١).

اختيار الخالق للشيعة

يدعي الشيعة الإمامية أن الله قد اختارهم من بين خلقه، بل من بين بقية المسلمين، ذلك أن بني آدم خلقوا من الطين، ولكن أرواح الشيعة والأئمة خلقوا قبل أبدانهم من نور معلق تحت العرش قبل خلق آدم^(٢).

ولأن أمر الشيعة وعقائدهم، كما نقل في الأحاديث: (إن أمرنا صعب مستصعب)، أي من الصعوبة أن يؤمن به الإنسان، سوي العقل؛ لذا فقد اختار الله الشيعة فقط لهذا الأمر؛ كي يحملوه ويؤمنوا به، فهو صعب حتى على (الملك المقرب، أو النبي المرسل)، ولكن الشيعة قبلوه؛ لأن الله قد خلقهم من طينة مختلفة عن الآخرين^(٣).

(١) عبد الوهاب المسيري: الموسوعة اليهودية، المجلد ١، ص ٥٦، دار الشروق. ومجلد ٢، ص ٢٦.

(٢) الكليني، الكافي: الأصول، ص ٢٦١.

(٣) الكليني، الكافي: الأصول، ص ٢٣٨ - ٢٣٩.

وتصنف أحاديث الشيعة خصومهم، وتصنفهم بأوصاف سيئة، فما يبقى عليها إلا هم الصفوة.

يروى الكليني عن سليمان بن خالد عن الصادق قوله: (أهل الشام شر من أهل الروم، وأهل المدينة شر من أهل مكة، وأهل مكة يكفرون بالله جهرة)^(١)، ويعلل حديث آخر ما سلف، بأن أهل الروم كفروا، ولكن لم يعادوهم كأهل الشام.

أورد علي بن إبراهيم القمي في تفسيره للقرآن في معرض الآية: ﴿يُوتِ اللَّهُ أَذْنَ أَنْ تَرْفَعَ وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ (النور: ٣٦)، عن الإمام الرضا: (... نحن أبناء الله في أرضه، عندنا علم المنايا والبلايا... وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم... ليس على ملة الإسلام غيرنا وغيرهم إلى يوم القيامة...) (٢).

وادعاء اختيار الشيعة من قبل الله ليس في الدنيا وإنما أيضاً في الجنة، ففي حديث طويل ينسبه الطوسي في أماليه، أنه يوم القيامة يسأل الداخلون في الجنة: من أنتم؟ فيجيبون: نحن العلويون، فيدخلون مع من يوالون^(٣).



(١) الكليني، الكافي: الأصول، ص ٥٢٨.

(٢) القمي: تفسير، ج ٢، ص ٨٠.

(٣) محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، ص ٣٢، بيروت ١٩٨١م.

obeikandi.com

البَقْصَةُ الرَّابِعَةُ

آل موسى وآل محمد وعلي

وصية النبي موسى ليوشع بن نون بعده

ورد في التوراة: أن الرب طلب من موسى أن يوصي بيوشع، أن يكون بعده راعياً لبني إسرائيل: (... ففعل موسى كما أمره الرب، أخذ يوشع وأوقفه قدام العازار الكاهن، وقدام كل الجماعة، ووضع يده عليه، وأوصاه كما تكلم الرب عن يد موسى)، (الإصحاح ٢٧ / ١٥ - ٢٣).

وتشير نصوص التوراة إلى حصر الملك عند بني إسرائيل، بنسل النبي داود، متعلقين بأيام الرخاء والسيادة التي مرت عليهم، في مملكة داود، وابنه سليمان عليهما السلام. جاء في سفر إرميا: (لأنه هكذا قال الرب: لا ينقطع لداود إنسان يجلس على الكرسي بني إسرائيل)، (انظر الإصحاح ٣١ / ١٧).

وجاء في سفر الملوك الأول: (ويكون لداود ونسله وبيته وكرسيه سلام إلى الأبد من عند الرب) (الإصحاح ٢ / ٣٣)، (وانظر كذلك المزامير ٨٩ / ٢٠ - ٣٦).

فالملك عندهم أصله وصية نصية، ثم هو محصور في بيت واحد، ونسل واحد فقط، كما تشير النصوص. وقد تعلق اليهود ببناء هيكل سليمان، الذي دمره نبوخذ نصر، ويرون أن تابوتاً كان قد وضعه سليمان في الهيكل لتقديسه، وأضحى الإسرائيليون يحملون هذا التابوت في حروبهم؛ لاعتقادهم أنه يجلب لهم النصر على عدوهم (انظر سفر صموئيل الأول ٤ / ١ - ٧).

وصية الرسول محمد ﷺ لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه

يرى الشيعة أن لكل نبي وصياً، فكما أن موسى قد أوصى ليوشع بن نون أن يأتي بعده، كذلك الرسول محمد ﷺ، أوصى ونص على أن يخلفه علي بن أبي طالب، وادعوا أن ذلك تم في غدير خم (من كنت مولاه فعلي مولاه). واحتجاج الشيعة بهذا الأمر مشهور ومبسوط، لا حاجة للاستغراق فيه، لكن يصل بهم الحد للاحتجاج أن الله سبحانه وتعالى لم يكتب للرسول محمد ﷺ أن يخلفه ولد، وذلك لحكمة، مجيء وصية علي بن أبي طالب بعده^(١).

الأسباط عند اليهود

السبط هو ولد الولد، واستعملت في المصادر القديمة التي تحكي تاريخ الإسرائيلين بمعنى القبائل، وفي تراث اليهودي أن العز والقدرة والنباهة والنبوة، انحصرت في ولد يعقوب بن إسحاق الأربعة، وهم لاوي ويهوذا ويوسف وبنيامين، والباقيون من ولد يعقوب أصبحوا أسباطاً بهؤلاء، وقد أشار القرآن الكريم إلى أسباط بني إسرائيل عدة مرات قاصداً المعاني أعلاها^(٢).

الأسباط عند الشيعة

قيل: إن أول من جاء بفكرة الأسباط الأربعة هو عبد الله بن حرب، حيث هو الذي وصف أبناء الإمام علي بن أبي طالب بأنهم أسباط، فكما أن أبناء يعقوب أصبحوا أسباطاً، للصفات المذكورة فيهم، فإن أبناء الإمام علي الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية، هؤلاء الثلاثة مع أبيهم علي هم

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج١، ص١٥٨.

(٢) علي النشار: نشأة الفكر الفلسفي، ج٢، ص٨١.

أسباط أربعة، ويشرح سعد القمي في كتابه المقالات والفرق، وهو من مصادر الشيعة الموثقة، أن أولاد يهودا (السيبط الأول)، هم النبي داود وسليمان، ولأوي (السيبط الثاني)، فأولاده موسى وهارون وعزير وحزقيال أما يوسف (السيبط الثالث)، فأولاده يوشع بن نون، وهو وصي موسى، أما السبط الرابع يامين فأولاده طالوت^(١).

٣ - فكرة المسيح المخلص (والمنتظر) عند اليهود

بسبب الاضطهاد الذي تعرض له اليهود قديماً في مصر على يد الفراعنة وفي وادي الرافدين، على يد نبوخذ نصر، وفي فلسطين، على يد الكنعانيين، خصومهم التقليديين، حاول شراح اليهود ورجال دينهم تأويل بعض نصوص التوراة، بأنهم ينتظرون أن يأتيهم مسيح مخلص من جميع تلك الآلام ويجمعهم بعد شتات.

يذكر في التكوين (١٠ / ٤٩)، (لا يزال صولجان من يهوذا ومشتري سلالته حتى يأتي (شيلو) وتطيعه الشعوب)، وفي (العدد ١٧ / ٢٤): «إنني أراه وليس حاضراً أبصره، وليس قريباً يبرز ككوكب من يعقوب، ويقوم صولجان من إسرائيل، فيحطم طرقي مؤاب ويخسف كل أبناء الغرور).

وقد أضفى شراح اليهود على النبي إياهو المذكور عندهم، صفات تقربه من ادعائهم بأنه هو المخلص، وهو المسمى عند المسلمين بإلياس، (انظر الملوك الأول ١٦ / ٢٩ - ٣٣) وفي (أشعيا ٩ / ٦ و٧)، نص صريح واضح، سيأتي لهم ابن مخلص يكون رئيساً يعم به السلام، وعندها كما يقول النص يرعى الذئب والنمر مع العجل و...

(١) سعد القمي: المقالات والفرق، ص ٢٧ - ٣٠.

وفي هذا الجو كما يصور النص أن يمتنع الأسد من الافتراس ويأكل التين (انظر سفر إيلياهو ٦٥).

وقد ظهر بين اليهود إبان الحكم الروماني أدعاء كثير، قالوا: إنه المسيح المنتظر، ولكن الجيش الروماني قتلهم وأتباعهم، واستمر الادعاء بمن ينسب نفسه للمسيح المنتظر الذي وعد به اليهود حتى في ظل الدولة الإسلامية، ففي عهد عبد الملك بن مروان سنة ٦٨٥ م، ظهر رجل في أصفهان اسمه عويدا، ادعى أنه المسيح المنتظر، وفي عهد عمر بن عبد العزيز سنة ٧١٧ م، ظهر في سوريا سورينوس، ادعى أنه المسيح المنتظر في كتب اليهود، وعزي ظهوره إلى الحرية الدينية في عهد هذا الخليفة العادل، وقد ظهر أدعاء بأنهم المسيح المنتظر بين اليهود في عهود وبلاد مختلفة من العهود الصليبية، إلى بلاد المغرب وفارس والعراق^(١).

معركة هر مجدوم ونزول المسيح

لقد تأثر المسيحيون البروستانت بدعوى اليهود الخاصة بالمخلص، وظهوره آخر الزمان، وأضافوا إليها بأن المخلص هذا سيكون المسيح نفسه، ولكن قبل نزول المسيح لا بد من حصول مقدمات فيما يرون، منها إقامة دولة إسرائيل لتجمع اليهود من الشتات، ثم وقوع معركة فاصلة بين قوى الخير والشر (هر مجدوم). حيث يتم في النهاية تنصير اليهود أو القضاء على من يرفض ذلك، وقد استخدم البروستانت قراءة مغلوطة ومحرفة للإنجيل جمعوا بينها وبين نص التوراة المحرف هو الآخر أيضًا، وهذا في رأيهم كله تمهيد لظهور المخلص، فالمخلص لا يظهر فجأة^(٢).

(١) انظر في تفصيل ذلك حسن ظاظا: المصدر السابق: ص ١١٧، وما بعدها.

(٢) محمد يونس: المصدر السابق: ص ١٩٣، وما بعدها.

الإمام المنتظر عند الشيعة

لقد عالجنا دعوى الشيعة المتعلقة بنسبة الإمام الثاني عشر المدعى به محمد بن الحسن العسكري، واختفائه وهو طفل في سرداب في سامراء، وذلك في كتابنا جذور التشيع.

وقد ادعى الشيعة الإمامية أن الإمام المنتظر سيظهر ويملاً الأرض عدلاً وحكمة، وسينتقم من أعدائه وأعداء آبائه، وادعوا أن ظهوره منصوص عليه ولا يشيرون إليه بالاسم، وإنما يشار إليه بعدة صفات: صاحب الزمان، صاحب الدار، المنتظر، الإمام الغائب...

فقد وردت أحاديث عندهم بالنهي عن الاسم، وفصلوا في حال غيبة الإمام، وذكروا كراهية القول بتوقيته ظهوره، وأن غيبته إنما هي تمحيص وامتحان للمؤمنين^(١).

وحينما يظهر الإمام الغائب، فإنه سيحكم بشريعة سليمان وداود. وفي تفسير القمي للآية: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُم مَخْرَجًا خَلْقًا الْأَرْضِ﴾ (النمل: ٦٢)، عن الصادق أنها نزلت في القائم من آل محمد^(٢)، وهو عندهم المهدي المنتظر.

وهناك تفاصيل كثيرة تسردها كتب الشيعة، حول خروج المهدي، وما سيفعل بالعرب خاصة بمكة، وسينتقم من جميع أعداء الشيعة، الذين سيرجعون للحياة لهذا الغرض قبل يوم القيامة، وسيحكم المهدي بشريعة داود، وينفذ حكمه دون طلب البيئة، كما ينقل ذلك الشيخ المفيد^(٣).

(١) انظر هذه التفاصيل في كتاب الكافي (الأصول) الكليني، ص ١٢٠ - ٢٢٠.

(٢) القمي: تفسير، ج ٢، ص ١٠٥.

(٣) المفيد: محمد بن محمد النعمان: الإرشاد، ص ٣٦٥، بيروت ١٩٨٩م.

الإمام الغائب يرون أنه الإمام الثاني عشر، وهو محمد بن الحسن العسكري (نسبة إلى عسكر سامراء) وأنه ولد بسامراء سنة ٢٥٦هـ وقيل ٢٥٥هـ، وغاب بسر داب في سامراء وعمره في روايات مختلفة بين أربع سنوات إلى إحدى عشرة سنة، وأكثر الروايات أنه غاب سنة ٢٦٠هـ وهي سنة وفاة والده.

والروايات التي ذكرها المجلسي في كتابه بحار الأنوار نقلاً عن كتب قديمة تذكر أن أم الإمام المهدي اسمها نرجس وهي جارية رومية^(١). ونقل من كتاب (غظ) رواية خرافية مفادها أن الإمام أبا محمد الحسن العسكري أرسل أحد خدمه من سامراء إلى بغداد؛ ليبتاع له جارية كذا وكذا، وكتب له كتاباً باللغة الرومية؛ ليعطيه إياها ففعل ذلك وتبين له من قولها أنها بنت ملك الروم، وأنها وقعت في الأسر، وأنها كانت قد حملت حلاًماً أن المسيح ابن مريم قد زوجها من أبي محمد الحسن العسكري، فلما قدم بها سامراء وسلمها لأبي محمد قال لها أبو محمد: هل تريدين كذا دينار أم بشارة، فقالت: بل بشارة بولد، فقال لها: أبشري بولد يملك الدنيا فهي أم المهدي^(٢). وتنتهي الروايات المدونة عن ذكر اسم الإمام الثاني عشر صريحاً كذا: محمد بن الحسن، بل يجب أن يدعى: بالحجة من آل محمد أو القائم أو المهدي أو صاحب الزمان، أو صاحب العسكر أو صاحب الناحية المقدسة^(٣). وتختلف روايات أخرى أن أم المهدي اسمها ریحانة، وقيل صقييل أو سوسن^(٤). وتروى عند مولده خوارق منها أن فلاناً عطس عنده بعد مولده بلبلة واحدة فرد

(١) المجلسي. بحار الأنوار. ج ١٣. ص ٢.

(٢) المجلسي. بحار الأنوار. ج ١٣. ص ١.

(٣) المجلسي. بحار الأنوار. ج ١٣. ص ٣٩ وص ٢٣٧ وص ٢٤٢.

(٤) المجلسي. بحار الأنوار. ج ٣. ص ٩٨. وهذا الاختلاف الكبير عند مصادر الشيعة القديمة ألقى الشك استناداً لروايات أخرى بأن الإمام الحسن العسكري لا ولد له وأن وارثه الوحيد هو أخوه جعفر. انظر المجلسي. المجلد ١٣. ص ٢٤٤.

عليه القائم: يرحمك الله. وأن فلانة قد شاهدت طيوراً تمسح بأجنحتها القائم بعد مولده، فقالت لأبيه ذلك فرد عليها: هم الملائكة نزلت تتبرك به ^(١). ورواية تذكر أن القائم شوهد يمشي بالدار يتكلم الفصحى بعد ولادته بأربعين يوماً ^(٢).

وفي هذه الروايات تشبيه واضح واقتباس مما ذكر عن ولادة المسيح ابن مريم ونزول الملائكة حين مولده وتكلمه بالمهدي كما هو مذكور في العهد القديم.

وتصفه روايات الشيعة بأنه شاب وسيم يلبس البياض ويركب حصاناً أبيض، وقد كان الشيعة لعهد قريب يهيئون حصاناً أبيض عند السرداب بسامراء ربما ليركبه عند خروجه. وقد وُجد الشيعة حول هذا السرداب أو يأتون من أماكن بعيدة حاملين الأموال بما يسمى حق الإمام لتسليمه إلى وكيله، ويدخلون ما يعن لهم من أسئلة حول دينهم في رقعة إلى داخل السرداب، ويدعى أن الإمام الغائب يجيب عنها بواسطة وكيله. ودامت هذه الحال إلى ما يقرب من سبعين سنة تعاقبت فيها أربعة وكلاء للإمام الغائب يسمون بالسفراء، وهذه المدة هي ما تسمى عندهم بالغيبة الصغرى، حيث تمتد من سنة ٢٦٠هـ إلى وفاة آخر سفير كما سنرى حيث دخلت مدة الغيبة إلى ما يسمى بالغيبة الكبرى. واضطراب هذه الروايات يدل على عدم وجود ولد للإمام الحسن العسكري وأن غيبته حديث خرافة.

وتسوق روايات كثيرة مسندة إلى أقوام رأوا الإمام الغائب وتدور على قصص فيها الخرافة، فينقل الطوسي في كتابه الغيبة (غيبة الإمام

(١) المجلسي. بحار الأنوار. ج١٣. ص ب - ج .

(٢) المجلسي. بحار الأنوار. ج١٣. ص ٧٧.

الثاني عشر) أن رجلاً رأى الإمام الغائب سنة ٣٠٩ هـ بعد رجوعه من الحج، ورأى من علامة كونه الإمام الغائب أن الجمل يرتفع بالإمام من الأرض إلى السماء^(١). كما تذكر قصص لقوم لا يذكرون أنهم رأوا الإمام إلا بعد مدة من الزمن، فهذا رجل يذكر أنه رأى الإمام الغائب في الكعبة في أثناء الحج يحدث الناس في حلقة علم^(٢). كما ينقل الشيخ المفيد محمد بن محمد ابن النعمان في كتابه الإرشاد أن حكيمة بنت محمد بن علي قد رأت الإمام الحجة يوم مولده، وأن خادمة لإبراهيم بن عبده النيسابوري رأت الإمام الحجة عند الصفا في الكعبة وهو يحدث الناس. كما ذكر أن عمرو الأهوازي قال: أرنيه الإمام أبو محمد الحسن العسكري وقال هذا صاحبكم^(٣).

وقد جمع المجلسي من كتب الشيعة الكثير من الروايات والقصص التي تدور على رؤية الإمام الغائب غالباً في أثناء الحج أو عند سرداب سامراء، وبعضها ينسب أصحابها أن الحجة قد شافهم من أمراض يشكون منها كمرض الفالج وعمى العيون^(٤). ومن طريف ما قرأت قصة محكية عن علي ابن فاضل المازندراني الذي حدثهم في مدينة الحلة في العراق أنه سافر إلى الشام ثم مصر ثم ركب البحر إلى الأندلس، ومنها إلى ما سماه الجزيرة الخضراء في وسط البحر، حيث وجد أهلها شيعة إمامية "اثنا عشرية"، وتلقاه إمام المسجد وأكرمه فتبين للمازندراني أن إمام المسجد من أولاد الحجة الإمام المهدي، وزار المازندراني من جملة ما زاره قبة عليها خادمان، وكان إمام المسجد يرقى إليها ليكتب إلى الإمام الحجة، فيخرج له جواب

(١) الطوسي. الغيبة. ص ١٥٥.

(٢) الطوسي. الغيبة. ص ١٥٢. وقد أورد الطوسي في هذا الكتاب. ص ١٧٠ أخبار من رأى الإمام الغائب وصفته.

(٣) المفيد. الإرشاد. ص ٣٥٠ - ٣٥١.

(٤) المجلسي. بحار الأنوار. ج ١٣. ص ١١٨ - ١٢٣.

أسئلتهم. ولما طلب المازندراني هذا من إمام المسجد أن يرى الحجة أجابه بالمنع، ثم قال له: إنك رأيته مرتين، ولكنك لم تتنبه أنه الحجة؛ مرة في سامراء ومرة في موضع كذا، فذكره الحادثتين فتذكرهما المازندراني^(١). وأمثال هذه الروايات قد دفعت أحد علماء الشيعة المتأخرين وهو حسين ابن محمد النوري الطبرسي إلى تأليف كتاب: (جنة المأوى في ذكر من فاز بقاء الحجة ومعجزاته في الغيبة الكبرى). وقد طبع في آخر الجزء الثالث عشر من كتاب بحار الأنوار للمجلسي أورد فيها تسعاً وخمسين حادثة رؤية الحجة في تواريخ مختلفة تقع ما بين سنة ٣٩٣هـ - ١١٨٦هـ. استغرق تسطيرها ما بين ص ٢٥٢-٢٩١ من كتاب بحار الأنوار، الجزء الثالث عشر. والمهم أنها جميعاً بعد الغيبة الكبرى. وساق المجلسي رواية من أحد الكتب القديمة عن شخص طلب عدم ذكر اسمه كيف أنه نزل السرداب بسامراء سنة ٦٣٥هـ، ووضع فيه كتاباً فيه أسئلة، وأنه شاهد الحجة، وحمل عنه رقاعاً ورسائل^(٢).

ويقع علماء الشيعة وأتقيائهم في حيرة في كيفية التوفيق وتصديق الروايات المروية والمتضاربة في موضوع رؤية الإمام الغائب، أو أنه يكتب للصفوة من الشيعة، فيكاد إجماع الشيعة ينعقد على صحة رواية عن السفير الرابع والأخير علي بن محمد السيمري، حيث وصلت له رقعة من الإمام الغائب وبتوقيعه قبل وفاة السيمري بشهور سنة ٣٢٩هـ ورد فيها: «لقد وقعت الغيبة التامة فلا ظهور إلا بعد أن يأذن الله، فمن ادعى رؤيتي فهو كذاب مفتر»^(٣).

(١) المجلسي. بحار الأنوار. ج١٣. ص ١٤٤ - ١٤٨.

(٢) المجلسي. بحار الأنوار. ج١٣. ص ١١٨. والرواية من كتاب (نجم).

(٣) المجلسي. بحار الأنوار. ج١٣. ص ٢٨٥.

وفي رواية أخرى عن السيمري يذكر النص هكذا «... من يدعي المشاهدة قبل خروج السفيناني والصيحة فهو كذاب مفتر^(١)». وللخروج من هذا المأزق يرى البعض أن الحديث السالف آحاد لا يلزم تصديقه، حيث تعارضه أخبار كثيرة وردت في مشاهدة الإمام الغائب كالتي سقناها آنفاً وقيل: لعل المقصود بانقطاع المشاهدة على السفراء الأربع لا بسائر الخواص من علماء الشيعة. ورأي ثالث ذهب إلى أن قول الإمام الحجة السالف إنما يؤخذ في حال حكم بني العباس الذين يخشى الإمام أن يقتلوه، أما بعد أن يأمن فإن أولياءه يشاهدونه ويكتب لهم.

ورأي رابع يؤوله إلى أن المشاهدة المنفية إنما هي أن يشاهد الإمام، ويعلم أنه هو الإمام الغائب حال المشاهدة لا بعدها. وتذهب رواية أخيرة منسوبة عن الكليني في الكافي والنعمان في كتابه الغيبة في غيبته، وعلق على ذلك حسين بن محمد النوري أن ذلك قد يكون في كل عصر ثلاثون ولياً يتشرفون بلقائه^(٢). وهكذا فتح الباب على مصراعيه بعد أن كان مغلقاً، فما الداعي إلى ذلك يا ترى؟

إن هذه حاجة مهمة يحتاج إليها بلقائه أئمة الشيعة خاصة من الناحية السياسية، حيث قد يحتجون بأنهم يتلقون الأوامر من الإمام الغائب.

إن عناصر الفكر اليهودي قد تسربت إلى فكرة الإمام الغائب بطرق شتى، منها الإمام المنتظر حينما سيظهر أمره سيحكم بشريعة النبي داود عليه السلام، روى الكليني فقال في الكافي: «قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا قام قائم

(١) المجلسي. بحار الأنوار. ج ١٣. ص ٢٨٥.

(٢) المجلسي. بحار الأنوار. ج ١٣. ص ٢٨٥ - ٢٨٦.

آل محمد حكم بحكم داود وسليمان ولا يسأل البينة»^(١). وفي رواية أخرى تخفف هذا الاتجاه الكلي نحو اليهودية تقول: إن القائم سيحكم لكل فرقة بكتابها؛ لأهل التوراة بتوراتهم، وأهل الإنجيل بإنجيلهم، وأهل الزبور بزبورهم، وأخيراً أهل القرآن بقرآنهم^(٢). وهذا اتجاه أممي يشبه ما ظهر لاحقاً في الهند مما يسمى بدين أكبر كما سبقت الإشارة إليه: كما تذهب روايات إلى أن القائم سيهدم مسجد رسول الله ﷺ وكذلك المسجد الحرام، ويردهما إلى أساسهما الصحيح في رأيهم. كما يخرج أبو بكر وعمر من قبرهما ويصلبهما ويحرقهما^(٣).

والدوافع السياسية واضحة فيما وضع في أفواه الأئمة من أقوال تخص ما سيفعله الإمام الغائب بعد ظهوره، فهو سيستأصل العرب وقريشاً من شأفتهم، روى النعماني في كتابه «الغيبة» عن الحارث بن المغيرة أن أبا عبد الله ﷺ قال بهذا الخصوص: «ما بقي بيننا وبين العرب إلا الذبح»^(٤). ولهذا فإن العرب في رأيهم لن يخرج منهم مع الإمام الغائب أحد ذلك. وأنه لن يبقى منهم إلا القليل^(٥). ولذا سيبلغ بالناس الشك، ويقولون: إن الغائب ليس من آل محمد، فلو كان كذلك لرحم^(٦)، وهذا إرهاب وتهيئة النفوس لما يودون القيام به مستقبلاً في الحرمين، وغيرهما على يد أناس لا صلة لهم بالعرب، وكل هذا يؤخذ رد فعل ضد العرب.

(١) الكليني. الكافي. ج ١. ص ٣٩٧.

(٢) النعماني. الغيبة. ص ١٥٧.

(٣) المجلسي. البحار. ج ٥.

(٤) النعماني. الغيبة. ص ١٥٥.

(٥) النعماني. الغيبة. ص ١٣٧.

(٦) النعماني. الغيبة. ص ١٥٤.

وإذا كان مبدأ الإمامية القدماء هو فقط الانتظار لظهور الإمام الغائب لإقامة دولته، ويروون بذلك أحاديث عن الأئمة بلزوم الهدوء وعدم إعلان نواياهم، فإن المتأخرين من الإمامية لما توافرت لهم حرية القول ذهبوا إلى القول بوجوب التوطئة لظهور الإمام الغائب، وذلك بالعمل السياسي والثورات والتحضير لقيام الدولة^(٧).

وبعد الحكم البويهى أصاب سامراء نوع من الإهمال، وأضحت مدينة الحلة مركزاً شيعياً يدرس فيها طلاب العلم، وكان لها شأن في نكبة هولاء ودخول التتار العراق كما قدمنا، فقد ساد في أوساط الإمامية أن ظهور الإمام الغائب سيكون في الحلة في جامع ما يسمى «آخر الأئمة»، وقد زار ابن بطوطة هذا المسجد، وذكر أن على بابه ستارة حرير، وكان من عاداتهم أن يخرج في كل ليلة رجل مسلح يأتون المشهد، وينادون بطلب ظهوره^(٨).

إن فكرة الإمام الغائب وجدت أيضاً عند اليهود خاصة في فترة السبي البابلي، حيث ذاق اليهود المهانة والتشريد على يد نبوخذ نصر سنة ٧٢١ قبل الميلاد على يد الآشوريين. ففي التلمود البابلي الذي كتبه أحبار اليهود في بابل يذكر أن سيظهر المسيا من نسل داود، وسيعيد دولة داود في فلسطين وسيقوم ببناء الهيكل، وأنه سينتقم من أعداء اليهود وسيكون اليهود هم سادة العالم؛ لما بيدهم من أموال^(٩).

وقد أوضح أحمد الكاتب كيف تطورت فكرة الشيعة في القرن الأول الهجري من مجرد أحقية الإمام علي في الخلافة بكونه أفضل القوم إلى أن

(٧) عبد الهادي الفضلي. في انتظار الإمام. ص ٥٧.

(٨) دونالدسون. الشيعة. ص ٢٤٧.

(٩) د. محمد البار. المسيح المنتظر وتعاليم التلمود. ص ١٠٨. وما بعدها.

طورها متكلمو الإمامية إلى دعوة النص والعصمة في القرن الثاني الهجري، وبحث أحمد الكاتب كيف ولماذا ادعى الشيعة (الاثنا عشرية) في بداية القرن الثالث الهجري غيبة الإمام الثاني عشر، فمن كون الغيبة حديث خرافة وكيف تكلم الشيعة (الاثنا عشرية) بتأصيل فكرة الإمامة المبنية على النص والعصمة ثم على الغيبة، وأن الإمام الغائب سيظهر فيما بعد يملأ الأرض عدلاً، وخلاصة بحثه: أن هذه النظرية لم تكن إلا من صنع الشيعة الغلاة، ولكن الشيعة (الاثنا عشرية) لم يستطيعوا التخلص من ذبول هذه النظرية، ومما دخل عليهم من معتقدات الغلاة^(١).

حق التضحية بالآخر عند اليهود

١ - في القرن الرابع قبل الميلاد، بعد السبي البابلي، وبعد إعادة كتابة التوراة ٥٨٩ ق.م. ظهور التلمود، وهو تفسير أحبار اليهود، وهم ضعاف في العراق خاصة، فيه ظاهر حب الانتقام، وعقدة الغالب، ونظرية حق الغالب، إذن لا بد من إعادة (الفصح اليهودي) المستخرج من سفر الخروج.

وهم في العيد يمثلون إعادة وتضخيم ما وقع على اليهود من ظلم فرعون، وأنهم في العيد يأكلون خبزاً من غير خميرة، معجون بالدم النقي من نصراني. في بولندا عام ١٨٤٠ حادثة فيلكس هويزا ضحى بها اليهود من أجل فطيرة العيد، وارتبط عيد الفصح وعيد البوهيم، وعيد تطهير الموضح لإسالة دم الطفل مقطوع العلقه، ويجب أن يكون من دم شاب نقي ولنص: «يحل بقر الأممي (البوهيم) حتى في يوم السبت»، نص وشاع خطف الأطفال، وحوادث خطف الأطفال مسجلة في بريطانيا، وحلب، وبولندا منذ ١٨٠٠ م، سنة ١٨٤٨ م حادثة خطف شاب نصراني من بور سعيد.

(١) أحمد الكاتب، تطور الفكر السياسي، ص ١٠١ وما بعدها.

الأسفار الستة تعكس صورة الانتقام والتضحية بالآخر، ففي سفر التكوين الوعد الأبوي يهوه يعد بإعطاء شعبه الأرض، يبرر يهوه السبي والتضحية بالآخر «حتى أدخلكم الرب إلى الأرض التي وعدكم، وطرد من أمامكم سبع أمم... فإنكم تحرمونهم فلا تقطعوا لهم عهداً، ولا ترفقوا بهم، ولا تصاهروهم ولا ... اهدموا سواريتهم، واحرقوا تماثيلهم و...» ١٨ - ١٦ سفر التكوين، «... لا تستبقوا منهم نسمة...»، «وإذا يسير ملاكي أمامك الذي أنا أبيهم... أزعجهم...».

«... ابعث الزنابير أمامك، ستطرح الحوتيين...»، «لن أطردهم في سنة واحدة كي لا يتكاثر عليك وحوش البرية، بل تدريجياً، ريثما تثرون البلاد... من البحر الأحمر إلى الفرات» سفر الخروج، سفر يوشع، سفر دموي، يتحدث بشكل واضح مبرراً لليهود التضحية بدم الآخر، وهو يصف يهوه، وفيه تبرير أخلاقي وديني.

الاحتجاج السادس الآية ٢٠: «... رفيق الشعب ونفخ الحاخامات، و... دمروا المدينة، واقضوا بحد السيف على الناس والبقر و... وقتل يوشع ملكها... توجه إلى أريحا فأسلمها الرب وقتلوا كل نفس فيها...»، وهنا النص يعطي اليهود مبرراً لقتل الآخر وأخذ أرضه، والانتقام...

أي إن الخلاص عند اليهود لا يتم إلا بالتضحية بالآخر، وقد تأثرت المسيحية بهذه النصوص واستعملتها في الحروب الصليبية، والحروب الحديثة في الشرق الأوسط، أفكار الرئيس الأمريكي بوش في حربه للعراق، لا تتفصل عن هذه المبررات الماسونية وشعاراتها مرتبطة بالجماعم والدم، إبادة الهنود الحمر سكان أمريكا من قبل المهاجرين الأوروبيين، أيبدو

باسم الرب وتحت مبررات دينية متأثرة باليهودية والتوراة، حروب أمريكا الجرثومية السرية تتم تحت هذه المبررات، استعمال المرتزقة كي يفعلوا ما يشاؤون هو تحت هذا المبرر.

ظهور المهدي وولاية الفقيه عند الشيعة

٢ - ولاية الفقيه: تعطي مبرراً للفقيه أن يقوم بأعمال فيها حث على القيام بأعمال المهدي.

- قتل الناصبي والتضحية فيه.

- جيش المهدي ما هو؟ ولأجل ماذا؟

تاريخ ما بعد الظهور، محمد باقر الصدر، سيناريو القتل والطوفان والقتل والتمهيد، ينص على كشط الأرض، حتى صارت عند بعض الشيعة أن المهدي سيخرج سنة ٢٠١٢ م.

قال الصدر في كتابه أعلاه: إنه يجوز للمهدي قتل الآخر حتى إن لم يكن معتدياً، أي إن المهدي يهدف لقتل المسلمين، إلا أنه مكلف من الله تعالى باستئصالهم أجمعين.

في بحار الأنوار... عن أعمال القائم مثل ذلك، وفي ذلك تبرير حتى قتل العرب الشيعة ربما الإيرانيون قتلوا السنة البلوش تحت هذا المبرر، حديث المفضل الوارد في بحار الأنوار يبرر مثل هذا القتل.

من علامات ظهور المهدي الهرج والمرج في الحرب، في الحج إبادة قريش، وقتل بني شيبه، ونقل الحجر الأسود إلى الكوفة، هدم المسجد

الحرام، قتل علماء السنة في الكعبة، أفعال الشيعة الصفويين في إيران تعكس هذه المبادئ.

تقديس اليهود لأنبيائهم وعلمائهم وادعاء العصمة

تذكر التوراة أن الرب وصف موسى بأنه إله لفرعون، وهارون أخاه بأنه نبي لموسى (الخروج ٧ / ١)، وتضفي التوراة على النبي دانيال، دخول روح القديسين فيه، وهي فكرة تقترب من فكرة الحلول التي قال بها الصوفية فيما بعد (الإصحاح ٣٢ / ٢٤ - ٢٧)، وتنسب التوراة إلى النبي إيليا طلب نزول المطر (الإصحاح ١٨ / ٤١ - ٤٥).

وتدعو بعض تعاليم اليهود إلى ضرورة التمسك بأقوال العلماء أكثر من التمسك بأقوال النبي موسى، ففي التلمود نص يقول: «... تمسك يا بني، بأقوال العلماء أكثر من التفاتك إلى شريعة موسى» ونشير إلى أن التلمود هو شرح، وتفسير علمائهم للتوراة، بل إن التلمود يطلب من اليهود ألا يجادلوا عالمهم، فمن يفعل ذلك فكأنما جادل الرب سبحانه، والتلمود الذي كتبه حاخامات اليهود مليء بتقديس رجل الدين اليهودي (الربان)، فنصوصه ترد بعدم جواز مخالفتهم، وزعموا أن الله يستشير علماء اليهود حينما يهم بحل بعض المشكلات، وزعموا أن الله يدرس التلمود في الليل، بل يرون أن الربان بعض الأحيان يعلمون أهل السماء، ويعد عندهم الربان هؤلاء معصومين من الخطأ.

تقديس التابوت عند اليهود

يشير التراث اليهودي وشرح التوراة إلى أن التوراة عندما جاء بها النبي موسى عليه السلام كانت على ألواح، ولأجل حفظها كان بنو إسرائيل

يضعونها في تابوت خشبي، يحملونه معهم أينما ساروا، وفي حروبهم مع الآخرين كانوا يتبركون بهذا التابوت، يستنزلون به النصر على أعدائهم، وقد أشار القرآن الكريم إلى السكينة التي كانت تدخل على بني إسرائيل بسبب هذا التابوت.

تقديس الكرسي عند بعض الشيعة

في أثناء ثورة المختار بن عبيد الله الثقفي في الكوفة بدأ بمهاجمة بيوت من عرف بمشاركته بمقتل الحسين بن علي رضي الله عنه، وفي أثناء نشوة القوم بالانتصار، ظهرت عجوز للمختار مدعية أن لديها الكرسي الذي كان يجلس عليه الإمام علي رضي الله عنه في الكوفة، أو الذي كان يصعد عليه في خطبه، فجيء بالكرسي ووضع عليه قماشة وأخذوا يدورون به في قتالهم لجيش ابن زياد في الكوفة رافعين أصواتهم بطلب النصر، وتلا بعضهم الآية الكريمة الواردة في القرآن، والخاصة بتابوت بني إسرائيل، الذي كان فيه سكينة عليهم، ويذكر الطبري أن السبئية رفعوا أيديهم وكبروا للكرسي، وعندما نهرهم شبت بن ربعي، طالباً ألا يكفروا، طردوه وأخرجوه من صفوفهم، ولما شاهد إبراهيم ابن الأشتر النخعي هذا الوضع، قال: اللهم، لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، وقال: هذه صفة بني إسرائيل ^(١).

تقديس الشيعة لأئمتهم وعلمائهم

يرى الشيعة الإمامية، أن الإمام هو حجة الله على خلقه، وأن الأرض لا تخلو من حجة، وأن طاعته مفروضة من الله تعالى، والأئمة هم الهداة

(١) الطبري: تاريخ، ج٦، ص٨٢.

وخزنة العلم، وهم خلفاء الله في أرضه، وهم الأبواب التي منها يؤتون، وهم نور الله وأركان الأرض، وأن أعمال العباد تعرض عليهم، كما كانت تعرض في رأيهم على الإمام علي رضي الله عنه، وأن الأئمة عندهم جميع الكتب السماوية التي أنزلها الله على أنبيائه، وأنهم يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة والأنبياء، كما يعلمون الغيب، ويعلمون متى يموتون، ولا يموتون إلا باختيار منهم، وهم يعلمون ما كان وما سيكون، وأن الله قد فوض إليهم أعمال العباد، ولكن يكره القول فيهم بالنبوة، إن الإمامة عهد من الله، وإنها تثبت في الأعقاب، وأن كل إمام ينص على من بعده ^(١).

أورد علي بن إبراهيم القمي في تفسيره سبعة مواضع، ادعى فيها علو شأن الإمام علي رضي الله عنه، ومجارة تلك المنزلة قرب النبي صلى الله عليه وآله، خاصة في الإسراء والمعراج، حيث مثال علي رضي الله عنه مع الرسول صلى الله عليه وآله، وقد كان علي ضمن من صلى بهم رسول الله صلى الله عليه وآله من الأنبياء ^(٢)، ونسب القمي للرسول صلى الله عليه وآله أنه وجد اسم علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند سدرة المنتهى وفي الجنة، وفي... ^(٣)،

ولشدة تقديس الشيعة لأئمتهم أخرجوهم من آدميتهم التي خلقهم الله عليها كما هو شأن بني آدم الآخرين، ورغم إلحاح بعض الأئمة الذين بلغتهم تلك المبالغات في تقديسهم، حيث ورد عن الصادق: «قولوا بنا ما شئتم، ولكن لا تخرجونا من آدميتنا»، رواتهم ومؤلفوهم يصرون على وضع الأئمة فوق منزلة البشر، وأنهم خلقوا في عالم الذر قبل خمسة آلاف عام من خلق آدم، خلقوا من نور معلقين تحت العرش، وتكرر فكرة خلق الأئمة

(١) الكليني، الكافي: الأصول، ص ٩٠ - ١٢٠.

(٢) القمي: تفسير، ج ٢، ص ٣١١ - ٣١٢.

(٣) القمي: تفسير، ج ٢، ص ٣١٤.

من نور، ينتقل في الأصلاب، ولا يستبعد أن يكون هذا الفكر مرتبطاً بثقافة الرواة الشيعة من الفرس، عن الديانة الفارسية القديمة الخاصة بالثانوية المكونة من إله الظلمة، وإله النور، وإذا قرأت في كتاب علل الشرائع، لابن بابويه القمي^(١)؛ تطالعك هذه الثقافة في كثير من العلل التي يبحث عنها المؤلف، وترفع روايات الشيعة منزلة الإمام علي إلى منزلة الرسل والأنبياء، بل أعلى من منزلة موسى؛ لأن موسى بان من جهله حينما التقى الخضر حيث علمه أموراً باطنية، فاستخدم الشيعة هذه العلة للرد على من أنكر على الإمام علي (عليه السلام) - قتله مخالفه الذين كانوا يصلون ويحجون ويزكون، فتقول الرواية: إنه استحل قتلهم بعلم مثل قتل الخضر للغلام الذي قدر أنه سيسقي والديه^(٢).

وفي تعليق ابن بابويه - لوقوف سليمان على عصاه المدة الطويلة، وهو في الحقيقة ميت، علل بعضهم أنه إله، وقال آخرون: إنه لساحر، ونبي الله أيوب إنما ابتلاه الله بسلب نعمته منه ثم سلبه نعمة الصحة من بدنه رغم كونه شاكراً لأنعم الله، لكن الشيطان سأل الخالق أن يسلطه على أيوب، فكان ذلك من فعل الشيطان، وبتقدير الله.

ويروي ابن بابويه العلة التي من شأنها سمي الإمام علي علياً قال: «... والله الأعلى وهذا علي»^(٣).

أما أولاد علي فالله سمي الأول: شبر = الحسن، والثاني شبير = الحسين، ولعل المراد تقريبيهم من العجم، أما نور الطينة التي خلق منها علي

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج ١، ص ٣٥، وما بعدها.

(٢) المصدر السابق: ج ١، ص ٨٢.

(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج ١، ص ١٦٣.

ابن أبي طالب عليه السلام، فقد خسر منها الملائكة، حينما مرت عليهم في ملكوت الله.، وحب علي عليه السلام يعرض على الأولاد فإن أحبوههم فهم منهم وإلا فإن أولئك الأولاد ليسوا منهم^(١).

وتعكس أحاديث عند ابن بابويه القمي أن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قسيم الله على الجنة والنار، وعلي يدخل الجنة مثل النبي صلى الله عليه وآله، لأنه حامل لوائه^(٢)، وفاطمة زوجة علي كانت تحدثها الملائكة، مثلها مثل مريم بنت عمران وسارة امرأة إبراهيم^(٣).

وهذا التقديس عند الشيعة لم يقتصر على أئمتهم، بل جعلوه يعم على الشيعة أنفسهم، فالأصل أن طينة الشيعة التي خلقوا منها طينة طيبة لا تدفع صاحبها إلى إثم أو محرم.

وما يرتكبه الشيعة من آثام شرب الخمر، أو زنا، أو لواط، أو ارتكاب محرم، فإنه من تأثير طينة المخالفين لهم، وبالمقابل ما ترى من أعمال خير يقوم بها المخالفون، فإنهم يعملونها بسبب طينة الشيعة التي خلقوا منها، وفي يوم القيامة سيرد كل عمل إلى صاحبه، فلا يلقي الشيعة إلا الثواب الطيب، وقد أورد ابن بابويه القمي أحاديث كثيرة بهذا المعنى، وفيها تسهل - مع الأسف - للشيعة ارتكاب المعاصي، لأنها ليست من طينته، ولم يقصدها، وهي من تبريرات بني إسرائيل على ارتكاب المحرمات^(٤).

(١) المصدر السابق: ج١، ص١٦٥ - ١٧٣.

(٢) المصدر السابق: ج١، ص١٩٦ وص٢٠٥.

(٣) المصدر السابق: ج١، ص٢١٧.

(٤) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج٢، ص٢٠٠ - ٢٠٣.

ويروي الشيخ المفيد في كتابه (الاختصاص) أحاديث وأقوالاً ترفع الإمام علي رضي الله عنه، والأئمة إلى درجات قريبة من درجات النبوة، إلى حد القول: إن الله سبحانه وتعالى قد ناجى علياً في الطائف، وتكاد تكون المناجاة درجة قريبة من الوحي^(١)، وهذا ما سهل على بعض فرق غلاة الشيعة من الادعاء بأن النبوة أصلاً كانت موجهة إلى علي رضي الله عنه، وليس إلى محمد ﷺ ولكن جبريل صدها عن حيدرا.

ومقولات الغلاة هذه لم يستطع الشيعة الإمامية التخلص منها، رغم ما فيها من غلوفاضح، فهذا الشيخ المفيد يروي أن الإمام علي رضي الله عنه عرج إلى السماء بقصد أن يفض منازعة بين ملكين تخاصما في شأن^(٢)، ويساير الشيخ المفيد علوم التوراة فمن كفرته التوراة من الملوك مثلاً يكفر هو الآخر.

فقد أورد المفيد كفر الملك نبوخذ نصر^(٣)، مسaire للتوراة لأنه هدم أورشليم، وسبى اليهود وجاء بهم إلى بابل، وفي المقابل فإنه يقدس كل ما جاءت به التوراة، حتى لرجال بني إسرائيل غير معروفة أعمالهم.

وقد وصل الغلو والتقديس، عند بعض الشيعة للأئمة إلى درجة أنهم نسبوا إليهم معرفة الغيب، ومعرفة لغة الحيوان والطير، ومعرفة متى يموتون، بل نسبوا إلى بعضهم إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والشفاء من الأمراض العvisية، ومعرفة كل ما كان وما سيكون، وهذا من الغلو الذي لم يستطع الإمامية الخلاص منه، فقد أورد تفاصيل تلك المعجزات الشيخ

(١) المفيد: الاختصاص. ص ١٩٩، وما بعدها.

(٢) المفيد: الاختصاص. ص ٢١٣.

(٣) المفيد: الاختصاص. ص ٢٦٥.

المفيد بوصفها خصائص تفرد بها أئمة الشيعة، وأن الله فوض إليهم إدارة شؤون البلاد والعباد^(١).

وليس موسى وحده عند اليهود مقدسًا، بل هو وجميع الأنبياء مقدسون عند المسلمين، ولكن الشيعة يقدسون الإمام علي بنفس السبل التي قدس بها اليهود موسى عليه السلام، ومنها أن عليًا كما يروي الطوسي بعد خروجه من مسجد الكوفة، تبعه شخص مهيب أبيض اللحية، فكلمه وسار معه، ثم رجع علي عليه السلام، قال لأصحابه: إنه الخضر يناصحتني^(٢).



(١) المفيد: الاختصاص. ص ٣٠٠ - ٣٢٥.

(٢) محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، ص ٥١.

التشابه الفكري بين اليهودية والتشيع

التقية عند اليهود

ترى فرقة اليهود المعروفين بالفريزيين التي عرفت باستخدام الدهاء، والحيلة في مسلكها، وهي التي نسب إليها التآمر، وقتل السيد المسيح، يرون إباحة إخفاء ما يضمرون عن مخالفيهم، واستخدام ذلك لأغراضهم وأهدافهم المستقبلية؛ ولهذا جاء الحكم عليهم بالإنجيل، بالتزمت الأحمق والتناقض بين أقوالهم وأفعالهم وتآمرهم، ونفاقهم^(١).

وتبيح تعاليم التلمود لليهودي إخفاء مقصده بالحديث مع المخالف، وأجاز لهم النفاق، أو أن يغش الكافر، كما يقول التلمود، وحتى حين السلام والتحية أباح لهم التلمود التورية، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم: ﴿حَيَّكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ﴾ (المجادلة: ٨)، كما أجاز التلمود لليهودي أن يحلف اليمين، الغموس كذباً مع باقي المخالفين.

فكرة التقية عند الشيعة :

مفاد هذه الفكرة أن تظهر للناس خلاف ما تبطن من الاعتقاد؛ حماية للنفس أو ما دونها. وقد كان الشيعة من المعارضين السياسيين منذ أوائل الإسلام، وبسبب معارضتهم هذه تلقوا أشد النكبات، كما أوضحنا سابقاً،

(١) حسن ظاظا: المصدر السابق، ص ٢١٣.

فمن الطبيعي ظهور مبدأ التقية على هذا المعنى؛ حماية لهم وقد يكون هذا المبدأ هو سبب وجود الشيعة وخاصة الإمامية منهم إلى اليوم، في حين أن حزب المعارضة الثاني والقوي أيضاً قد اندثر وهم الخوارج. ولكن الشيعة قد توسعوا في تطبيق هذا المبدأ بشكل خرج عن مبررات وجوده التاريخية، وأصبحت التقية ديناً يُتعبد به عند المتأخرين.

لقد برر الشيعة سكوت أئمتهم على عدم الإنكار على مخالفيهم من الحكام والولاة بمبدأ التقية، وقالوا: إن علياً سكت ولم يعارض في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، تقية منه وخوف الفتنة، وكذا فعل الإمام الحسن ابنه مع معاوية سواء بسكوته عن المطالبة بالإمامة أو ما ورد عنه من تنازله لمعاوية، كل ذلك تقية منه وحماية لأصحابه، وهو أمر جائز ديانة^(١). على أن الإمام الحسين لم يأخذ بهذا المبدأ بل جاهر وخرج على السلطان وقتل ومن معه في كربلاء^(٢). وتقع كتب الشيعة الإمامية في حيرة وتناقضات حين مناقشة موضوع سكوت علي تقية من أبي بكر وعمر وعثمان مع أن الروايات توضح أن الإمام علياً كان شجاعاً لا يهاب أحداً في الحق، وحين عرض عليه أصحاب الشورى أن يبايعوه بشرط التزامه بسيرة الشيخين رفض، وهذا الرفض يدل على عدم أخذه بالتقية^(٣).

وتورد بعض المصادر الشيعية أسباباً أخرى لظهور مذهب التقية، فقد ذكر النوبختي أن بعض أصحاب الإمام جعفر بن محمد انفضوا عنه ومالوا إلى مقولة مذهب البترية الذي سبق أن عرضناه، وبعضهم أخذ بمقولة

(١) عبد النبي الجزائري. المبسوط، ص ١٣٥ - ١٧٤.

(٢) ابن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة. ج ١٢. ص ٢٥٦ - ٢٦٧.

(٣) المصدر السابق عن كتاب الشايف للسيد المرتضى.

سليمان بن جرير الذي ذكر أنه لا يمكن أن يقع على الشيعة أو أئمتهم القول بالكذب، وذلك لوجود مذهب البداء والتقية، وقال: إنه لما كثرت على أئمتهم مسائل شيعتهم من الحلال والحرام أجابوا فيها، فحفظ عنهم شيعتهم إجاباتهم عنها، ولكن لم يحفظ هؤلاء الأئمة هذه الإجابات؛ لتقادم العهد وكون المسائل لا ترد في يوم واحد بل سنين متباعدة، فوقع بأيدي أتباع الإمام إجابات متباينة لمسألة واحدة، فأنكروا على أئمتهم ذلك، لكن أئمتهم برروا ذلك بأنهم قد أجابوا تقية؛ لأن في ذلك بقاء الأئمة وأتباعهم^(١).

ويبدو أن هذه هي الأسباب المهمة التي أدت بالشيعة إلى التوسع في القول بالتقية، فعلى ذلك شواهد في كتب الشيعة الإمامية، فقد ذكر النجاشي في كتابه (الرجال) أن عمر (ابن رباح) كان من أصحاب الإمام أبي جعفر الصادق، ولكن انفص عنه بسبب أنه سأل الصادق عن مسألة، فأجابه فيها بجواب، ثم أعاد السؤال عليه في عام آخر فأجابه بجواب غير الأول، فقال له: إنك أجبتني عامك الماضي بكذا، فقال له الإمام: «إن جوابنا خرج على وجه التقية» فشك في إمامته، وانفص عنه^(٢).

إن رفض المجتمع الإسلامي لآراء الشيعة كان من الأسباب المهمة التي جعلتهم يأخذون بمبدأ التقية، فيجيبون السائل بخلاف ما يعتقدون ويخفون اعتقادهم؛ خشية أن يفتنوا ويدخلوا في خصومات مع الآخرين، ويبدو لهذا السبب أن أئمتهم وقادتهم يأمرهم بكتمان اعتقادهم وعدم إذاعته، فقد نقل المجلسي عن كتاب (سنن) عن سليمان بن خالد قال:

(١) النوبختي. فرق الشيعة. ص ٥٥ - ٥٧.

(٢) النجاشي. رجال. ص ٢٣٧.

قال لي أبو عبد الله: يا سليمان، إنكم على دين من كتبه أعزه الله، ومن أذاعه أذله الله^(١).

وقد عقد المجلسي في كتابه البحار باباً طويلاً عن التقية والمدارة، فقد روي عن الإمام الصادق أن التقية تسعة أعشار الدين، ولا دين لمن لا تقية له. وأجازوا القول بالتقية إلا في شيئين: عدم حلية شرب النبيذ والمسح على الخفين. وهذا يمثل رد فعل ضد أصحاب أبي حنيفة في الكوفة مجاورهم الذين يقولون كما هو معلوم بحلية شرب النبيذ والمسح على الخفين^(٢).

ونقل المجلسي رواية عن الإمام علي قوله: إنا لنبش في وجوه قوم وإن قلوبنا تلعنهم^(٣). كما أورد المجلسي روايات عن الإمام علي تجيز للشيعة سبه إذا دعاهم المخالفون إلى ذلك، وهذا يعكس حقيقة ما أوردنا في شيوع سب الإمام في العهد الأموي. بل أورد أيضاً روايات وأخباراً تفيد عدم تحرج الشيعة بالقول بأي شيء يرضي المخالف؛ وذلك كي يخلصوا من الرمي بالرفض، وتأمّر هذه الروايات أو أخبار الإجابة بالتورية، ويحتجون بذلك أن عمار بن ياسر قد سب النبي ﷺ حينما طلب منه المشركون ذلك، وأقره الرسول ﷺ على ذلك وما زال قلبه مطمئناً بالإيمان^(٤). ونقل المجلسي عن كتاب الهداية رواية عن الإمام الصادق أنه قال: خالطوا الناس بالبرانية، وخالفوهم بالجوانية مادامت الإمرة صبيانية^(٥).

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٦ ص ٢٢٥.

(٢) المصدر السابق. ص ٢٢٤. عن الكليني. الأصول. ج ٢. ص ٢١٩.

(٣) المصدر السابق. ص ٢٢٦.

(٤) المصدر السابق. ص ٢٢٦ - ٢٢٨ وانظر أيضاً: ص ٢٢٣.

(٥) المجلسي. البحار. المجلد ١٦. ص ٢٣١.

وينتهي العمل بالتقية عند الشيخ الصدوق من الإمامية بظهور الإمام الغائب، فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله، وخالف رسوله والأئمة، وقد عقد لها فصلاً كاملاً^(١).

وتطبيقات التقية عند الشيعة الإمامية اتسع العمل بها إلى أن تشمل جميع نواحي الدين بعد أن كانت في البداية مقتصرة على ما له علاقة بالسياسة والحكم، فقد أفرد الكليني رواية تذكر أن الإمام الحسين بن علي خرج في جنازة أحد المنافقين برغم إنكار أحد مواليه عليه^(٢).

وتذهب رواية إلى أن الإمام الصادق قد وافق أبا حنيفة على تأويل رؤيا أحد أصحاب الصادق، فلما خرج أبو حنيفة أقر الصادق لمريده أنه قد قال لأبي حنيفة: إنه قد أصاب الخطأ لا الصواب^(٣).

إن في تراث كتب الشيعة خاصة القديمة ما يتفق كثيراً على ما يذهب إليه جمهور المسلمين وخاصة في أبواب الفقه، لكن دعوى التقية والتوسع في استخدامها حرمت الشيعة من موافقة جمهور المسلمين، وعززت مع الأسف من ابتعادهم وتفردهم، وهذه من أسوأ نتائج التوسع بأخذ التقية وتعزيز مبدأ الغلاة ولها خطورة كبيرة في المستقبل؛ ذلك أن من الممكن - كما حصل سابقاً - إذا اتفق الإمامية أو بعضهم مع جمهور السنة في شيء أن يحمل على التقية، فيذهب عملهم هباء.

وأورد الكليني أيضاً رواية تفيد أن الإمام الباقر كان يفتي في العهد الأموي بأن صيد البازي والصقر حلال، وذلك تقية^(٤).

(١) الشيخ الصدوق. الاعتقادات. التقية.

(٢) الكليني. الكافي الفروع. ج ٣. ١٨٩.

(٣) الكليني. الروضة مطبوع في آخر الأصول. ج ٨. ص ٢٩٢.

(٤) الكليني. الكافي الفروع. ج ٦. ص ٢٠٨.

وفي المواريث وخاصة خلاف الشيعة الإمامية في نصيب البنت من الميراث الذي يختلف عن بقية المذاهب الإسلامية يورد الكليني روايات فتوى للصادق في نصيب البنت محمولة على التقية^(١). وفي مجارة الشيعة الإمامي لمخالفه في الصلاة ورد عن الصادق مديح للذي يصلي الفريضة، ثم يصلي مع المخالفين صلاة تقية، فإن له بذلك خمساً وعشرين درجة من الله^(٢).

إن هذا التوسع في تطبيق التقية دفع مخالف الشيعة إلى الطعن عليهم ورميهم بالنفاق والكذب، وإنه في التعامل معهم لا يمكن أن تقع على حقيقة، ولا يمكن أن تبني عليها قولاً أو عملاً^(٣). وهذه الحقيقة دفعت بعض المصلحين من الشيعة الإمامية إلى المناداة بإصلاح معتقد الشيعة الإمامية، ومنها التقية هذه، فقد ذكر الدكتور موسى الموسوي في كتابه (التصحيح) أنه لم يعد الآن من المبررات الأخذ بالتقية، وقد توافرت للجميع حرية الفكر والاعتقاد^(٤).

وهكذا استقر مفهوم التقية عند الإمامية على ما ذكره الشيخ المفيد بأن «التقية كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه، وكتمان المخالفين، وترك مظاهرتهم بما يعقب ضرراً في الدين والدنيا»^(٥) ومن هنا ندرك أن الفرق بين التقية هذه ومفهوم أهل السنة بعيد حقاً، حيث إن التقية عند السنة لا تجوز إلا مع الكفار، وخاصة في بداية ظهور الإسلام، حيث أجازها الرسول ﷺ لأصحابه، فهي على هذا رخصة للمضطر كما ذكر: «إِلَّا أَنْ تَكُونُوا مِنْهُمْ تَقِيَةً»^(٦).

(١) الكليني. الكافي الفروع. ج٧. ص ٨٦ - ٨٨.

(٢) الشيخ الصدوق. من لا يحضره الفقيه باب صلاة الجماعة.

(٣) إحسان إلهي ظهير. الشيعة والسنة. ص ١٥٣ وما بعدها.

(٤) د. موسى الموسوي. التصحيح... ص. مبحث التقية. مغنية. الشيعة في الميزان. ص ٥٢.

(٥) المفيد. أوائل المقالات. وشرح عقائد الصدوق. ص ٢٦١.

(٦) انظر تفاسير الآية لدى الطبري وغيره من المفسرين.

ولكن الإمامية يستحلون استعمالها مع جميع مخالفيهم من المسلمين، بل يعدونها ركناً أساسياً في الاعتقاد، ويروون حديثاً عن الإمام جعفر أنه قال: إنها تسعة أعشار الدين ولا دين لمن لا تقية له^(١). وهي على هذا في اعتقادهم واجبة وليست رخصة خاصة في دار التقية. وقد خدمت فكرة التقية منهج الكذابين من الرواة، كما خدمت الخروج من التناقضات المنقولة عن الأئمة، ولكنها أوقعت علماءهم ومحققهم في حيرة من عدم وضوح الرأي فيما نقل إليهم.

فكرة الرجعة عند اليهود

يؤمن اليهود برجعة الأموات إلى الحياة قبل يوم القيامة، فقد ورد في التلمود قدرة بعض رجال دينهم على إرجاع الحياة لمن مات، جاء في سفر العدد أن شعب إسرائيل لما شكوا إلى موسى موت بعضهم، أمره الرب أن يصنع حية من نحاس، فكل من لدغته من الأموات عاد إلى الحياة، (انظر الإصحاح ٢١ / ٤ - ٨).

وكذا عند خروج المسيح المنتظر عند اليهود، ترجع الأموات إلى الحياة، (الإصحاح ٢٦ / ١٩)، وفي نبوءة حزقيال، أن أموات بني إسرائيل سترجع إلى الحياة بشكل مفصل، حيث تكسو العظام لحماً، واللحم جلدًا، وتعاد الروح للجسد، (انظر حزقيال ٣٧ / ١ - ١٢).

وعندهم أن النبي إيليا طلب إلى الرب إعادة الحياة لابن المرأة التي يسكن بقربها، حينما طلبت منه ذلك (الإصحاح ٤ / ٣٢).

(١) الكافي. الأصول. ج ٢. ص ٢١٧.

أورد علي بن إبراهيم القمي، في معرض تفسيره عن الإمام أبي جعفر في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ (الأنعام: ١٥٠)، يعني أنهم لا يؤمنون بالرجعة أنها حق، ثم قال: نزلت هذه الآية هكذا: (وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم في علي، قالوا أساطير الأولين)، كما أورد تفسير الآية: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ (النحل: ٢٨)، نزلت في قوم قيل لهم ترجعون بعد الموت قبل القيامة، ولكن هؤلاء كانوا كاذبين - يعني بالرجعة-^(١)، كما أورد في مكان آخر في تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ (القصص: ٨٥)، يعني الرجعة^(٢).

الرجعة عند الشيعة :

معناها رجوع بعض الصالحين وذوي الدرجات العليا من الشيعة إلى عالم الأحياء بنفس صورهم التي كانوا عليها، ورجوع بعض المفسدين والظالمين للشيعة؛ ليقتنص منهم جميع الظلمات التي اقترفوها في حقهم. ويكون ذلك عند قيام دولة آل البيت، ثم يصير الجميع إلى الموت. واحتج بعض الشيعة بالآية الكريمة: ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَ وَأَحْيَيْنَا أُثُلَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾. فهذا لسان حال المفسدين الذين حكم الله عليهم بالرجعة، فهم يتساءلون هل من خروج لهم ثالث كي يتوبوا ويصلحوا. هذا ما عليه أكثر علماء الإمامية. وذهب آخرون إلى أن معنى الرجعة الواردة في كتب الحديث هي رجعة دولة آل

(١) القمي: تفسير، ج١، ص ٣٨٥.

(٢) القمي: تفسير، ج٢، ص ١٢٣.

البيت بظهور الإمام المنتظر على التفصيل الوارد سلفاً من غير رجعة لأحد من الأموات سواء من شيعة أو غيرهم^(١).

ولمتأخري علماء الشيعة الإمامية تفصيل في الرجعة، حيث يذكرون أن أئمة آل البيت سيرجعون من عالم الأموات إلى الحياة، فيحكمون الأرض بدءاً بالإمام علي ثم يتوفى فيخلفه الحسن وهكذا إلى أن تنتهي بظهور الإمام الغائب. وعند رجوع كل إمام يرجع معه أعداؤه فينتقم منهم. فبرجوع الإمام علي سيرجع أبو بكر وعمر فينتقم منهما على سلبهما حقه في الخلافة، وكذلك يفعل الحسين بن علي مع يزيد بن معاوية^(٢).

ورأي الإمامية هذا في الرجعة مستعار من فرقة الكيسانية التي سبقت الإشارة إليها، فقد حكى النوبختي في كتابه (فرق الشيعة): «وقالت الكيسانية يرجع الناس في أجسامهم التي كانوا فيها، ويرجع محمد ﷺ وجميع النبيين فيؤمنون به، ويرجع علي بن أبي طالب فيقتل معاوية بن أبي سفيان و...»^(٣).

والواقع أن الإمامية قد ورثوا كثيراً من معتقدات الشيعة الغالية، ولم يتمكن علماءهم من تنقيتها، ففي هذا الباب قلة من الإمامية نفت صحة

(١) عقائد الشيعة. محمد رضا المظفر. ص ٥٩. وساق أدلة أخرى على الرجعة، وإنها ليست مستحيلة ما حكاها الله عن عيسى عليه السلام بإحيائه الموتى، وكذلك ما ذكره الله في كتابه عن المتعجب من كيفية إحياء الله لتلك القرية: «قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذَا؟ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا قَامَ اللَّهُ وَائْتَهُ عَابِدُهُمْ». ص ٦٢. المصدر السابق.

واحج آخرون أيضاً للدلالة على الرجعة بالآية الكريم: «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ». ويفسرون العباد الصالحين بأنهم أئمة الشيعة وأعيانهم. والرجعة عندهم تكون بعد ظهور الإمام الغائب أو عندها.

(٢) المجلسي. بحار الأنوار. باب الرجعة.

(٣) النوبختي. فرق الشيعة. ص ٦٢.

الرجعة، ولكن الغالبية لم يلتفتوا لهم^(١). ولم تكن فكرة الرجعة من بنات أفكار الكيسانية، فقد سبقهم إلى القول بها كثير من الجماعات الدينية المضطهدة؛ فاليهود بعد شتاتهم واضطهادهم على يد نبوخذ نصر ظهرت في أفكارهم فكرة الرجعة التي هي من حق أولئك اليهود الذين لم يتمتعوا بحياتهم فعاشوا تحت سلطان الجويم أو عاشوا مشردين، فمن حقهم أن يعودوا إلى الحياة مرة أخرى؛ لينالوا نصيبهم الذي فات من المتعة والنعيم^(٢). ولهذا لم يكن الأمر غريباً على عبد الله بن سبأ اليهودي المسلم في صدر الإسلام قوله برجعة محمد ﷺ بعد وفاته، وأن علياً سيكون معه بمنزلة هارون من موسى^(٣). ومما سهل القول بالرجعة عند كثير من فرق الشيعة الغالية التي نبتت أفكارها في الكوفة والعراق عموماً، ذلك الارتباط الفكري بين الرجعة وفكرة التناسخ التي كانت شائعة في هذه المنطقة توارثتها عن المجوسية الهندوكية، كما سنفصل ذلك في موضعه، ولكن مع تحوير بسيط، ففي التناسخ ترجع الأرواح فتحل في مخلوقات سعيدة أو متعبة، وفي الرجعة ترجع الأرواح إلى نفس أجسادها، فتسعد أو تعذب بحسب مآلها. وقد حكى النوبختي عقيدة بعض الشيعة الغلاة من أصحاب عبد الله بن معاوية ومن فرقة العباسية الراوندية الذين يقولون بالتناسخ وتنقل الأرواح مدة من

(١) الشيعة والتصحيح: موسى الموسوي. ص ١٤٢.

(٢) أحمد شلبي. مقارنة الأديان: ١-١ اليهودية. ص ١٧٤، مكتبة النهضة. ١٩٦٦ القاهرة.

ومن طوائف اليهود الذين آمنوا بفكرة الرجعة الفريسيون. انظر كتاب علي وإي. بين الشيعة وأهل السنة ٥٦. القاهرة ١٩٨٤م. ويرى الدكتور موسى الموسوي أن الرجعة شبيهة بفكرة التناسخ التي جاء بها فيثاغورس وتبناها أنصاره، وإن من قال بالرجعة من الشيعة ربما يكون قد تأثر بهذه الفلسفة. انظر كتابه الشيعة والتصحيح. ص ١٤٢ - ١٤٣.

(٣) النوبختي: فرق الشيعة. ص ٤٤.

الزمن وحلولها في المخلوقات السعيدة أو المتعبة، ثم قال: هذه هي جنتهم ونارهم، وهذه هي الرجعة عندهم لا رجوع بعد الموت^(١).

وممن قال بالتناسخ من أوائل الشيعة المغالية عبد الله بن الحارث، فقد حكى النوبختي أن أباه كان زنديقاً من أهل المدائن فأبرز عبد الله هذا لأصحابه القول بالغلو والتناسخ والأظلة والدور، وادعى أن هذه هي آراء جابر بن عبد الله الأنصاري (صحابي معروف) وجابر بن يزيد الجعفي^(٢). وقد نسب لجابر بن يزيد الجعفي هذا القول برجعة الإمام علي، وكان يفسر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ أن الدابة هي علي بن أبي طالب^(٣).

هذا وقد سبق لنا حين عرض الديانة الفرعونية القديمة أن ذكرنا أن الفراعنة كانوا يعتقدون بالرجعة؛ ولذا فإنهم يهيئون في مقابرهم الملكية من الطعام والوسائل الحياتية ما يمكن الملك حين عودة الروح إليه أن يباشر نشاطه كسابق أيامه، وهذا يدل منذ القدم على معاناة الإنسان في مقاومة الفناء والتمسك بالبقاء ولو بعد حين.

والآن نتساءل: ما الذي دفع الشيعة للقول بالرجعة على المعنى السالف؟ والجواب: إنها الحاجة النفسية للمقهور الذي لا يستطيع أن يعمل شيئاً في عالم الواقع، فيرتد منه إلى عالم الخيال. فهؤلاء الذين ارتبطت مصالحهم

(١) النوبختي: فرق الشيعة. ص ٦١ - ٦٢.

(٢) المصدر السابق. ص ٥٦.

(٣) وجابر الجعفي، هذا قال عنه أبو حنيفة: ما رأيت أكذب منه. وقالت عنه كثير من مصادر الشيعة: إنه مذكوم متهم. انظر رجال الكشي. ص ١٩١. وروى عنه الكليني في الأصول كثيراً من الأحاديث في نقص القرآن ولكن بعض متأخري الشيعة كعبد الحسين شرف الدين يوثقه. انظر كتابه المراجعات. ص ٧٥.

وواقعهم في البداية بخلافة الإمام علي، وعاشوا جميع الإخفاقات السياسية التي جرت على الإمام ومن بعده بشكل أقسى وأمر في ثورة ابنه الحسين ومن ناصرهم فيما بعد، لم يجدوا من عوض عن هذا الإخفاق السياسي، إلا القول برجعة هؤلاء الأئمة وأصحابهم، وأنهم سيحكمون سياسياً فتكون لهم الكلمة، وسيرجع كذلك جميع من ظلمهم وظلم الشيعة فيقتص منهم، فلن تذهب تلك الظلمات هدرًا، وسيسعد الشيعة حينئذ بالتشفي ممن عاداهم، وفي ذلك زاجر أيضاً لمن سيقدم على أي ظلامة ضدهم في المستقبل.

وقد تفتق خيال علماء الشيعة ورجالها عن صنوف من القصاص والعذاب الذي سينال خصومهم بدءاً بأبي بكر وعمر ومعاوية ويزيد و....

ففي كتاب (بحار الأنوار) للمجلسي تفاصيل وروايات كثيرة نقلها عن مجموعة من المصادر الشيعية القديمة منها أن الحسين بن علي سيرجع، فيملك الدنيا حتى تقع حاجباه على عينه من الكبر، وأن سبعين رجلاً من أصحابه سيرجعون معه. وأن أبا بكر وعمر سيصلبان على شجرة^(١). ويذكر نعمة الله الجزائري في كتابه الأنوار النعمانية أن الحرمين المكي والمدني سيقضى عليهما عند ظهور الإمام ورجعته، ويتم إنشاء المسجد في الكوفة. وأن أهل السنة حينها سيتناولون براز الشيعة في الوجبات نكاية بهم^(٢).

وأورد الشيخ المفيد في كتابه الإرشاد روايات كثيرة منها ما ذكره عن عبد الله بن المغيرة أنه إذا قام القائم من آل محمد قامت خمس مئة من قریش تضرب أعناقهم، ثم أقام خمس مئة أخرى تضرب أعناقهم، ثم يفعل ذلك ست مرات^(٣) والشيخ المفيد من قبيلة حارثة الجنوب.

(١) المجلسي. البحار. ج ١٢ ص ٢١٠.

(٢) نعمة الله الجزائري، الأنوار النعمانية. ج ١ ص ١٥٧ - ١٦٣

(٣) المفيد. الإرشاد. ص ٣٦٤.

وفي كتاب الغيبة للنعماني روايات تتم تماماً عن روح الانتقام وتعجيله لمن يستحقه في نظرهم في مدة الرجعة هذه قبل يوم الحساب، ففي رواية منسوبة إلى الإمام الصادق أنه قال:

«لو يعلم الناس ما يصنع القائم إذا خرج لأحب أكثرهم ألا يروه يقتل من الناس، أما إنه لا يبدأ إلا بقرشين فلا يأخذ منها إلا السيف ولا يعطيها إلا السيف، حتى يقول كثير من الناس: هذا ليس من آل محمد ولو كان من آل محمد لرحم»^(١).

وجاء في تفسير الصافي رواية تقول: إنه إذا قام قائمنا ردت الحميراء (عائشة عليها السلام أم المؤمنين) حتى يجلدوها الحد، وحتى ينتقم لابنة محمد عليها السلام وآله فاطمة عليها السلام^(٢).

كما أورد النعماني أيضاً أن الإمام المنتظر إذا رجع فسيكسر مسجد الكوفة، ويسوي قبلته والشيعة يومئذ يعلمون الناس القرآن فيه.

وأورد رواية نسبها إلى علي يقول: «كأنني بالعجم فسايططهم في مسجد الكوفة يعلمون الناس القرآن كما هو أنزل. قلت: يا أمير المؤمنين أو ليس هو هذا كما أنزل؟ فقال: لا، محي عنه من قریش بأسمائهم وأسماء آبائهم وما ترك أبو لهب إلا إزاره على رسول الله عليه السلام لأنه عمه»^(٣).

وتختلف المصادر الشيعية عن الزمن الذي يتم فيه الرجعة، فعند الشيخ المفيد أنها تتم عند ظهور الإمام الغائب^(٤). ومن قائل: إنها تتم

(١) النعماني: كتاب الغيبة. ص ٢٣٣.

(٢) تفسير الصافي. ج ٢. ص ١٠٨.

(٣) النعماني: كتاب الغيبة. ص ٢١٧ - ٢١٩.

(٤) المفيد. أوائل المقالات. ص ٩٥.

عند رجعة الحسين بن علي للانتقام من قاتليه^(١). وتتركز الأخبار الواردة بالرجعة على أنها ستنتم في مكة والمدينة؛ لأن المنتقم منهم الأوائل خاصة في هذه البقعة، كما أسلفنا في الروايات السابقة، ولهذا هدف سياسي يرمز إلى تمني الشيعة ظهور دولتهم بدءاً بالحرمين الشريفين، حيث تركز رواياتهم على مقتل أعدائهم من قريش وبقية المسلمين، وهذا يفسر بوضوح مع الأسف الاضطرابات التي يقوم بها الحجاج الشيعة في أثناء الحج في بعض السنين وأهداف المخططين من قاداتهم، والمتتبع لتاريخ التشيع يجد أن الرغبة في حصول الاضطرابات في الحرمين الشريفين رغبة قديمة، مهدت لها إرهابات سياسية ذات معنى وهدف بعيد، ومن أوائل ما وصلنا من هذه الإرهابات ما ورد في نص الخطابين الذين ادعى الشيخ المفيد أو ادعى عليه أنها قد وردت إليه من الإمام الغائب، ومنها فقرة تفيد حصول هرج ومرج وقتل وفتنة بين الناس، والدارس الناقد لا يفهم من هذا إلا محاولة تهيئة الأذهان إلى حصول الفتنة بين المسلمين، وانتهاز الشيعة الفرصة في فرض الأمر الواقع للاستيلاء على أمور المسلمين بالقوة^(٢). والشواهد على تكرار أعمال الفتن في الحج من قبل الشيعة في كثير من السنين أمر لا يحتاج معه إلى دليل تاريخي من القديم إلى الحديث، ولهذا كانت فكرة الرجعة عندهم تحاط بسرية تامة، وقد نبه على ذلك قديماً شيخ المعتزلة أبو الحسن الخياط. كما ورد هذا التنبيه من قبل المجلسي في البحار، وأن أفكارها من التقية^(٣).

(١) المجلسي. البحار. ج ١٢. ص ٢١٠ وما بعدها.

(٢) النعماني. كتاب الغيبة. ص ٢٢٣.

(٣) تفسير الصافي. ج ٢. ص ١٠٨.

هذا، وقد أنكر بعض متأخري الإمامية حقيقة الرجعة، فلا رجعة سوى عند ظهور الإمام الغائب^(١). في حين اعتبر البعض القول بالرجعة ليس من ضرورات المذهب ولا من معتقدات الإمامية^(٢).

وممن أنكر الرجعة من علماء شيعة إيران العالم شريعتي صانقلاجي (١٩٣٠م)، وكان رأيّه هذا سبباً في الهجوم عليه من العلماء الآخرين، كما نقل عن الشيخ عبد الكريم الحائري في إحدى دراساته في قم أن الرجعة ليست ضرورة في دين الإمامية^(٣).

القرآن:

إن أول ظهور لفكرة نقصان القرآن والزيادة فيه ظهرت عند الغلاة من الشيعة، وتسربت آراؤهم وأحاديثهم المنسوبة للأئمة عن هذا الموضوع لكتب الشيعة من المتأخرين، ولم يستطع متقدمو الشيعة الإمامية على العموم التخلص من هذه الأخبار المنسوبة في هذا الباب إلى أئمتهم، بل أثبتوها في أمهات كتبهم، شأنها شأن كثير من الأخبار التي تفرد بها الشيعة عن غيرهم من المذاهب الإسلامية. وقد اعتقد بعض الإمامية بفكرة حصول النقص في القرآن دون الزيادة فيه. وذهب بعضهم الآخر إلى حصول النقص والزيادة معاً، وقلة من الإمامية ذهب إلى عدم حصول نقص وزيادة، وإنما القرآن هو الموجود بين الدفتين الذي لا خلاف فيه بين جميع المسلمين كما هو رأي

(١) الخنيزي. الدعوة الإسلامية. ج ٢. ص ٩٤.

(٢) هاشم الحسيني. الشيعة بين الأشاعرة والمعتزلة. ص ٢٣٧. محمد رضا المظفر. عقائد الإمامية. ص ١١٣.

(٣) أيان ريشار. الإسلام الشيعي. ص ٧٢. ترجمة حافظ الجمالي. بيروت ١٩٩٦م.

السيد المرتضى. ولشناعة القول بنقص القرآن أو الزيادة فيه، فقد كان مادة للإنكار على الشيعة طيلة العصور جرّت عليهم الويلات الكثيرة من خصومهم كما سنفصل ذلك.

عن علي بن الحكم بن هشام بن صالح عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن القرآن الذي جاء به جبريل عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وآله وآله سبعة عشر ألف آية»^(١). وفي رواية مطولة عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام: «.... قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد»^(٢).

ويذكر علي بن إبراهيم القمي^(٣) في تفسيره، وهو من أقدم التفاسير عند الشيعة أن: «القرآن منه ناسخ ومنسوخ منه... ومنه على خلاف ما أنزل الله ومنه رد على المخالفين».

فكرة البداء عند اليهود

ينسب اليهود لربهم الحزن والندم على ما سبق أن قرره، ففي سفر الخروج، يقول موسى للرب: «ارجع عن غضبك واندم على الشر بشعبك... فتندم الرب على الشر الذي قال إنه يفعله بشعبه»، (الإصحاح ٣٢ / ١٢ - ١٤).

كما ينسب صموئيل الندم إلى الرب على تعيينه شاؤول ملكاً، (انظر الإصحاح ١٥ / ١٠).

(١) الكليني. الكافي. ج ٢. ص ٦٣٤ والمعروف أن القرآن ٦٢٦٣ آية.

(٢) الكليني. الكافي. ج ١. ص ٢٤٠.

(٣) معاصر للإمام الحسن العسكري الإمام الحادي عشر توفى سنة ٣٠٧ هـ.

وينسب اليهود النسيان إلى الله كما جاء في سفر التكوين: أن الرب تأسف من أن يمحو الإنسان من على الأرض من أجل شروره، (الإصحاح ٦ / ٥ - ٨).

وتنص التوراة في عدة مواضع أن بعض أنبياء بني إسرائيل قد ذكروا الله بعهد وميثاقه لبني إسرائيل، كي لا ينسأهم، (سفر الخروج، الإصحاح ٢ / ٢٣).

كما ينسب اليهود في التوراة الجهل إلى الله؛ لأن الرب ليلة الخروج من مصر طلب من بني إسرائيل أن يضعوا علامة الدم على بيوتهم، لأنه سوف يضرب بيوت المصريين، ويهلكهم، فقد نسبوا لربهم عدم القدرة على التمييز، (انظر الإصحاح ١٢ / ١٣).

البداء عند الشيعة

أورد الكليني في كتابه الكافي، في الأصول ستة عشر حديثاً، يحتج بها بفكرة البداء، وقد جاءت بمعانٍ مختلفة، منها أن (الله يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء)، والبداء لا يكون فيما نقل إلا بعلم الله المكنون، أما العلم الذي علمه لملائكته وأنبيائه، (وربما للأئمة)، فليس محلاً للبداء^(١).

إن الراوي أبا الجارود (....) يمتدح أهل الكتاب قائلاً: (لقد أتى الله أهل الكتاب خيراً كثيراً)، في معرض امتداح القرآن لهم، وأنه: ﴿يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ (القصص: ٥٤)^(٢).

(١) الكليني، الكافي: الأصول، ص ٨٤، بيروت ٢٠٠٥ م.

(٢) الكليني، الكافي: الأصول، ص ١١١.

وفي تفسير القمي أورد حديثاً عن الإمام الرضا: (ما بعث الله نبياً إلا بتحريم الخمر، وأن يقر له بالبداء، أن يفعل الله ما يشاء)^(١).

ويرى بعض المستشرقين أن فكرة البداء قالت بها بعض الفرق اليهودية^(٢)، وينسب القول بالبداء أول الأمر إلى ما ذكرته طائفة من أصحاب جعفر بن محمد الصادق، حيث رجعوا عن القول بإمامته؛ لأنه حسب قولهم قد كذب عليهم، والإمام لا يكذب ولا يقول ما لا يكون، وذلك حينما سأله عن الإمام بعده فقال: ابني إسماعيل، فلما مات إسماعيل في حياة أبيه نسبوا إلى جعفر القول: إن الله ﷻ قد بدا له في إمامة إسماعيل، وإن الإمام بعده هو ابنه موسى، فأنكرت هذه الطائفة القول بالبداء، وقالوا: هذا باطل على الله، ومالوا إلى مقالة طائفة البترية ومقولة سليمان بن جرير، الذي قال: إن أئمة الشيعة وضعوا لأصحابهم مقاليتين لا يمكن لأحد مهما كان أن يرمي الإمام بالكذب، وهما البداء والتقية. فأما البداء فإن أئمتهم حسب قول سليمان قد وضعوا أنفسهم موضع الأنبياء في العلم بما كان وما سيكون، وقالوا: إنه سيكون كذا وكذا، فإن حصل ذلك احتجوا به على موقعهم، وإن لم يحصل قالوا بدا لله في ذلك أمر آخر^(٣)، ويقرب من هذا المعنى ما رواه الطوسي في كتاب (الغيبة) في رواية مسندة إلى الإمام علي قوله: بعد السبعين رخاء. فقال الإمام جعفر: إن الله غيرها بعد غضبه على أهل الأرض بسبب قتل الحسين^(٤).

وينسب الكليني للإمام جعفر الصادق أنه قال: «ما عظم الله بمثل البداء» وفي رواية أخرى أنه قال أيضاً: «إن الله لم يبعث نبياً قط إلا صاحب

(١) علي بن إبراهيم القمي: تفسير القمي، ج١، ص ٢٠١.

(٢) د. صابر طعيمة. الشيعة معتقد ومذهب. ص ١٨٩. بيروت. ١٩٨٨ م.

(٣) النويختي. فرق الشيعة. ص ٥٥-٥٧.

(٤) الطوسي. الغيبة. ص ٢٦٣ - ٢٦٤.

مبرة صافية، فما بعث الله نبياً قط حتى يقول له بالبداء» وعنه أيضاً: «ما تنبأ نبي قط حتى يقر لله بخمس منها البداء والمشية والسجود والعبودية والطاعة...»^(١).

والبداء في هذا المعنى عند الأقدمين من الشيعة جائز على الله فيما علم أنه يكون حتى لا يكون وجوزوا البداء على الله حتى فيما اطلع عليه عباده، ومن باب أولى جوازه على الله فيما لم يطلع عليه عباده.

وقد أنكر مخالفو الشيعة هذه المقالة، وقالوا بوجوب تنزيه الله عن البداء؛ لأن القول فيه يفضي إلى القول بجهل الخالق تعالى عن ذلك؛ لأنه لو كان يعلم ما سيحدث ما تغيرت مشيئته^(٢) ولهذا فقد مال بعض المتأخرين من علماء الشيعة إلى تأويل معنى البداء، بما يقرب من معنى النسخ عند فقهاء المسلمين، وأن أمر البداء يفهم بما يقرب من تأخير الله في أجل الإنسان ومد عمره، ومن هؤلاء الشيخ الطوسي^(٣). واحتج هذا الفريق أن الروايات التي جاءت بالبداء بالمعنى السابق إنما هي أخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عملاً^(٤). ومن هذا الرأي الشيخ الطبرسي في تفسيره، والسيد المرتضى في كتابه الانتصار حيث ينفي القول عن الله بالبداء^(٥).

ومن تأويلات متأخري الشيعة الإمامية القول: إن معنى البداء هو حدوث الاختيار لله تعالى، فله أن يختار بين الإيجاد والعدم، وبعد

(١) الكليني. الكافي. ج ١. ص ١٤٨.

(٢) فخر الدين الرازي. كتاب المحصل. ص.

(٣) الطوسي. الغيبة. ص ٢٦٤. المجلسي. البحار. مجلد ٢. ص ١٤٠.

(٤) المجلسي. البحار. مجلد ٢. ص ١٤٠.

(٥) الميرزا أبو الحسن الشعراني في مقدمته التي كتبها على أصول الكافي. ج ١. ص. وانظر:

كتاب الانتصار للسيد المرتضى ص ١٨٠.

الإيجاد له أن يختار بين الإبقاء والعدم أيضاً، أوردوا لذلك رواية عن هشام بن سالم (الجواليقي) عن أبي عبد الله الصادق في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، فقال: (كانوا يقولون قد فرغ من الأمر)^(١).

وقد اختصر الأشعري في كتابه "مقالات الإسلاميين" رأي الشيعة في البداء على ما ذكرنا^(٢). وهي تكشف تطور رأي الشيعة وخاصة الإمامية في البداء من المعنى الذي لا يجوز على الله تعالى إلى معنى مقبول يقرب عن مفهوم النسخ، ويضرب لذلك محمد رضا المظفر قصة رؤيا إبراهيم أنه يذبح ابنه إسماعيل^(٣). لكن منتقدي الشيعة لا يوردون إلا المعنى الأول للبداء، ويتركون تطور الأفكار المعدلة له فيما بعد أو التي تعدله عن طريق تأويل المعنى كما ذكرنا^(٤).

وهكذا يبدو لنا أن أساس قول الشيعة في البداء هو عن حاجة سياسية قصد بها تثبيت إمامة موسى بن جعفر، ونفي الإمامة لأخيه الأكبر إسماعيل الذي مات في حياة أبيه، واضطراهم لهذه المقولة هي القاعدة عندهم في الإمامة: أنها تكون في الولد الأكبر للإمام، ففكرة البداء التي تفيد أنه وإن كان إسماعيل هو الإمام حسب القاعدة التي هي بعلم الله تعالى، لكن الله بدا له أمر فغير الإمامة من إسماعيل لموسى، وفي ذلك دفاع ضد فرقة الإسماعيلية التي استمرت في الاعتقاد بإمامة إسماعيل وابنه محمد بعده على ما أوردنا ذلك مفصلاً. لكن الشيعة الإمامية قد لا يحتاجون إلى هذه الفكرة، ويكفي

(١) إبراهيم الموسوي الزنجاني. عقائد الشيعة. الاثنا عشرية. ج ١ ص ٣٥.

(٢) الأشعري. مقالات الإسلاميين. ج ١ ص ٣٩.

(٣) محمد إبراهيم المظفر. عقائد الشيعة. ص ٢١ - ٢٢.

(٤) إحسان إلهي ظهير، الشيعة والسنة. ص ٦٣. الرياض.

القول: إن الإمام جعفر قد سمى ابنه موسى إماماً بعده خلافاً للقاعدة، ثم إن هذه الفكرة من شناعة القول بها حري بالشيعة الإمامية أن يتخلوا عنها بوصفها قد فقدت مبررات وجودها اليوم، وإن استقامة عقيدتهم مع مجموع الأمة الإسلامية خير من التفرد بهذه المقولة التي لا نفع لها الآن إلا شق المسلمين وإعطاء مبرر للتشنيع والفرقة^(١).

تشبيه الخالق عند اليهود

ذهب بعض اليهود إلى تشبيه الخالق بالإنسان، ونقلوا عن التوراة «أن الله قد خلق الإنسان على صورته»، وذكروا للخالق حواس قريبة من حواس الإنسان، فقالوا: إن الخالق قد بكى من حادث الطوفان، وما أصاب الأرض من دمار، فاشتكى عيناه من الرمذ حتى عادته الملائكة.

وشبه اليهود الخالق بالخلق حينما يتعبون من العمل، فعندهم أن الله قد استراح يوم السبت بعد تعب من خلق العالم بستة أيام^(٢)، وفي سفر الخروج من التوراة ورد أن الخالق سار أمام شعبه في البرية على شكل عمود في النهار، وعمود نار في الليل؛ ليهديهم الطريق^(٣).

تشبيه الخالق عند الشيعة

انتقلت فكرة تشبيه الخالق بخلقه من اليهودية إلى كثير من فرق الشيعة ورجالهم، وذكر العلماء أن القائلين بفكرة الحلول، أي حلول الله في بعض مخلوقاته، هو نوع من التشبيه والتجسيم، ففرق الغلاة من الشيعة،

(١) د. موسى الموسوي. الشيعة والتصحيح. ص ١٤٧-١٥٠ مطبوع. ١٩٨٨م.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص ١٨٥، ص ٢١٩.

(٣) الإصحاح ١٣ / ٢٣-٢٢.

ومن ضمنهم المغيرية والتبianaية، والمنصورية والخطابية، جميعهم قالوا بالحلول، فادعوا أن الله قد حل بأئمتهم، وأثبت بعض هؤلاء لله سبحانه عن ذلك الجوارح من يد ورجل، واشتهر من المشبهة المؤثرين على الفكر الشيعي، هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي، وأسماء هذين الشخصين تتردد حتى في مصادر الشيعة الإمامية، حيث أكثر من وصف الإمام علي عليه السلام، إلى درجة إضفاء بعض الصفات الإلهية عليه، ونقل عن هشام بن الحكم، قوله: إن لله جسمًا له طول وعرض وله حد ونهاية، ونقل عن هشام أن معبوده سبعة أشبار بأشبار نفسه، أما الجواليقي فنقل عنه أنه يرى معبوده على صدره الإنسان أعلاه مجوف، وأسفله مصمت، وهو نور ساطع لا لحم ولا دم^(١).

فرقة المجسمة: ومن قال بفكرة تجسيم الخالق فرق عدة من الشيعة، منهم المنسوبون إلى هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجواليقي الملقب بشيطان الطاق، ويونس بن عبد الرحمن القمي، فقد نسب للأول قوله في الخالق تعالى عن ذلك: إنه جسم له طول وعرض وحدود، وإنه نور ساطع له لون وطعم ورائحة، وإن الخالق قد كان له مكان، ثم خلق المكان بحركته ومكانه هو العرش. ونسب له القول: إن بين الله وبين الأجسام تشابهاً، فلولا ذلك لما خضعت إليه. وإنه يعلم ما تحت الثرى عن طريق الإشعاع. وإن علم الله وصفاته لا هي قديمة ولا هي محدثة؛ لكونها صفات، وإن الصفات لا توصف. ونسب إليه القول: إن الأنبياء يعصون الله، فينبئهم على ذلك^(٢) بخلاف الأئمة فهم

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ١٣٨.

(٢) وقد ترك هذا الرأي على قدمه أثراً لدى كثير من الشيعة، حيث تردد لدى بعضهم بصور شتى.

معصومون. وينسب هشام بن الحكم إلى فرقة الإمامية (الاثني عشرية) مع أنهم قد خطؤوه فيما ذهب إليه.

وهشام بن الحكم من موالي كندة من الفرس، وكان ينزل في بني شيبان في الكوفة، حيث ولد بها، لكنه بعد ذلك نشأ في واسط ثم سكن بغداد، وتعدده مصادر الشيعة الإمامية من أصحاب الإمام الصادق والكاظم، وتمتدحه هذه المصادر؛ لأنه أول من فتن الكلام في الإمامة^(١) كونها بالنص والوصية، وتذكر هذه المصادر أن له كتاباً في الإمامة. وهذه المصادر صادقة فيما ذكرته عن هشام بن الحكم، فيعد من المؤسسين لمذهب التشيع، فتفتيق الكلام في الإمامة يعني أنه أضاف شيئاً جديداً على هذا الموضوع المهم في أساس التشيع كما ذكرنا، وانتصاره لهذه دفعه إلى استخدام جميع ما عنده من علوم الفرس القديمة وعلوم اليهودية، فأدخلها على التشيع الذي لم يزل طرياً في نشأته، فأضاف لموضوع الإمامة أنه بالنص لعلي، وأن النبي قد أوحى له بهذا، وهذا لم يقله أحد في بداية القرن الأول الهجري في حق علي، وإنما قيل بتفضيله فقط. وهكذا كلما تقدم الزمن جاء من يضيف على هذا التراث، فيدخل فيه ما ليس به في الأصل.

تؤكد المصادر التاريخية على انحراف آراء هشام بن الحكم، وأنه كان يستقيها من آراء الفرس واليهودية؛ لتشابه مقالاته بآرائهم، فقد ولد هشام في الكوفة وتربى على يد أبي شاكر من الزنادقة. وحينما استكمل أفكاره وانتقل إلى بغداد انضوى تحت سقف البرامكة، فقد كان المقيم على مجلس يحيى بن خالد البرمكي، وقد أوضحنا في بحثنا هذا مدى الأثر السياسي ومن ثم الفكري للبرامكة على الخلافة والمجتمع، ومما لا شك فيه أن هشاماً

(١) الطوسي. الفهرست. ص ٢٠٣.

كان من أعمدة البرامكة ونفوذهم، ولكن لما ضرب الرشيد البرامكة استتر هشام، ثم توارى في الكوفة حيث توفى فيها.

لا يمكن إغفال الأثر الذي تركه هشام بن الحكم على التشيع المغالي وتحلق الرجال من الموالي الفرس حول أفكاره والانتصار لها في مجالس البرامكة، ثم انتقال هذه الأفكار عن طريق رواية التشيع من هؤلاء الغلاة، وتلقف الكليني وغيره لتدوين هذه الأفكار الغالية على شكل أحاديث منسوبة لأئمة آل البيت وهم منها براء. فقد كان هشام بن الحكم ينسب بعض آرائه إلى الإمام أبي الحسن موسى الكاظم، ولذا شهد عليه الإمام علي الرضا ابن موسى بأنه هو الذي صنع بأبي الحسن ما صنع أترى الله أن يغفر له ما ركب منا ^(١) يشير بذلك إلى سجن الرشيد للإمام موسى الكاظم لتردد هشام عليه، وكذب هشام على الإمام فيما يرويه. وعلماء الشيعة ينقسمون بين مادح لهشام وبين قادح له على غلوه.

أما الثاني وهو هشام بن سالم الجواليقي، فهو على مذهب الإمامية من الشيعة أيضاً، لكنه قال بالتشبيه، حيث زعم أن الله تعالى عن ذلك على صورة الإنسان، ولكنه ليس بلحم ولا دم، بل هو نور، كما قال هشام بن الحكم. وأن للخالق حواس كحواس الإنسان، وله يد وعين وأذن.

وممن تابع على هذه المقالة من الإمامية أيضاً أبو مالك الحضرمي وعلي بن ميثم (التمار) ^(٢)، أما يونس بن عبد الرحمن القمي فنسب إليه القول بالتشبيه أيضاً، حيث زعم أن الله تعالى يحمله حملة العرش الثمانية، وهو أقوى منهم، وأن الكرسي تحمله أرجله، وهو أقوى منها، واستدل

(١) الكشي. رجال. ص ٢٣٧.

(٢) البغدادى: الفرق بين الفرق. ص ٤٧-٥٢.

بالآية ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَنِيَّةٌ﴾^(١) وقد دافع المجلسي عن هؤلاء، ونسب القدح الوارد فيهم إلى كتب السنة^(٢) برغم استفادة قدحهم في كتب الشيعة نفسها، وأفكار تجسيم الخالق (تعالى الله عن ذلك) كانت من عقائد اليهود ونصوص التلمود، تشير إلى كثير من هذه الأفكار، التي تشبه الخالق بالبشر. فقد ورد في تعاليم التلمود: أن الله ينام بالليل، ويعمل بالنهار، ويدرس التوراة، ثم يلعب مع الحوت وهو ملك الأسماك. وعندما شرد خالقهم أبناءه، وخرب الهيكل أخذ يبيكي ويزأر، ويقول: تباً لي على تفريق أبنائي، وتسقط منه في اليوم دمعتان في البحر.

وفي التوراة تذكر أن الرب ظهر للنبي يعقوب في صورة إنسان، فصارع يعقوب حتى طلع الفجر، وأخذ منه العهد والبركة له ولأبنائه بعده. وفي سفر التكوين: أن الله تعب عند خلق العالم فاستراح في اليوم السابع، والأنبياء لم يقوموا بأي عبادات سوى تقديم اللحم المشوي للرب، حيث كان يحبه كثيراً كما فعل إبراهيم ذلك، وحصل على رضا الرب.

٤ - التعلق بالمعجزات عند اليهود

تمتلئ النصوص الواردة في التوراة والتلمود وشروح وتفسير الربان اليهود بالقصص والحكايات والأحداث المعجزة، التي تدل فيما يرون على إعجاز وصحة من نسبوها لهم^(٣)، حيث تتحدث عن معجزات النبي إيلياهو، الذي تأتي إليه الغربان بطعامه صباح مساء، وأنه هو الذي بارك لامرأة دقيقتها القليل، فظلت تخبز منه طيلة مدة المجاعة.

(١) البغدادي: الفرق بين الفرق. ص ٥٢-٥٣.

(٢) انظر المجلسي. البحار. ابن بابويه. كتاب التوحيد. ص ٩٧.

(٣) (انظر الملوك الأول ١٧ / ١).

وهو الذي أرجع نفس الولد إلى جوفه قبل أن يموت، ذكر بعض شراحهم أن هذا الولد هو المسيح الذي سيأتي، ونسبوا إلى نبيهم إياهو هذا معجزات تشمل حتى أطفالهم، فهو بابا نويل الذي يقدم لكل طفل ما يتمناه من هدايا في العيد.

ومن ضمن الصلاة اليهودية الشكر للرب على المعجزات التي سخرها لهم ولأجدادهم، من قبل: «... ومعجزاتك التي هي معنا كل يوم وعجائبك وخيراتك...»، «... نشكرك أيضاً على المعجزات والخلاص والأعمال العظيمة وعلى الفرج والخوارق...».

جاء في سفر يوشع: أن الرب أوقف الشمس والقمر، عن الحركة عندما طلب منه يوشع، وذلك كي ينتقم شعب إسرائيل من أعدائه، (يوشع ١٠ / ١٢ - ١٤).

واعتبر هذا الوحي عند اليهود كالنبي يوحى إليه، وتجري على يديه المعجزات، كما وردت بذلك نصوص التوراة المتعلقة بيوشع.

معجزات الأئمة عند الشيعة وتعلقهم بها

جميع فرق الشيعة تلتقي عند فكرة كون الإمامة إلى علي بن أبي طالب بعد رسول الله ﷺ، وأن الإمام علياً أحق بها من غيره، وأن علياً قد أوصى بها إلى ابنه الحسن ومن بعده الحسين. وفرق الشيعة تختلف فيما بينها بعد ذلك من هو الإمام؛ فالزيدية ترى إمامة زيد بن علي بن الحسين، في حين يرى الإمامية أن الإمام بعد علي بن الحسين هو ابنه محمد الباقر. وبعد وفاة جعفر بن محمد اختلفت الشيعة إلى فرق، فأبي من أبناء الصادق هو الإمام؟! ففرقة الشمطية ترى أن الإمام هو محمد بن جعفر، وفرقة الفطحية ترى الإمام ابنه عبد الله، والموسوية أو المفضلية والإمامية (الاثنا عشرية) ترى الإمام موسى بن جعفر هو الإمام بعد أبيه، بينما فرقة الإسماعيلية ترى إسماعيل بن جعفر هو الإمام. والإمامية (الاثنا عشرية) يرون الإمامة في ولد الحسين بن علي، ينص الأب فيها على إمامة ابنه بعده، ولا تجتمع الإمامة عندهم في أخوين بعد الحسن والحسين، فالأئمة الاثنا عشر عندهم على الترتيب الآتي:

- ١- الإمام علي بن أبي طالب.
- ٢- الحسن بن علي.
- ٣- الحسين بن علي.
- ٤- علي بن الحسين.
- ٥- محمد بن علي (الباقر).
- ٦- جعفر بن محمد (الصادق).
- ٧- موسى بن جعفر (الكاظم).

٨- علي بن موسى (الرضا).

٩- محمد بن علي (الجواد).

١٠- علي بن محمد (الهادي).

١١- الحسن بن علي (العسكري).

١٢- الإمام الغائب (محمد بن الحسن بن علي العسكري).

فالإمامة عندهم نور يقذف في الأرحام، وهو بعد ذلك وراثته لعلوم الأنبياء السابقين، التي أورثها النبي محمد ﷺ لعلّي بعده، ثم للأئمة بعد علي واحد بعد الآخر. وتذكر رواية قديمة موضوعة على لسان الإمام جعفر الصادق: أن الرسول محمداً ﷺ قد أفضت إليه صحف إبراهيم وموسى، فأتمن الرسول ﷺ عليها علماً وأتمن علي الحسن... إلى أن أفضت إليه^(١).

وقد ورثت كتب الشيعة الإمامية (الاثني عشرية) ما قالته الشيعة الغلاة في أئمتها، ولم يستطيعوا تنقية إلا القليل من المقولات الفاحشة كالادعاء بالآلوهية، وما أشبهها.

فالأئمة عند الشيعة (الاثني عشرية) يعلمون جميع علم الملائكة والأنبياء، وأنهم إذا شاؤوا أن يعلموا علموا، وأنهم يعلمون متى يموتون، وأنهم يعلمون علم ما كان وما سيكون، وأن الله ﷻ لم يعلم نبيه محمداً ﷺ علماً إلا أمره أن يعلمه إلى علي بن أبي طالب^(٢). وأن الجن يأتون إلى الأئمة فيسألونهم عن معالم دينهم^(٣)، وأن الأئمة يعلمون اللغات الآدمية ولغات الحيوان، حيث روي أن الإمام الصادق رد على محدثه باللغة النبطية

(١) الكشي. رجال. الطوسي. اختيار. ص ٣٥٥. المجلي. البحار. المجلد ١. ص ١١٤.

(٢) الكليني. أصول الكافي. ج ٦. ص ٢٢ - ٤٢.

(٣) الكليني. أصول الكافي. ج ٦. ص ٣٨٦.

والفارسية، وأنه حدث خمسة عشر رجلاً بكلام واحد، وكل منهم سمعه بلغته، الحبشي بالحبشية، والفارسي بالفارسية، والصقلبي بالصقلبية^(١). وتقع الروايات في كتبهم القديمة في حيرة من التوفيق بين رواية أن الإمام يعلم متى يموت، فكيف يقبل إذن من وضع له السم من الأئمة حيث ترد روايات كثيرة بأن أكثر من إمام من الأئمة (الاثني عشر) كان قد مات مسموماً. وللخروج من هذا المأزق يؤول بعضهم أن الله يلقي على قلب الإمام النسيان في وقت أكله السم^(٢). وتخرّج آخر يذكر أن عبد الله بن طاوس سأل الإمام الرضا... أن يحيى بن خالد سمّ أباك موسى بن جعفر؟ قال: نعم، سمه في ثلاثين رطوبة. قلت: فما كان يعلم أنها مسمومة؟ قال: غاب عنه المحدث. قلت: ومن المحدث؟ قال: ملك أعظم من جبريل.. كان مع رسول الله ﷺ فهو مع الأئمة^(٣) وعلى هذا، فالأئمة عندهم معصومون كالأنبياء؛ لأنهم الواسطة بين الله وخلقهم^(٤). وتنسب خوارق روايات في مولد الحسن والحسين كذلك المنسوبة لنبي الله عيسى عليه السلام^(٥).

وتذهب روايات إلى أكثر من علم الأئمة بموعد موتهم إلى موعد موت الآخرين، منها ما رواه ميسر حينما دخل على الإمام أبي جعفر وهو في جماعة، حيث ذكروا صلة الرحم، فقال أبو جعفر: يا ميسر، إن الله قد حضر أجلك غير مرة ولا مرتين، كل ذلك يؤخره الله بصلتك وقرابتك^(٦).

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٢٦ - ١٢٣.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٢٦ - ٣٥٣.

(٣) الكشي. رجال. الطوسي. اختيار. ص ٦٠٤.

(٤) إبراهيم الموسوي الزنجاني. عقائد الإمامية. ج ١. ص ٤. وانظر أيضاً جولدزهر العقيدة والشريعة في الإسلام ص ٢٠٧ - ٢١٠.

(٥) المجلسي. البحار. المجلد ١٠. ص ٦٧ - ١٤٠.

(٦) الكشي. رجال. الطوسي. اختيار. ص ٢٤٤.

وتنسب روايات أن الإمام الغائب في يوم مولده تكلم في المهد وسلم على أمه^(١). بل من الأئمة من نسب إليه تكليم سيدنا الخضر^(٢). وتنسب للإمام الصادق معجزات كتلك التي ذكرت للأنبياء أو أكبر منها، فمن هذه الروايات أن الإمام الصادق أخرج لهم من تحت رجله سبائك ذهب^(٣). وأخرى تذكر أن الصادق أخذ عبد الله بن سنان خارج المدينة، فأراه نهراً من ماء ونهراً من لبن وثالثاً من خمر، كما أراه الحور العين، وقال له: هذا ما أعد لشيعتنا^(٤). بل إن الصادق ذكروا أنه يعلم كل أعمالهم حيث تعرض عليه كل يوم خميس^(٥). ورواية تشبه الصادق بالنبي موسى عليه السلام حيث أنبع الصادق الماء لأصحابه وهم في فلاة^(٦). وإن من علامات الإمام المنسوبة للصادق أنه لو قال للجبل: سر لسار. قال الراوي: فنظرت فإذا الجبل يسير. فنظر الصادق إلى الجبل، وقال: إني لم أعنك^(٧). ورواية أخرى أنه رد روح امرأة بعد أن ماتت، وفي هذا تشبيهه بعيسى عليه السلام^(٨). بل إنه يأمر ملك الموت بتأجيل موت امرأة من نساء شيعته^(٩)، ومنها أن الصادق أخذ أربعة من الطير فذبجن وخلطهن، ثم دعا بالحمامة فتأتيه وهكذا ببقية الطير^(١٠) وفي هذا تشبيهه بسيدنا إبراهيم عليه السلام.

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٣. ص ب - ج.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثاني. ص ١٥٧.

(٣) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٢٨.

(٤) المرجع نفسه. ص ١٢٩.

(٥) المرجع نفسه. المجلد ١١. ص ١٢٩.

(٦) المرجع نفسه. المجلد ١١. ص ١٣٠.

(٧) المرجع نفسه. المجلد ١١. ص ١٣٢.

(٨) المرجع نفسه. المجلد ١١. ص ١٣٣.

(٩) المرجع نفسه. المجلد ١١. ص ١٣٧.

(١٠) المرجع نفسه. المجلد ١١. ص ١٣٥.

وتتعدى الحال إلى معجزات وكرامات منسوبة لفاطمة مقتبسة من تلك المنسوبة للسيدة مريم، ففي ميلادها ظهر نور في السماء، وينسب لها رواية أنها قالت: «أنا من ذلك النور أعلم ما كان وما يكون وما لم يكن»^(١) ولما طلب منها الرسول ﷺ طعاماً قدمت له جفنة مملوءة خبزاً ولحماً، ولما سألها من أين لك هذا؟ قالت: هو من عند الله^(٢). وهذه استعارة لما ورد في القرآن الكريم من أمر يحيى ومريم وأشياء كثيرة من هذا القبيل^(٣).

وهذه الأوصاف تجعل الأئمة في أذهان هؤلاء القوم من الشيعة فوق مستوى البشر، فإذن لا بد أنهم مخلوقون خلقاً آخر يختلف عن سائر الناس، وهكذا تفتق ذهن الرواة والغلاة إلى وسيلة لتبرير ذلك، حيث ينقل المجلسي عن كتاب (فضائل الشيعة) للشيخ الصدوق ابن بابويه القمي مسنداً الرواية عن أبي سعيد الخدري، قال: كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ إذا جاء رجل فسأل عن القوم المعنيين بالآية: «أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ» فأجابه الرسول ﷺ: إن الذين هم أعلى من الملائكة، أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين، كنا في سرادق العرش نسبح قبل أن يخلق آدم بألفي عام^(٤).. وعلى ذلك فالأئمة لم يخلقوا كخلق آدم الذي عصى ربه حينما أكل من الشجرة المحرمة بالجنة، بل إن الأئمة خلقوا من نور ظل معلقاً تحت عرش الرحمن قبل آدم بألفي عام. وهكذا يصل الفكر الغالي هذا إلى تبرير وتأكيده مبدأ عصمة الأئمة عند الشيعة^(٥). وإن ذرية آدم هم أولئك العصاة المخالفون

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٠. ص ٣-٥.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٠. ص ١٠.

(٣) المجلسي. البحار. المجلد ١١٠. ص ١٠-٥٦.

(٤) المجلسي. البحار. المجلد ٥. ص ٣٩.

(٥) المجلسي. البحار. المجلد ٥. ص ٣٠-٤٠.

للشيعة، فتنسب رواية عن الصادق أنه ذكر أن آدم أنكر ولاية الرسول محمد ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين لما عرضت عليه، ولذلك رمته الجنة بأوراقها، فلما تاب وأقر بحق الخمسة عفا الله عنه، وذلك قوله تعالى: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَةً فَتَبَّ عَلَيْهِ﴾^(١). وهذه الروايات وأشباهاها كثيرة في كتب الشيعة القديمة ما دفع الكثير من علمائهم وفقهائهم إلى القول: إن الأئمة أفضل من الأنبياء. بعضهم يخفف ذلك ويستثني محمداً ﷺ. وذكر المجلسي أن أكثر الإمامية على هذا القول^(٢) وفي رواية أخرى قد اشتطت أكثر من ذلك، حينما أظهرت الإمام علياً أكثر توكلاً على الله من الرسول ﷺ. تضع الرواية الخبر عن ابن عباس أن النبي ﷺ لما جاء يوماً أتى متعلقاً بأستار الكعبة داعياً: رب محمد، لا تجع محمداً أكثر مما أجمعه، فهبط جبريل معه جوزه... فلما فتحها وجد فيها مكتوباً: لا إله إلا الله محمد رسول الله، أيدت محمداً بعلي ونصرته به ما أنصف الله من نفسه، من اتهم الله في قضائه واستبطأه في رزقه^(٣). ولنا أن نتساءل: ما الأسباب التي دفعت الشيعة إلى هذا القول الشطط في أئمتها؟

إن الدوافع السياسية مع الجهل وتأثرهم بالمعتقدات الأخرى هي أهم الأسباب.



(١) المجلسي. البحار. المجلد ٥. ص ٥١.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ٦ ص (مجلد ٦ غير مرقم الصفحات وهذه تقع تقريباً ما قبل الصفحة الأخيرة بستين صفحة. وهذا يوضح مقالة الخميني في تفضيل الأئمة على الأنبياء التي استنكرها العالم الإسلامي.

(٣) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثاني. ص ١٥٦ - ١٥٧.

البَقَصِيلُ السَّالِسُ

ممارسات وعادات

الصلاة عند اليهود

كانت صلاة اليهود القدماء عبارة عن تقدمات من ثمار أو ذبائح، وهذه القرايين كانت تقدم على أيدي الكهنة (انظر التكوين ١٨ / ٢٣ و ٢٠ / ١٧)، وغيرها كثير.

وبعد ذلك ظهرت بينهم الصلاة كعبادة ودعاء من الرب، ولم تكن في البداية إجبارية بل اختيارية، انظر المشنا (البركات ٣٢).

ثم ظهرت بينهم الصلاة المحددة بالكيفية بالترانيم والمزامير، وهناك صلاة مخصوصة في مناسبات وأعياد مختلفة، وكانت الصلاة في البداية مرتين، ثم صارت ثلاث مرات في اليوم، واستقرت على ذلك (انظر أخبار الأيام الأولى ٢٣ / ٣٠)، وقبلتهم في الصلاة إلى أورشليم.

وعند بعض اليهود الصلاة تتم بواسطة الملائكة أو بعض منهم يدعونهم كشفعاء.

ولليهود صلاة كثيرة متنوعة، يهمنها هنا صلاة الدعاء للمسبيين، وهم فرقة من اليهود (انظر أشعيا ١١ / ١٣، إرميا ٥١ / ٢٧)، ونسمي هذه الصلاة ب: (قبوحى جلوت)، وهناك صلاة بخلافها وهي صلاة (هملشيم) الصلاة ضد الصديفين (المزامير ٨١ / ٥١)، ومما ذكر عن صلاة يهود يثرب، أنهم كانوا يصلون العشي عند اشتباك النجوم، ولهذا ورد نهي

الرسول ﷺ، في المدينة أن يؤخروا المغرب، حتى اشتباك النجوم؛ كيلا يتشبهوا بصلاة اليهود.

الصلاة عند الشيعة

لا تختلف صفة الصلاة عمومًا عند الشيعة عن بقية المذاهب الإسلامية، إلا في بعض التفاصيل والفروع.

وهذه التفاصيل والفرعيات نجدها غالبًا فيما يسمى بمستحبات الصلاة التي عقد لها صاحب اللمعة الدمشقية الفصل الرابع من كتابه، وهذه المستحبات هي: (ترتيل، التكبير، ورفع اليدين... والتوجه بست تكبيرات ... ثم يذكر المؤلف الأدعية التي تقال في الصلاة، وكثير منها أدعية ضد مخالفهم^(١))، واستخدموها بدوافع سياسية، ونسبوها إلى أئمة آل البيت.

وأدخل الشيعة في أدعية الصلاة، الدعاء ليس للنبي وآله، وإنما يسمون أئمتهم الاثني عشر بأسمائهم، كما يضيفون التبرء من أعدائهم، وأجازوا الصلاة خلف المخالف لهم في العقيدة تقية^(٢)، كما للشيعة الإفطار تقية مجارة للولادة^(٣).

وصلاة الميت عند ابن بابويه خمس تكبيرات، والسبب أنها خمس؛ لأن الصلاة المكتوبة خمسة أوقات، كما أورد أن النبي كان يكبر على بعض الموتى بخمس، والبعض بأربع^(٤)، (على المنافقين أربعًا)، وهذا من أجل التفرد؛ لأن المسلمين يكبرون على الميت أربعًا.

(١) زين الدين الجبعي العاملي: الروضة البهية، شرح اللمع الدمشقية، ج١، ص ٨٢.

(٢) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص ١٢٨.

(٣) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص ٢٥٣.

(٤) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج١، ص ٣٥٢ - ٣٥٣.

ويذكر ابن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ) في كتابه من لا يحضره الفقيه، أن بعض علماء اليهود جاؤوا للنبي ﷺ، وسألوه عن علة الاغتسال من الجنابة دون البول والغائط؟ وما ذلك في رأيي إلا تقريب لمشروعية الأخذ عند اليهود، وأنهم أصحاب علم شرعي^(١).

ونقل ابن بابويه عن النبي ﷺ، قوله: إن فاطمة ليست كأحد النساء إنها (لا ترى دمًا في حيض ولا نفاس كالحورية)^(٢).

وروى ابن بابويه عن الإمام الصادق قوله: «إنما كره النظر إلى عورة المسلم، فأما النظر إلى عورة من ليس بمسلم، مثل النظر إلى عورة الحمار»^(٣).

وينقل ابن بابويه علومه الفقهية عن طريق يهودي، سأل الرسول ﷺ عن علة وجوب الصلوات الخمس، فيأتي الرد بأن تلك مواقيت كان فيها آدم قد تاب من معصيته هو وزوجته^(٤).

وقد أدخل غلاة الشيعة في الصلاة كثيرًا من الأدعية المخالفة لقواعد الشيعة وآدابها، ما دفع بعض المصلحين الشيعة إلى الإنكار عليهم، إشاعتها بين العامة أو تدريسها أو تحفيظها لهم في الصلاة، أو كجزء مكمل للصلاة أو الأدعية، ومن هؤلاء المصلحين: أبو الفضل اليرفعي القمي الذي كتب كتابه (الخرافات الوافرة في زيارة القبور)، وكذلك حيدر علي القمي الذي كتب في الزيارات وأدعية المزارات.

(١) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص ٣١ مؤسسة الأعلمي - لبنان، ٢٠٠٥.

(٢) المصدر السابق: ص ٣٥.

(٣) المصدر السابق: ص ٤٣.

(٤) المصدر السابق: ص ٨٥.

وفي كتاب علل الشرائع لابن بابويه القمي تفاصيل كثيرة، وعلل مبتدعة، أضافها رجال الشيعة على الصلاة، في حين أن صفة الصلاة في الإسلام لا تحتمل الكثير من الخلاف حولها؛ لأنها منقولة عملياً عن النبي ﷺ^(١).

لقد وقع الشيعة وعلمائهم في المسائل الفقهية، والزيادة على الفرائض المكتوبة مثل ما وقع به سائر الملل من التزيد والابتداع لشتى الأسباب والعلل، وفي الصلاة خاصة نجد الكثير من ذلك، عند الكثير من فرق الصوفية.

وأشير هنا إلى تأخير الشيعة صلاة المغرب، عن بقية توقيت المسلمين عامة، فهم يصلونها في وقت مقاربة لاشتباك النجوم، وفي ذلك تشبه باليهود، أدخل هو من آثار ما تركه يهود يثرب، من عادة تأخر صلاة المغرب حتى اشتباك النجوم، وقد كان رسول الله ﷺ قد نهى عن ذلك^(٢).

المواسم والأعياد اليهودية والزيارات

يقدر اليهود يوم السبت يوم راحة، على تفاسير مختلفة عندهم، فبعضهم يرجعه إلى أنه يوم الخليقة، وآخرون كونه يوم خروج موسى وقومه من مصر، وآخرون يعللونه على أنه يوم راحة بعد تعب العمل لستة أيام، ولا يجوز فيه العمل ولا إيقاد النار، ولا الكتابة ولا الزواج، ولا تحل فيه الحرب الهجومية؛ ولذا ادعوا أن حروبهم كلها دفاعية، وحتى جيشهم للدفاع فقط.

وفي الأعياد اليهودية، توقد الشموع خاصة ما كان منها بهيجاً، وفي يوم الغفران، أو الكفارة يكفر فيه اليهودي، ويندم على ما اقترفه من آثام طيلة

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج٢، ص ٥ - ٦٨، حيث أطل بتفاصيل وعلل غريبة، يحار القارئ من أين جاءت تلك العلل، والتفاصيل، وكيف تجمعت، وما مصادر الأخذ بها؟

(٢) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٤، ص ١٤٦٣.

السنة الماضية، ويذكر الدكتور حسن ظاظا، أنه قد شاع بين بعض اليهود في هذا اليوم، يجوز التحلل من العهود والعقود وإنكار الديون...^(١)، وربما هذا ما أشار إليه القرآن الكريم عندهم في قولهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمْتَنَ سَكِيلٌ﴾ (آل عمران: ٧٥)، لأن منطقهم يقول: إنه في آخر هذا اليوم، وبعد التحلل سيفنر الله لك!

زيارة قبور أولياء الشيعة ومواسمها

تحاطب زيارة قبور الأولياء عند الشيعة مثل زيارة قبر الإمام علي رضي الله عنه أو ولده الحسين رضي الله عنه، بالكثير من القداسة والمبالغة، لدرجة أدخلوا فيها الكثير من المبتدعات، كسؤال صاحب القبر أن يشفع له، أو يعطيه كذا، أو يشفيه من مرض، ولكن الأنكى من كل ذلك تركيزهم في الزيارة على لعن من يسمونهم بالنواصب، بدءاً بالخلفاء الراشدين وبنى أمية، ثم شمل جميع أعدائهم.

ذكر ابن بابويه في كتابه من لا يحضره الفقيه، وهو يعد من المعتدلين الإمامية، يذكر جملة من الأدعية مثلاً عند زيارة قبر علي والحسين رضي الله عنهما، وينسب تلك الأدعية للأئمة، فمن دعاء طويل أورده للتلاوة على قبر علي رضي الله عنه: «... ولعن الله من خالفك، ولعن الله من افتري عليك، ولعن الله من غصبك، ولعن الله من بلغه ذلك، ورضي به...»^(٢).

وفي زيارة قبر الحسين رضي الله عنه، ذكر حديثاً طويلاً ورد فيه: «... بكم تتبت الأرض... بكم تنزل السماء مطرها... بكم يكشف الله الكرب... بكم ينزل الغيث... لعنت أمة خذلتكم...»^(٣).

(١) المصدر السابق: ص ١٦٨ - ١٦٩.

(٢) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص ٤١٠.

(٣) المصدر السابق: ص ٤١١.

أما المصادر التي كتبت في العصر الصفوي حيث اطمأن كاتبوها، وأمنوا العقوبة، فتذكر اللعن صريحاً بأسماء الخلفاء، أو أسماء مخالفينهم، أو بالصفات والنعوت، التي تواضعوا عليها في كتاباتهم وأحاديثهم، مثل: صنمي قريش الجبت والطاغوت^(١).

ويستعين أفراد الشيعة برجال دينهم لمعرفة أفضل يوم للسفر، أو عقد الزواج، وفي كتب الفقه تعاليم في أيام الشهر التي يأتي بها الرجل أهله، فكأنما لهم تعلق بالنجوم وبؤستها، فأول الشهر ووسطه وآخره، أو برج العقرب، مثلاً كلها لا تصلح للزواج، حيث لا يأمن الرجل أن يأتي له بولد، مجذوم أو ذي صفة ذميمة^(٢)، ويتشاءم الشيعة من يوم الأربعاء، فقد جمع ابن بابويه القمي ما حصل من مأس منذ خلق آدم إلى العصور المتأخرة كلها، حصلت يوم الأربعاء^(٣).

عزاء الحسين

من أقدم الإشارات إلى الحزن الجماعي ما ورد في ملحمة كلكاش (في حدود ٣٢٠٠ قبل الميلاد)، حيث خاطب كلكاش محبوبته الإلهة عشتار حينما عرضت الزواج عليه، قال: «من أجل تموز حبيب صباك قد قضيت بالبكاء سنة بعد سنة». وتموز إله الربيع عند البابليين الذي صوروه براع شاب مات في زهرة شبابه، فنزلت الإلهة عشتروت إلى جهنم؛ لتأخذه وتعيده إلى الحياة.

(١) المجلس: بحار الأنوار، المجلد، ص.

(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج٢، ص ٢٢٧ - ٢٣٢.

(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج٢، ص ٣٢٢.

ثم توجه هذا البكاء الجماعي عند الطرفين في بابل عند مناسبة موت الإله مردوخ، وقد انتقلت هذه العادة إلى اليهود (حينما كشف الرب لبني إسرائيل ما اطلع عليه حزقيال حينما وجد نسوة على باب الرب يبيكين تموز). كما كان الصابئة في العراق ييكون أيضاً على نبيهم تاووز الذي قتله ربه وطحن عظامه وذراها في الريح، ولدى طائفة الخرمية في العراق وفارس القديم عادة البكاء على نبيهم شروين المولود من أب زنجي وأم فارسية.

ويذكر أن أبا مسلم الخراساني في العصر العباسي أعلن الحداد سبعة أيام على روح يحيى بن زيد، وعلى الرغم من أن الرسول ﷺ قد نهى عن النياحة على الميت وشق الجيوب، فإن هذه العادة وبشكل جماعي ظهرت في العراق وفارس عند الشيعة بمناسبة مقتل الإمام الحسين، واتخذت طابعاً منظماً في العصر البويهي في العراق وفارس، حيث ساد التشيع كثيراً في الأقطار الإسلامية. وفي عهد الصفويين اتخذ عزاء الحسين والبكاء عليه شكلاً مسرحياً، حيث يجري تمثيل مقتل الحسين بشكل مفعج ومؤثر^(١).

وقد سبب وجود الشيعة حول قبر الحسين في كربلاء نوعاً من التنظيم السياسي للشيعة، ما دفع الخليفة العباسي المتوكل إلى طرد من حول القبر وحرثه مرتين، حيث أخفى موضعه ولكن رجع الشيعة - خاصة في العصر البويهي - إلى التجمع حول القبر وزيارته، وتكونت حوله قصص ومعجزات لا تزال تدور عند الشيعة. وقد دونتها كتبهم منذ القديم، فتذكر الروايات أن الإمام الصادق بعث إلى أحد أصحابه المرضى شراباً فيه طين قبور آبائه^(٢). وتحدث المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) في ثلاث صفحات من القطع الكبير

(١) د. كامل مصطفى الشيبلي. الفكر الشيعي والنزعات الصوفية. ص ٤٤ - ٥٠.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٤. ص ٣٠٤.

حول تحريم أكل الطين إلا طينة قبر الحسين، فإنها كما يذكر شفاء^(١). ونقل المجلسي رواية في كتاب التهذيب عن الإمام الصادق في تفسير قوله تعالى: ﴿سَطِطِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ﴾: هو الفرات، والبقعة المباركة المذكورة في القرآن هي كربلاء^(٢). وينقل المجلسي رواية عن الإمام أبي جعفر الصادق أنه قال: «خلق الله أرض كربلاء قبل أن يخلق أرض الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام، وقدسها وبارك عليها»^(٣). ولا شك أن في ذلك تطاولاً ومبالغة قصد بها دفع الشيعة إلى زيارة كربلاء، وقد قال شاعرهم:

وفي حديث كربلاء والكعبة لكربلاء بان علو الرتبة

ففي هذه الزيارة فوائد جمة للشيعة، منها الفوائد المالية والاجتماعية والسياسية، كما لا يخفى ذلك. ومثل هذه الروايات تكونت حول قبور أولياء الشيعة وأئمتهم، وليس فقط حول قبر الحسين وزيارته. منها ما نقله المجلسي من كتاب الأمالي للشيخ الصدوق عن الإمام الرضا قوله في حياته، وكان تنبأ في قوله: إنه سيموت ويدفن بفارس (مشهد) فقال: «... فمن زارني في غربتي كتب الله له مئة ألف شهيد، ومئة ألف صديق ومئة ألف حاج ومعتمر، ومئة ألف مجاهد، وحشر في زمرتنا»^(٤). كما أورد المجلسي روايات كثيرة بأن الدعاء حول قبر الرضا مستجاب، وذكر أن ركن الدولة البويهى أوصى الشيخ الصدوق أن يدعو له عند قبر الرضا، ففعل. وشخص طلب عند قبر الرضا أن يرزقه الله بولد ذكر فاستجاب الله دعاءه^(٥). وقد

(١) المصدر السابق. ص ٣٢٢-٣٢٥.

(٢) المصدر السابق. ص ٣٣٥.

(٣) المصدر السابق. المجلد ١٤. ص ٤٩.

(٤) المجلسي. البحار. المجلد ١٢. ص ٨٤. موسى الموسوي. الشيعة والتصحيح. ص ٩٣.

(٥) المصدر السابق. ص ٩٥.

اعتاد الشيعة حينما يزورون قبور أئمتهم ومنهم الحسين، أن يتلوا صيغاً معينة يتلونونها في هذه المناسبة، وفي بعض هذه الصيغ شدة وتجريح للخلفاء الراشدين، وتنديد بظالمي الأئمة من أمويين وعباسيين، واعتراف بفضل الأئمة، وأنهم وحدهم أصحاب الحق في الولاية والإمامة دون غيرهم، ويوصفون بصفات فوق البشر. ولكون زيارة كربلاء تتم عادة في موعد محدد بين محرم وصفر، وتكون الاجتماعات في قماتها في اليوم العاشرة من محرم يوم مقتل الحسين فإن علماء الشيعة ومخططي حركتهم يستفيدون كثيراً من مجيء هذه الوفود الشيعية من شتى أقطار الأرض، فيقومون بتعليمهم وحثهم على أخذ تعاليمهم.

ومن مراسيم الحداد والعزاء على مقتل الحسين ما يجري لدى الشيعة في كربلاء وفي غيرها من البلاد كإندونيسيا والباكستان وإيران ولبنان اللطم على الخدود وشق الجيوب والعويل والبكاء أو التباكي ولباس السواد، والأشد من ذلك يجري أيضاً ما يسمى بضرب القامات (السيوف) على الجباه وضرب الأكتاف بالسلاسل. وهي عادات أدخلها الصفويون على عزاء الشيعة؛ رغبة في توحيدهم ضد الخلافة العثمانية السنية؛ لأنها كانت في نزاع دائم معهم، فكان البلاط الصفوي يعلن رسمياً الحداد في العشرة الأيام الأولى من محرم، وكان الشاه عباس الصفوي الذي حكم إيران ما يقرب من خمسين عاماً يلبس بنفسه السواد في عاشوراء، ويلطخ جبينه بالوحل، ويتقدم مواكب العزاء. ويرى الدكتور موسى الموسوي: أن عادة القامات والضرب على الأكتاف بالسلاسل عادة وفدت على الشيعة من شيعة الهند الذين شجعهم الإنجليز على ذلك، وجلبوا لهم السلاسل والقامات لهذا الغرض، وذكر أيضاً أنه لعهد قريب كانت السفارة البريطانية

في طهران وبغداد تمولان مواكب العزاء الحسينية بهذه المعدات؛ لأغراض استعمارية منها تأصيل الخلاف بين السنة والشيعة، وإظهار الإنكليز في استعمارهم لهذه البلاد بأنهم إنما يحكمون أناساً متوحشين يحتاجون إلى من يدخل المدينة عليهم^(١).

وقد نادى كثير من علماء الشيعة في العصر الحديث إلى وجوب التوقف عن هذه البدعة، نخص منهم في سوريا السيد محسن الأمين العاملي وقبله السيد أبو الحسن الموسوي في العراق وإيران وحفيده الآن السيد الدكتور موسى الموسوي^(٢).



(١) د. موسى الموسوي، الشيعة والتصحيح، ص ٩٩.

(٢) المصدر السابق، ص ١٠٠.

الفصل السابع

الزواج

الزواج عند اليهود

الأصل عند اليهود أنه لا يصح الزواج إلا بين إسرائيلي وإسرائيلية، فإذا كان أحدهما غير إسرائيلي بطل العقد، بل اشترط أحدهم اتحاد مذهب الزوجين، فإذا اخترقت هذه القاعدة أصبحت المعاشرة بين الزوجين غير مشروعة، والأولاد غير شرعيين، ويخرج عن هذه القاعدة اجتهادات، نصت على صحة الزواج إذا دخل أحد الطرفين في الديانة اليهودية وكان غير يهودي، والقواعد السابقة نصت عليها مشاريع عدة للقوانين عند الإسرائيليين، في أزمان مختلفة^(١)، والحقيقة أن اليهودية بوصفها ديانة عنصرية، بدليل أن اليهودي وإن كفر بدينه، فإن ذلك لا يخرج من شرعية زواجه وأولاده بخلاف ما هو مقرر في الإسلام، وعند اليهود، زواج (اليوم) وهو وجوب زواج الإسرائيلي زوجة أخيه الميت، فإن لم يكن لأخيه الميت منها ولد، فإن الولد البكر من زواج الأخ زوجة أخيه الميت ينسب للميت، وفي هذا تشابه مع بعض زواج الفرس الساسانيين القدماء، حيث كان عندهم زواج الاستعارة، والأبناء يكونون للزوج المعير^(٢).

(١) حسن ظاظا: المصدر السابق، ص ١٩٢.

(٢) انظر كتابنا الزواج المؤقت ص، بيروت ٢٠٠٠م.

وفرقه القنانين من اليهود فرقة غالية، عمد كاهنها فنحاس إلى قتل اليهودي الذي تزوج بأجنبية غير يهودية، كما جاء في المشنا (القضاة) أن القنانين كانوا يقتلون كل من تزوج بأرامية^(١).

الزواج المؤقت عند اليهود

في كتابنا الزواج المؤقت قديماً وحديثاً^(٢)، أوضحنا أن اليهود قديماً في العراق بعد السبي البابلي، وكتابتهم في العراق، للتلמוד البابلي يبدو أنهم مارسوا الزواج المؤقت ليلة، أو ليلتين، على حد تعبير أحد حاخاماتهم، جاء في التلمود البابلي ما نص ترجمته من الإنكليزية من قبل: (الربان جيدال (GIDDAL)، قال باسم الرابي (RAB): الضيف يجب ألا يأكل البيض ولا ينام على كساء مضيفه، حينما جاء الرابي (RAB)، إلى دار دشير كان يعلن: من تود أن تكون لي ليوم واحد، وحينما الرابي نعمان (RAB NAHMAN) يأتي إلى شكنزب كان يعلن: «من ترغب أن تكون لي ليوم واحد...»^(٣)، وقد تناول شرح التلمود اليهود هذا النص بكثير من التأويل تعرضنا له في كتابنا المذكور.

المتعة عند الشيعة الإمامية

زواج المتعة عند الشيعة الإمامية لا يحتاج إلى إثبات، فأكثر المصادر الفقهية تتعرض لحليته وتورد عليه الأسانيد الشرعية، وتذكر أن التحريم

(١) حسن ظاظا: المصدر السابق، ص ٢١٨.

(٢) دار الحرف العربي، بلبنان ٢٠٠٦ م.

(٣) انظر قسم يماموث من النسخة المترجمة للإنكليزية للتلמוד البابلي، والمطبوع في مطبعة سانسيمو بلندن ص ٢٣٥.

للمتعة من عمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد قمت بتحقيق مخطوطة الشيخ محمد بن محمد بن نعمان المفيد (١٣هـ)، المسماة (خلاصة الإيجاز في المتعة)، أوجز فيها المفيد حجج الشيعة، ورد فيها على قول السنة بتحريمها، وقد نشرتها ضمن كتابي المذكور (الزواج المؤقت)، كما أفردت تفصيلاً لمن كتب عن المتعة قديماً من الشيعة، وأفردتها في بحث أو كتاب، ما يدل على أهمية هذا الموضوع عندهم، وكتب فقه الشيعة تفرد عادة باباً خاصاً للمتعة يطول أو يقصر، فمثلاً: ورد في كتاب من لا يحضره الفقيه لابن بابويه القمي، ذكر حلية المتعة، والأحاديث الواردة في هذا الباب، ثم ذكر صفات المرأة المتمتع بها، فكان السائل يسأل الإمام الصادق عن التمتع بالجارية الصغيرة؟ (عن محمد بن مسلم سألته عن الجارية يتمتع بها الرجل؟ قال: نعم، إلا أن تكون صبية تخدع، قلت: أصلحك الله، وكم الحد الذي بالغته لم تخدع؟ قال: ابنة عشر سنين)^(١).

الربا والطعام والشراب عند اليهود

الربا بين يهودي ويهودي آخر محرم عندهم وجائز مع غير اليهودي، والنظرة العنصرية واضحة مع هذا المنحنى، على الرغم من كون العاملات المالية شأن إنساني.

ويحرم عند اليهود أكل لحم الأرنب؛ لأنه ذا أنياب وأظفار، كما يحرم عند اليهود أكل الأسماك الملساء التي لا أصداف ولا زعانف لها كسمك (الجري) في العراق.

(١) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص ٥٨٥.

تحريم أكل الأرنب والسمك الجري عند الشيعة

جاء في كتاب من لا يحضره الفقيه، لابن بابويه القمي، حديث عن جعفر الصادق قوله: (لا تأكل الجري ولا الطحال).

وسأل سائل أبا جعفر عن أكل الكنعد من السمك، فقال: لا بأس. فاعترضه السائل أن ليس له قشر (كالجري)؟ فرد الإمام أن ذلك من سوء خلقها تحثك بكل شيء^(١)، ونقل عن الصادق أنه لا تأكل من الشاة الفرث والطحال والدم والنخاع.

وجاء في كتاب علل الشرائع، لابن بابويه القمي، رواية وضعها راوية عن بلال «أن رسول الله ﷺ، حرم الجري والضب والحمير الأهلية، ألا فاتقوا الله، ولا تأكلوا من السمك إلا ما كان له قشر، ومع القشر فلوس...»^(٢)، ورواية أخرى ذكر فيها أن رسول الله ﷺ، حضر ليتغدى مع قوم، فأخذ خبزاً فلما علم أن مرقهم سمك جري تركهم، وقام لم يأكله...

وقد أورد ابن بابويه القمي، أحاديث عدة أورد فيها تحريم أكل الأرنب، وجاء في تعليل ذلك: «ومسخت الأرنب لأنها كانت امرأة تخون زوجها، ولا تغتسل من حيض ولا جنابة...»^(٣).

بعض أحكام الربا عند الشيعة

ورد في كتاب الروضة البهية، شرح اللمعة الدمشقية للشهيد زين الدين الجبعي العاملي في باب الربا: «ولا ربا في المعدود، ولا بين الوالد وولده،

(١) ابن بابويه القمي: من لا يحضره الفقيه، ص ٥٤١، وما بعدها.. وانظر المفيد: الاختصاص، ص ١٣٧.

(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج ٢، ص ١٧١.

(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج ٢، ص ١٩٨.

ولا بين الزوج وزوجته، ولا بين المسلم والحربي، إذا أخذ المسلم الفضل»، ويتخلص من الربا أيضاً «بأن يبيعه بالمماثل ويهبه الزائد» في عقد واحد^(١). وينقل ابن بابويه القمي، في كتابه علل الشرائع، حديثاً عن داود بن فرقد، أنه سأل الإمام الصادق، عن مال الناصبي فقال: «توه ما قدرت عليه»، وهذا يعني فيما يبدو ضيع على الناصب ماله^(٢)، ويشكو أحد الرجال لإمامه من استقامة العامة على الخلق القويم، بينما شيعتهم فيهم من يشرب الخمر، ويزني، ويلوط، ويفعل المنكرات، ولكنه يقر بالولاية، فيفسر له إمامه أن ما شاهده من خير في العامة إنما يعود إلى طينة الشيعة الطيبة التي خلقوا منها، وما شاهده من انحراف بعض الشيعة وعمل الموبقات إنما هو من عمل طينة العامة التي خلقوا منها؛ لأن الله قد مزج بين الطينتين في خلقه^(٣)، وفي آخر الحديث أوصى الإمام السائل أن ذلك من الأسرار، فلا يذيعه إلا لمؤمن مستبصر!!



(١) الروضة البهية شرح اللمعة الدمشقية: زين الدين الجبعي العاملي. ج١، ص٣١٩، دار الكتاب العربي بمصر.

(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج٢، ص٣٢٦.

(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج٢، ص٣٢٣ - ٣٣٥.

obeikandi.com

الفصل الثامن

التحريف والتأويل

تعطيل بعض الأحكام زمن التشرد

ظهر بين طائفة اليهودجانية اليهودية والمنسوبة إلى أبي عيسى (عويديا) ، من يهود أصفهان في القرن الأول الهجري، زمن خلافة عبد الملك ابن مروان، فادعى النبوة، من بعده ادعى تلميذه يودجان هو الآخر الادعاء النبوة، وجمع اليهود على كيان قومي، وعند موته، ادعى أتباعه أنه هو المسيح المنتظر وأنه سيرجع.

إن أهم تعاليم هذه الطائفة القول بعدم وجوب إقامة الشعائر اليهودية يوم السبت أو في غيره، وأن تعطل الشريعة ما دام اليهود متشردين لا قوة تحميمهم، وأغرقت هذه التفرقة بالتفسير الباطني لنصوص التوراة، وجاؤوا بشروح وتأويلات باطنية المعاني مما تخدم فكرهم الديني وأغراضهم البعيدة، وفكرة تعطيل الشريعة ظهرت في طوائف كثيرة من اليهود، منهم طائفة (الشادجانية)^(١).

وسنة ٢٧٦ هـ، ظهر في الكوفة يهودي يظهر الإسلام، اسمه ميمون ابن ديسان، المشهور بالقداح، وأصله رجل دين يهودي، أظهر تفسيرات باطنية لبعض نصوص القرآن الكريم والحديث الشريف، تخدم فكر الشيعة بدعواهم الخاصة بحق آل بيت علي عليه السلام، بالولاية والخلافة، وكان هذا الرجل مولى لجعفر بن محمد الصادق^(٢).

(١) حسن ظاظا: المصدر السابق، ص ٢٤٦.

(٢) البغدادي: الفرق بين الفرق، ص ٢٨٢.

تعطيل بعد الأحكام زمن الغيبة عند الشيعة

ذكرنا فيما سبق أن الشيعة تعرضوا في تاريخهم الطويل إلى التشرد والضياع، كما حصل لليهود ما عدا أحقاب تاريخية استثنائية، إذا ما قيس بتاريخهم الطويل، ويعبر الشيعة عن تلك المدة من الضياع بالغيبة، وهي المدة التي غاب عنهم فيها الإمام الثاني عشر، وغياب الإمام يستتبعه عندهم بعض الأحكام الشرعية على تفاصيل واختلاف فيما بين فقهاءهم، ولكن عمومًا قيل: إن تنفيذ الأحكام الشرعية تتعطل منها إقامة الحدود وصلاة الجماعة في المساجد، والجهاد في سبيل الله، خاصة جهاد الطلب وغير ذلك من الأحكام التي عادة ما ينهض بها الإمام.

إن ظهور فكرة ولاية الفقيه أريد بها سد تلك الثغرة من عدم إقامة تلك الأحكام، خاصة حينما توافر للشيعة إقامة دولة، كما هي الحال في إيران اليوم.

لقد ورث المجتمع الشيعي عمومًا عدم الاهتمام بإقامة صلاة الجماعة، حتى في المساجد، وذلك للسبب الوارد أعلاه، فتري حتى في إيران الناس يدخلون فرادى، فيصلون في المساجد ويخرجون، عدا بعض الفقهاء يرى وجوب إقامة الجمعة.

لقد شجع الإنكليز شيعة الهند وإيران أيام الاحتلال البريطاني على فكرة تعطيل الجهاد في سبيل الله، برغم أنه جهاد دفع الاحتلال والغزو الأجنبي.

تحريف اليهود للتوراة

إن تحريف اليهود لكتبهم خاصة التوراة مثبت لا خلاف فيه، فقد ذكرت هذه الحقيقة في القرآن الكريم: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (النساء: ٤٦)، وفي آية أخرى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ (المائدة: ٤١)، وتدل نصوص التوراة نفسها على أن كاتبها غير نبي الله موسى، بل إن النص ينسب بالقول له، ومرة أخرى ينسب القول إلى الرب، وهذا يدل على أنها كتبت بعد عصر موسى بمدة طويلة، برغم ادعاء بعضهم أن موسى هو الذي كتبها، ومن ناحية ثانية أن هناك نصين مختلفين للتوراة: نص التوراة العبرية، ونص التوراة السامرية، وبينهما اختلاف كبير في كثير من المواقع، وقد درس ليكر تلك الفروق وبين مواضعها واختلاف النص فيما بينها، في التسمية أو الأعداد، أو مجيء نص مجمل وآخر مفصل.

ويرى المستشرق الألماني نولدكه أن التوراة جمعت في عصور مختلفة من كتبة عدة، فقد بدأ جمعها بما يقرب من قرن من الزمان بعد موت موسى، وهذا يفسر احتواء التوراة على جذور ديانة الإسرائيليين الوثنية في عبادتهم للإله يهوه، وهو صنم عند المحققين^(١)، وقد ذكرنا سابقاً نسبة كتابة التوراة إلى عزرا الكاتب، وذلك بعد السبي البابلي المشهور.

تحريف بعض الشيعة لنص القرآن

إن أكثر المتقدمين من الشيعة يرون أن القرآن جرى عليه بعض التحريف زيادة أو نقصاً، وخالفهم قلة في ذلك، حيث يرون أن القرآن هو ما بين الدفتين، وأكثر الشيعة الإمامية المتأخرين على هذا الرأي، وقد

(١) حسن ظاظا: المصدر السابق، ص، وانظر ص ، من هذا البحث.

حققنا ذلك بالتفصيل في كتابنا جذور التشيع، وعموماً فإن أكثر ما يدور عليه النقصان عندهم هو سقوط النص بولاية علي (عليه السلام)، فقد أورد الكليني في كتابه الكافي رواية تنص أن الآية الآتية نزلت هكذا: (سأل سائل بعذاب واقع، للكافرين (بولاية علي) ليس له دافع) (١).

وفي تفسير علي بن إبراهيم القمي ذكر في معرض تفسيره للآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَوْمُنُونَكَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (النور: ٦٢)، قال: «هذه الآية في سورة النور وأخبار (غزوة أحد) في سورة آل عمران، فهذا دليل على أن التأليف على خلاف ما أنزل الله» (٢).

وفي معرض تفسيره للآية: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ (آل عمران: ١٢٣)، قال القمي: قال أبو عبد الله الصادق: ما كانوا أذلة وفيهم رسول الله ﷺ، وإنما نزل: لقد نصركم ببدر وأنتم ضعفاء، وعند تفسيره للآية: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ﴾ (النساء: ٦٤) (٣). قال: «عن أبي جعفر عليه السلام قال: ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك يا علي، واستغفر لهم الرسول، لوجدوا الله تواباً رحيماً» هكذا نزلت (٤).

وذكر القمي في تفسيره آية محرفة أخرى، وهي: (لقد تاب الله بالنبي على المهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة). وقال: قال الإمام الصادق: هكذا نزلت، وهم أبو ذر وأبو خيثمة وعمر بن وهب، الذين تخلفوا ثم لحقوا برسول الله ﷺ (٥).

(١) الكليني، الكافي: الأصول، ص ٧٠٠.

(٢) القمي: تفسير، ج ١، ص ١٢٥.

(٣) القمي: تفسير، ج ١، ص ١٢٩ - ١٣٠.

(٤) القمي: تفسير، ج ١، ص ١٥٠.

(٥) القمي: تفسير، ج ١، ص ٢٩٧.

كما ذكر القمي أن الآية الآتية نزلت هكذا: (وإذا قيل لهم ما أنزل ربكم في علي قالوا أساطير الأولين)^(١). إن تفسير القمي مليء بالزيادة والتحريف، خاصة ما تعلق بدم أبي بكر وعمر رضي الله عنهما أو ما تعلق بالزيادة في ولاية الإمام علي بن أبي طالب^(٢).

وليس القرآن وحده قد ناله التحريف، ولكن أموراً كثيرة عمد رجال الشيعة وعلمائهم، بأن ينفرد الشيعة عن بقية المسلمين، في أحكام الإسلام، وقد سيطرت هذه الفكرة على الشيعة إلى درجة قول علمائهم المنقول: (خالفوهم فإن الحق ما خالفهم)، ومقتضى الخلاف طبعاً يدفع إلى التحريف والتأويل، فقد لحق التحريف بأبسط الأشياء، حتى في القبلة في الصلاة، حيث قد أمروا بالانحراف في القبلة إلى اليسار على دعوى إصابة القبلة بالحجر الأسود^(٣).

والشيخ المفيد (محمد بن محمد بن النعمان ٤١٣ هـ) من الذين يرون وقوع التحريف بالقرآن، وفي أثناء كتبه إشارات على ذلك، منها ما جاء في كتابه (الاختصاص) أن الآية التاسعة من سورة الجمعة نزلت هكذا: (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله)^(٤).

نقل إلينا أن فريقاً من الشيعة يدعون بوجود سورة أسموها (سورة النورين)، يزعمون أنها من القرآن، ولكن المخالفين حذفوها منه، وقد تولى الدكتور إبراهيم عوض^(٥)، نشر هذه السورة ودراسة صياغتها اللغوية خاصة،

(١) القمي: تفسير، ج ١، ص ٣٨٥.

(٢) القمي: تفسير، ج ٢، ص ٢٦٠.

(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج ٢، ص ١٠ - ١١.

(٤) المفيد: الاختصاص. ص ١٢٩، بيروت ١٩٨٢م.

(٥) د. إبراهيم عوض: سورة النورين (التي يزعم فريق من الشيعة أنها من القرآن الكريم)، دار زهراء الشرق، القاهرة.

أثبت فيها استحالة أن تكون من القرآن الكريم؛ لخروجها عن سياقها، ومعناه اللغوي خاصة، ونورد أدناه نص السورة المزعومة؛ ليطلع عليها القارئ:

نص السورة المزعومة

بسم الله الرحمن الرحيم (يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالنورين أنزلناهما يتلوان عليكم آياتي ويحذرانكم عذاب يوم عظيم * نوران بعضهم من بعض وأنا السميع عليم * إن الذين يوفون ورسوله في آيات لهم جنات النعيم * والذين كفروا من بعد ما آمنوا بنقضهم ميثاقهم وما عاهدهم الرسول عليه يُقَذَّفون في الجحيم * ظلموا أنفسهم وعصوا الوصي الرسول أولئك يُسْقون من حميم * إن الله الذي نور السموات والأرض بما شاء واصطفى من الملائكة وجعل من المؤمنين * أولئك في خلقه يفعل الله ما يشاء لا إله إلا هو الرحمن الرحيم * قد مكر الذين من قبلهم برسولهم فأخذهم بمكرهم إن أخذني شديد أليم * إن الله قد أهلك عاداً وثموداً بما كسبوا وجعلهم لكم تذكرة فلا تتقون * وفرعون بما طغى على موسى وأخيه هارون أغرقته ومن تبعه أجمعين * ليكون لكم آية وإن أكثركم فاسقون * إن الله يجمعهم في يوم الحشر فلا يستطيعون الجواب حين يُسألون * إن الجحيم مأواهم وأن الله عليم حكيم * يا أيها الرسول بلغ إنذاري فسوف يعلمون * قد خسر الذين كانوا عن آياتي وحكمي معرضون * مثل الذين يوفون بعهدي أني جزيتهم جنات النعيم * إن الله لذو مغفرة وأجر عظيم * وإن علياً من المتقين * وإنا لنوفيه حقه يوم الدين * ما نحن عن ظلمه بغافلين * وكرمناه على أهلك أجمعين * فإنه وذريته لصابرون * وإن عدوهم إمام المجرمين * قل للذين كفروا بعدما آمنوا طلبتم زينة الحياة الدنيا واستعجلتم بها ونسيتم ما وعدكم الله ورسوله ونقضتم العهود من بعد توكيدها وقد ضربنا لكم الأمثال لعلكم تهتدون * يا أيها الرسول قد أنزلنا إليك آيات بينات فيها من يتوفاه مؤمناً ومن يتوليه من بعد يظهرون * فأعرض عنهم إنهم معرضون * إنا لهم محضرون * في يوم لا يغني عنهم شيء ولا هم يرحمون * إن لهم جهنم مقاماً عنه لا يعدلون * فسبح باسم ربك وكن من الساجدين * ولقد

أرسلنا موسى وهارون بما استخلف فبغوا هارون فصبر جميل فجعلنا منهم القردة والخنازير ولعنناهم إلى يوم يبعثون * فاصبر فسوف يبصرون * ولقد آتينا لك الحكم كالذين من قبلك من المرسلين * وجعلنا لك منهم وصياً لعلهم يرجعون * ومن يتول عن أمري فإني مرجعه فليتمتعوا بكفرهم قليلاً فلا تسأل عن الناكثين * يا أيها الرسول قد جعلنا لك في أعناق الذين آمنوا عهداً فخذه وكن من الشاكرين * إن علياً قانتاً بالليل ساجداً يحذر الآخرة ويرجو ثواب ربه قل هل يستوى الذين ظلموا وهم بعدابي يعلمون * سنجعل الأغلال في أعناقهم وهم على أعمالهم يندمون * إنا بشرناك بذريته الصالحين * وإنهم لأمرنا لا يخلفون * فعليهم مني صلوات ورحمة أحياء وأمواتا يوم يبعثون * وعلى الذين يبغون عليهم من بعدك غضبي إنهم قوم سوء خاسرين * وعلى الذين سلخوا مسلكتهم مني رحمة وهم في الغرفات آمنون * والحمد لله رب العالمين.

إن أول ظهور لفكرة نقصان القرآن والزيادة فيه ظهرت عند الغلاة من الشيعة، وتسربت آراؤهم وأحاديثهم المنسوبة للأئمة عن هذا الموضوع لكتب الشيعة من المتأخرين، ولم يستطع متقدمو الشيعة الإمامية على العموم التخلص من هذه الأخبار المنسوبة في هذا الباب إلى أثمتهم، بل أثبتوها في أمهات كتبهم، شأنها شأن كثير من الأخبار التي تقرد بها الشيعة عن غيرهم من المذاهب الإسلامية. وقد اعتقد بعض الإمامية بفكرة حصول النقص في القرآن دون الزيادة فيه. وبعضهم الآخر ذهب إلى حصول النقص والزيادة معاً، وقلة من الإمامية ذهب إلى عدم حصول نقص وزيادة، وإنما القرآن هو الموجود بين الدفتين، الذي لا خلاف فيه بين جميع المسلمين كما هو رأي السيد المرتضى. ولشناعة القول بنقص القرآن أو الزيادة فيه فقد كان مادة للإنكار على الشيعة طيلة العصور جرّت عليهم الويلات الكثيرة من خصومهم كما سنفصل ذلك.

عن علي بن الحكم بن هشام بن صالح عن أبي عبد الله رضي الله عنه قال: «إن القرآن الذي جاء به جبريل عليه السلام إلى محمد صلوات الله عليه وآله سبعة عشر ألف آية»^(١). وفي رواية مطولة عن أبي بصير عن أبي عبد الله رضي الله عنه: «.... قال: قلت: وما مصحف فاطمة عليها السلام؟ قال: مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد»^(٢).

ويذكر علي بن إبراهيم القمي^(٣) في تفسيره، وهو من أقدم التفاسير عند الشيعة أن: «القرآن منه ناسخ ومنسوخ منه... ومنه على خلاف ما أنزل الله، ومنه رد على من أنكر المتعة والرجعة... ومنه مخاطبة الله تعالى لأمير المؤمنين والأئمة...»^(٤). ثم أورد روايات تنسب إلى الإمام أبي عبد الله رضي الله عنه بأن الآيات الآتية هي القراءة الصحيحة للقرآن، وتفصل كيف أنها على خلاف ما أنزل الله منها: «كنتم خير أمة أخرجت للناس».

«الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعل لنا من المتقين إمامًا».

«له معقبات من خلفه وورقيب من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله».

«لكن الله يشهد بما أنزل إليك (في علي) أنزله بعلمه والملائكة يشهدون».

(١) الكليني. الكافي. ج ٢. ص ٦٣٤ والمعروف أن القرآن ٦٢٣٦ آية.

(٢) الكليني. الكافي. ج ١. ص ٢٤٠.

(٣) معاصر للإمام الحسن العسكري الإمام الحادي عشر توفي سنة ٣٠٧ هـ.

(٤) علي بن إبراهيم القمي. تفسير القمي. ج ١. ص ١٧-٢٠. (بيروت ١٩٩١ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات).

وهذا من قبيل ما هو محرف من القرآن كما يقول القمي. ومثله:

«يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك (في علي) وإن لم تفعل فما بلغت رسالته»^(١).

وفي تفسير العياشي، وهو محمد بن مسعود بن عياش السلمي من طبقة الكليني أورد رواية عن ميسر عن أبي جعفر قال: «لولا أنه زيد في كتاب الله ونقص منه ما خفي على ذي حجب»^(٢).

وتتردد روايات كثيرة منسوبة للأئمة بوقوع التحريف في القرآن عن جملة من رجال الشيعة ومفسريهم الأقدمين منهم محمد بن محمد الصفار القمي المتوفى سنة ٢٩٠هـ، وفرات بن إبراهيم الكوفي، وسليم بن قيس العامري، وسعد بن عبد الله القمي، ومحمد بن مسعود العياشي^(٣) وغيرهم كثير من رجال القرن الثاني والثالث، حتى ليخيل للباحث أن هذه هي عقيدة الشيعة الإمامية في القرآن دون خلاف بينهم في تلك المدة.

ولكن بعد الانفتاح الاجتماعي الذي حصل للشيعة في القرن الثالث وما بعده وسيادة مذهب التشيع في الأمصار الإسلامية على يد البويهيين والفاطميين تعرضت عقائد الشيعة للانتشار والبحث بين المسلمين، ظهرت بين بعض علماء الشيعة الإمامية آراء مختلفة أو معدلة أو بعضها متناقض في مسألة نقص القرآن أو الزيادة فيه أو وقوع التحريف فيه، فهذا الشيخ محمد بن محمد بن النعمان المفيد (المتوفى ٤١٣هـ) قد نسب القول في كتابه المسائل السروية:

(١) المصدر السابق. ص ٢٢ - ٢٣.

(٢) العياشي. تفسير. ج ١. ص ١٣.

(٣) أغابزرك. الذريعة. ج ٤. ص ٤٨٨ - ٥٠٠.

«...إن الذي بين الدفتين من القرآن جميعه كلام الله وتنزيله، وليس فيه شيء آخر من كلام البشر... غير أن الخبر قد صح عن أئمتنا عليهم السلام أنهم قد أمروا بقراءة ما بين الدفتين، وألا نتعداه إلى زيادة فيه أو النقص منه إلى أن يقوم القائم عليه السلام، وإنما نهونا عن قراءة ما وردت به الأخبار من أحرف تزيد على الثابت في المصحف؛ لأنها لم تأت على التواتر، ولأنه متى ما قرأ الإنسان بما يخالف ما بين الدفتين غرر بنفسه من أهل الخلاف، وأغرى به الجبارين وعرض نفسه للهلاك، فمنعونا...»^(١).

وقال المفيد في كتاب آخر: «... اتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة، واتفقوا على إطلاق البداء في وصف الله تعالى، واتفقوا على أن أئمة الضلال خالفوا في كثير من تحريف القرآن، وعدلوا فيه على موجب التنزيل وسنة النبي صلى الله عليه وآله»، وقال في موضع آخر «... إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد عليهم السلام باختلاف القرآن، وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان»^(٢).

ويلاحظ الباحث أن الذين قالوا بحصول التحريف والنقصان من قدماء أوائل الشيعة الإمامية الغالب فيها تدور على آيات متعلقة بالولاية أو متعلقة بحذف أسماء أشخاص، وذلك بإسقاط اسم علي أو الأئمة في رأيهم^(٣). ولكن المتأخرين من الإمامية والذين ذهبوا مذهب هؤلاء وسعوا الخرق، وأوردوا آيات ادعوا سقوطها أو سور بكاملها. وهذه آفة قد عمت

(١) المفيد. المسائل السروية كما حكاها عنه المجلسي في كتابه "مرآة العقول".

(٢) المفيد. أوائل المقالات. ص ١٣ وص ٥٤.

(٣) القمي. تفسير القمي. ج ١. ص ٢٠ - ٥٠.

جميع الفرق، حيث تبدأ الدعوى بسيطة وصغيرة، ربما يكون أصلها مجرد تأويل أو تفسير أو تكون انحرافاً من مغرض، ثم بعد ذلك يتزايد فيها أهل الأهواء، فتتسع جيلاً بعد جيل، وهذا ما حصل تماماً في موضوع دعوى الأوائل، نقلوا رواياتهم في التحريف ولم يعلقوا عليها بالقبول أو الرفض، كما فعل الكليني، وعد سكوته عند بعضهم موافقة منه، وهكذا شأن الشيعة الإمامية لم يستطيعوا تنقية عقائدهم من آراء الغلاة ليس فقط في مسألة التحريف، وإنما هذا الأثر واضح كل الوضوح كما رأينا عند دراسة معتقدات الشيعة. وعندما جاء المتأخرون من بعض علماء الإمامية كانت مهمتهم عسيرة جداً في نفي حصول التحريف كما نرى.

ومن القائلين بالتحريف أيضاً أبو منصور أحمد بن علي الطبرسي صاحب كتاب الاحتجاج بحصول التحريف في القرآن، وأن القرآن الكامل هو ما كتبه الإمام علي في زمن النبي وتوارثه أبنائه بعده، وفي هذه النسخة صريح كلام الله تعالى بأسماء من اقترفوا الآثام، وارتكبوا الكبائر، وصدوا عن سبيل الله، لكن كتأب القرآن من الصحابة زمن عمر وعثمان غيرها وجعلوها كنايات. ولا يرى الطبرسي مسوغاً لذكر أسماء المبدلين ولا ذكر الزيادة في آيات القرآن؛ لأن في ذلك تقوية لحجج أهل الباطل، فيقول:

«وليس يسوغ من عموم التقية التصريح بأسماء المبدلين ولا الزيادة في آياته على ما أثبتوه من تلقائهم في الكتاب؛ لما في ذلك تقوية حجج أهل التعطيل والكفر... ولأن الصبر على ولاة الأمر مفروض فحسبك الجواب عن هذا الموضع ما سمعت، فإن شريعة التقية تحظر التصريح بأكثر منه»^(١).

(١) الطبرسي. الاحتجاج. ج ١. ص ٢٧١.

ويقول في موضع آخر من كتاب الاحتجاج: «ولو شرحت لك كل ما أسقط وحرف وبدل ما يجري في هذا المجال لطال، وظهر ما تحظر التقية إظهاره من مناقب الأولياء ومثالب الأعداء»^(١).

ومن القائلين بحصول التحريف في القرآن من متأخري الشيعة الإمامية العلامة المجلسي، ونعمة الله الجزائري والحر العاملي والعلامة الفتوني والسيد البحراني وملا محسن الكاشاني وغيرهم.

فقد ذكر محمد باقر المجلسي (توفي سنة ١١١١ هـ) أن عثمان بن عفان رضي الله عنه حذف من هذا القرآن ثلاثة أشياء: مناقب أمير المؤمنين علي وأهل البيت وذم قريش والخلفاء الثلاثة مثل آية: «يا ليتني لم أتخذ أبا بكر خليلاً». وهو يرى أن أخبار التحريف جاءت متواترة ولا سبيل إلى إنكارها، وأنه إذا أسقطنا أخبار التحريف، فإن ذلك يؤدي أيضاً إلى نفس الحجة إلى إسقاط أخبار الإمامة، فلا سبيل إلى ذلك^(٢).

أما نعمة الله الجزائري فقد قال في كتابه: (الأنوار النعمانية في بيان معرفة النشأة الإنسانية): «إن تسليم تواترها (القراءات) عن الوحي الإلهي وكون الكل قد نزل به الروح الأمين، يفضي إلى طرح الأخبار المستفيضة بل المتواترة الدالة بصريحتها على وقوع التحريف في القرآن كلاماً ومادة وإعراباً، مع أن أصحابنا قد أطبقوا على صحتها والتصديق بها... والخاص أنه قد استفاض في الأخبار أن القرآن كما أنزل لم يؤلفه إلا أمير المؤمنين بوصية من النبي، فبقي بعد موته ستة أشهر مشغلاً بجمعه، فلما جمعه كما أنزل أتى به إلى المتخلفين بعد رسول الله ﷺ فقال

(١) الطبرسي. الاحتجاج. ج ١. ص ٣٧٧ - ٣٧٨.

(٢) المجلسي. مرآة العقول. ج ١٢. ص ٥٢٥. طهران. ١٤٠٠. مطبعة الحيدري.

لهم: هذا كتاب الله كما أنزل، فقال عمر بن الخطاب: لا حاجة لنا إليك ولا إلى قراءتك عندنا قرآن جمعه وكتبه عثمان، فقال: لن تروه بعد هذا اليوم، ولا يراه أحد حتى يظهر ولد المهدي، وفي هذا القرآن زيادات كثيرة وهو خالٍ من التحريف... ولما جلس أمير المؤمنين على سرير الخلافة لم يتمكن من إظهار ذلك القرآن وإخفاء هذا؛ لما فيه من إظهار الشنعة على من سبقه....».

وقال الجزائري: «إن الأصحاب قد أطبقوا على صحة الأخبار المستفيضة بل المتواترة الدالة بصريحتها على وقوع التحريف في القرآن كلاماً ومادة وإعراباً والتصديق بها»^(١).

وأما البحراني هاشم (المتوفى سنة ١١٠٨ هـ) فقد قال في مقدمة تفسيره المسمى بالبرهان: «... اعلم أن الحق الذي لا محيص عنه بحسب الأخبار المتواترة الآتية وغيرها أن هذا القرآن الذي في أيدينا قد وقع فيه بعد رسول الله ﷺ شيء من التغيرات، وأسقط الذين جمعوه بعده كثيراً من الكلمات والآيات»^(٢). وحكم على الشيخ الصدوق بأنه قد توهم في رأيه من كون القرآن هو ما بين الدفتين. ويذهب محمد بن مرتضى المشهور بملا محسن الكاشاني (توفي سنة ١٠٩١ هـ) إلى أخطر من ذلك تأسيساً على ما يراه وغيره من تواتر الأخبار المتعلقة بتحريف القرآن، إذ قال: «.... لم يبقَ لنا اعتماد على شيء من القرآن، إذ على هذا يحتمل كل آية منه أن يكون محرفاً ومغيراً، ويكون على خلاف ما أنزل الله» فلم يبقَ لنا في القرآن حجة أصلاً، فتنتفي فائدته، ويخطر في البال في دفع هذا الإشكال والعلم

(١) نعمة الله الجزائري. الأنوار النعمانية. ج٢. ص ٢٥٧-٢٥٩ (طباعة تبريز بإيران).

(٢) البحراني. البرهان. ج١. ص ٣٦. وما بعدها. وقد ذكر واحداً وعشرين حديثاً في هذا الباب جمعها من كتب الإمامية.

عند الله أن يقال: إن صحت هذه الأخبار فاعل التغيير إنما وقع فيما لا يخل بالمقصود^(١). وفائدة الأمر باتباعه والوصية بالتمسك به إلى غير ذلك.. وردّ على الذين قالوا بعدم حصول التحريف أو الزيادة والنقص من الشيعة الإمامية فقال: «... كما أن الدواعي كانت متوافرة على نقل القرآن وحراسته من المؤمنين كانت كذلك متوافرة على تغييره من المنافقين المبدلين للوصية...» «... وأما كونه مجموعاً في عهد النبي ﷺ ما هو عليه الآن، فلم يثبت وكيف كان مجموعاً وإنما كان ينزل منجماً^(٢)».

وذهب أيضاً مذهب القائلين بالتحريف أبو الحسن العاملي بن محمد طاهر الفتوني (المتوفى سنة ١١٣٨ هـ) وهو تلميذ محسن الكاشاني ونعمة الله الجزائري اللذين نقلنا مذهبهما سابقاً.

ساق هذا الشيخ رأي القائلين بالتحريف ممن سبق ذكرهم هنا، وحرر رأي النافين للتحريف من الإمامية كالشيخ الصدوق والسيد المرتضى والطوسي صاحب تفسير البيان ورد عليهم، وانتقد رأي القائلين بالتحريف على التفصيل الذي سنورده لاحقاً^(٣).

ومن أشمل المؤلفات وأوسعها في موضوع نقص القرآن والزيادة فيه أو تحريفه عند الشيعة الإمامية ما كتبه حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي (١٢٥٤ هـ - ١٣٢٠ هـ) المولود بطبرستان والمتوفى في الكوفة. كتب كتابه (فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب) فجمع فيه ما ذكره سابقوه

(١) الكاشاني: تفسير الصافي. ج ١. ص ٣٣-٣٤.

(٢) المصدر السابق. ج ١. ص ٣٥-٣٧.

(٣) انظر: مقدمة تفسير البرهان للبحراني حيث طبع كتاب العاملي هذا معه والمسمى (مرآة الأنوار ومشكاة الأسرار) ص ٣٦. طهران. ١٣٧٤ هـ. مطبعة الأفتاب.

في هذه المقالة، فجمع أكثر من ألف حديث غطت معظم سور القرآن منسوبة للأئمة، تتضمن إما نقصاً أو زيادة أو مجرد تحريف في حروف القرآن. وفيه أيضاً رد على القائلين بعدم حصول الزيادة أو النقص أو التحريف، واعتبر رأيه هو المتواتر، وأن هؤلاء لا يعتد برأيهم؛ لكونه لا سند لهم من حديث كما هو مذهبهم.

وقد أحدث هذا الكتاب ردود فعل شديدة، فأنكر عليه بعض علماء الشيعة الإمامية في حينه، ومنهم الشيخ محمود الطهراني في رسالته المسماة (كشف الارتباب عن تحريف الكتاب) كما فعل ذلك كثير من علماء الإمامية^(١) ومنهم من اعتذر له كأغابزرك الطهراني صاحب الذريعة، وذلك برسالة صغيرة أسماها (النقد اللطيف) اعتذر فيها للنوري أنه لم يشتمل كتابه السالف على إثبات التحريف، بل على خلاف ذلك اشتمل على عدم التحريف^(٢).

وناصر النوري فيما ذهب إليه أيضاً جملة من علماء الإمامية منهم من ذكرهم صاحب الذريعة وهم ملا باقر بن إسماعيل الكاجوري في كتابه (هداية المرتاب في تحريف الكتاب). وملا محمد بن سليمان السليمانى والشيخ هادي النجفي في كتابه (محجة العلماء) والخراساني في كتابه (الكفاية)^(٣).

(١) منهم الشريف الشهرستاني في كتابه (نزهة المصنف) انظر: الذريعة. ج ٢٤. ص ١٠٥.

(٢) أغابزرك. الذريعة. ج ٢٤. ص ٢٧٨. ج ٤. ص ٢٤٣.

(٣) أغابزرك. الذريعة. ج ٢٥. ص ١٩١. ج ١٨. ص ٢٧. ج ١٦. ص ٢٣٢. ج ٢٠. ص ١٤٤. ج ٢٤.

ص ١٠٥.

ومن الذين اعتذروا أيضاً أبو محمد الخاقاني حيث وصف النوري بأنه مجتهد، وقد أخطأ في مقولته هذه، وأن للمجتهد حسنة على مجرد اجتهاده. ومنهم كذلك السيد محمد الطباطبائي في تعليقه كتاب (الأنوار النعمانية) للجزائري حيث قال في النوري: «لم يكن غرضه اعتقاد التحريف. وكيف كان ما أجاد تأليفه ولا وافق الصواب في جمعه. وليته لم يؤلفه، وإن ألفه لم ينشره، وقد صار ضرره أكثر من نفعه، بل لا نفع يتصور في نشره، فإنه جهز السلاح للعدو، وهياه وأداه إلى خصماء الإسلام»^(١).

ومن قدماء النافين لحصول زيادة في القرآن أو النقص منه أو التحريف فيه من علماء الشيعة الإمامية الشيخ الصدوق المشهور بابن بابويه القمي والشريف المرتضى والشيخ الطوسي في كتاب التبيان، والطبرسي صاحب مجمع البيان لعلوم القرآن. ومن المتأخرين السيد كاشف الغطاء وأبو قاسم الخوئي ومحمد جواد البلاغي ومحمد تقي الحكيم ومحمد رضا المظفر وغيرهم.

فقد ذكر الشيخ الصدوق وهو محمد بن بابويه القمي (المتوفى سنة ٣٨١هـ) في كتابه (الاعتقادات): «... اعتقادنا أن القرآن الذي أنزله الله تعالى على نبيه ﷺ هو ما بين الدفتين، وهو ما بأيدي الناس وليس بأكثر من ذلك ومبلغ سوره عند الناس مئة وأربع عشرة سورة، وعندنا أن (الضحى) و(ألم نشرح) سورة واحدة، و(إيلاف) و(ألم تر كيف) سورة واحدة. ومن نسب إلينا أننا نقول أكثر من ذلك فهو كاذب»^(٢).

(١) محمد مال الله. الشيعة وتحريف القرآن. ص ١١٥. عمان الأردن. ١٩٨٥. حيث ينقل عن

الهاقاني في كتابه (مع الخطوط العريضة). ص ٣٣.

(٢) الطبرسي. مجمع البيان. ج ١. ص ١٥

أما الشريف علم الهدى المرتضى (توفي ٤٣٦هـ) فقد نقل الطبرسي رأيه في مقدمة تفسيره المعروف بمجمع البيان، فقال عنه: «... القرآن معجزة النبوة ومآخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية، حتى عرفوا كل شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيراً أو منقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد». وقال في موضع آخر أيضاً: «إن القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن... وكان يعرض على النبي ﷺ ويتلى عليه، وإن جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأبي ابن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي ﷺ ختمات عدة، وكل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثور، وإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقولاً أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته» وذكر المرتضى: «أن من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يعتد بخلافهم»^(١).

وقال الشيخ الطوسي، وهو محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى سنة ٤٦٠هـ)، وهو تلميذ الشيخ المفيد والسيد المرتضى في التبيان في تفسير القرآن: «... وأما الكلام في زيادته ونقصانه، فمما لا يليق به أيضاً؛ لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها، والنقصان منه فالظاهر أيضاً في مذهب المسلمين خلافه، وهو الأليق بالصحيح من مذهبنا، وهو الذي نصره المرتضى وهو الظاهر في الروايات... ورواياتنا متناصرة في الحث على قراءته والتمسك بما فيه، ورد ما يرد من اختلاف الأخبار في الفروع إليه وعرضها عليه في واقعة عمل عليه، وما خالفه تجنب، ولم يلتفت إليه. وقد

(١) الطبرسي. مجمع البيان. ج١. ص١٥.

روي عن النبي ﷺ رواية لا يدفعها أحد أنه قال: «إني مخلف فيكم الثقلين ما إن تمسكتكم بهما لن تضلوا: كتاب الله وعشيرتي أهل بيتي، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض...».

وأضاف الطوسي: «وهذا يدل على أنه موجود في كل عصر؛ لأنه لا يجوز أن يأمرنا بالتمسك بما لا يقدر على التمسك به، كما أن أهل البيت ومن يجب اتباعهم حاصل في كل وقت، وإذا كان الموجود بيننا مجمعاً على صحته، فينبغي أن نتشاغل في تفسيره وبيان معانيه وترك ما سواه...»^(١).

أما أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (المتوفى سنة ٥٤٨ هـ) فقد قال في تفسيره مجمع البيان: «.... ومن ذلك الكلام نقص في القرآن وزيادته فإنه لا يليق بالتفسير، فأما الزيادة فيه فمجمع على بطلانه، وأما النقصان منه فقد روى جماعة من أصحابنا وقوم من حشوية العامة أن في القرآن تغييراً ونقصاناً، والصحيح من مذهب أصحابنا خلافه، وهو الذي نصره المرتضى قدس الله روحه، واستوفى فيه غاية الاستيفاء في جواب المسائل الطرابلسيات.... أن القرآن معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية. إن العلم بتفسير القرآن وأبعاده في صحة نقله كالعلم بحملته، وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنفة ككتاب سيبويه والمزني. ومعلوم أن العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه»^(٢).

(١) الطوسي. التبيان. ج١. ص ٣. ومن شدة اعتدال الطوسي في تفسيره هذا أن بعض الشيعة الإمامية قالوا: إن الطوسي وضعه مسابقة لعموم أهل السنة. وقد التبس أمر الطوسي على السبكي وحاجي خليفة في كشف الظنون وعدّوه شافعيًا.

(٢) الطبرسي. مجمع البيان. ج١. ص ١٥. بيروت.

وقال محمد حسين آل كاشف الغطاء: «إن الكتاب الموجود في أيدي المسلمين هو الكتاب الذي أنزله الله إليه للإعجاز والتحدي ولتعليم الأحكام وتمييز الحلال من الحرام، وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة، وعلى هذا إجماعهم، ومن ذهب منهم أو غيرهم من فرق المسلمين إلى وجود نقص أو تحريف، فهو مخطئ بنص الكتاب العظيم ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. والأخبار الواردة من طرقنا أو طرقهم الظاهرة في نقصه أو تحريفه ضعيفة شاذة وأخبار آحاد لا تقيد علماً ولا عملاً، فإما أن تؤول بنحو من الاعتبار أو يضرب بها الجدار»^(١).

وقال محمد رضا المظفر: «نعتقد أن القرآن هو الوحي الإلهي المنزل من الله تعالى على لسان نبيه الأكرم، فيه تبيان كل شيء وهو معجزته الخالدة.. لا يعتريه التبدل والتغيير والتحريف، وهذا الذي بين أيدينا نتلوه هو القرآن نفسه المنزل على النبي، ومن ادعى فيه غير ذلك فهو مخترق أو مغالط أو مشتبّه، وكلهم على غير هدي، فإنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه»^(٢).

ونقل عن أبي القاسم الخوئي رأيين متضاربين: أحدهما يقول فيه: إن المشهور في المذهب عدم حصول التحريف في القرآن^(٣). والثاني يرى فيه القطع بحصول التحريف؛ وذلك لكثرة الروايات التي تقطع بحصوله^(٤). ويرى محسن الأمين العاملي والخنيزي أن روايات التحريف تعد شاذة، وحاول الخنيزي نفي ما ورد عن الأئمة من هذه الروايات.

(١) كاشف الغطاء. أصل الشيعة وأصولها.

(٢) محمد رضا المظفر. عقائد الشيعة. ص ٣٦. منشورات الحيدرية بالنجف. ١٩٥٤.

(٣) الخوئي. البيان. ص ٢٢٦.

(٤) الخوئي. البيان. ص ٢٢٢.

وبمثل ما اعتذر بعض الإمامية لعلمائهم الأقدمين أو المتأخرين القول بنقص القرآن أو تحريفه، وحاولوا تأويل مقالاتهم كما سبق، فإن بعض شيوخ الإمامية أيضاً حاولوا تأويل مقولة النافين لحصول النقص أو الزيادة أو التحريف في القرآن بالقول على أن هذا الرأي صدر منهم على سبيل التقية، والمحافظة على المذهب ورجاله من أن يبطش بهم المخالفون الحكام. كما احتج البعض أن النافين ليس لهم دليل، بل بالعكس هم يخالفون الروايات المتواترة بنقص القرآن أو زيادته أو تحريفه دون دليل مقبول، وإن رأيهم لا يستند لقول أحد من الأئمة المعصومين، كما هي القاعدة. نقل الشيخ النوري في كتابه السالف (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) أن السيد نعمة الله الجزائري قال: «إن الأخبار الدالة على ذلك تزيد على ألفي حديث، وادعى استفادتها جماعة كالمفيد والمحقق الداماد والعلامة المجلسي وغيرهم» ونقل أيضاً عنه: «أن الأصحاب قد أطبقوا على صحة الأخبار المستفيضة، بل المتواترة الدالة بصريحتها على وقوع التحريف في القرآن»^(١).

وذكر محسن الكاشاني في (تفسير الصافي): «المستفاد من مجموع هذه الأخبار وغيرها من الروايات من طريق أهل البيت عليهم السلام أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل...»^(٢).

ونقل النوري عن المجلسي قوله: «... وعندي أن الأخبار في هذا الباب متواترة معنى، وطرح جميعها يوجب رفع الاعتماد على الأخبار رأساً، بل ظني أن الأخبار في هذا الباب لا يقصر عن أخبار الإمامة، فكيف يثبتونها بالخبر»^(٣).

(١) النوري. فصل الخطاب. ص ٢٢٧. طباعة إيران سنة ١٢٩٨ هـ.

(٢) محسن الكاشاني. الصافي.

(٣) النوري. فصل الخطاب. ص ٢٢٦. وما بعدها.

وقد ذكر السيد نعمة الله الجزائري في كتابه (الأنوار النعمانية) اتفاق الشيعة على فكرة تحريف القرآن واعتراف أن المرتضى والصدوق والطبرسي والطوسي خالفوا هذا الرأي، ولكنه علل ذلك: «.... والظاهر أن هذا القول إنما صدر منهم لأجل مصالح كثيرة، منها سد باب الطعن... كيف وهؤلاء الأعلام رووا في مؤلفاتهم أخباراً كثيرة، تشتمل على وقوع تلك الأمور في القرآن...»^(١).

وأما رأي الشيخ الطوسي النافى للتحريف كما ورد في تفسيره السالف الذكر، فقد ذكر في رد هذا الرأي وإضعافه أن الطوسي ألف تفسيره هذا مماشاة ومدارة للمخالفين، حيث نقل رأي قتادة والضحاك والسدي وابن جريج، ثم قال: «... ومما يؤكد وضع هذا الكتاب (التبيان) على التقية، ما ذكره السيد الجليل علي بن طاوس في كتابه (سعد السعود)»^(٢).

وذكر الكاشاني راداً على من يقول: إن الكليني في كتابه الكافي والشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي في كتابه (الاحتجاج) إنما كانا ينقلان الأحاديث المروية في هذا الباب، دون ذكر رأيهم في مضمونها، حيث لا يجوز أن نعهدهم من القائلين بحصول النقص في القرآن أو تحريفه، يقول رداً على ذلك: «... أما اعتقاد مشايخنا رحمهم الله في ذلك فالظاهر من ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني طاب ثراه أنه كان يعتقد التحريف والنقصان في القرآن؛ لأنه روى روايات في هذا المعنى في كتابه (الكافي) ولم يتعرض لمدح فيها مع أنه ذكر في أول الكتاب أنه يثق بما رواه فيه، وكذلك استأذه علي بن إبراهيم القمي في تفسيره مملوء منه وله غلو فيه. وكذلك

(١) نعمة الله الجزائري. الأنوار النعمانية. ج١. ص ١٥٠ وما بعدها، ج٢. ص ٣٥٦ وما بعدها.

(٢) النوري. المصدر السابق. ص ٢٢٦ وما بعدها.

الشيخ أحمد بن أبي طالب الطبرسي قدس سره أيضاً نسج على منوالهما في كتابه (الاحتجاج)^(١).

ونقل الشيخ النوري عن الشيخ أسد الله الكاظمي في كتابه (كشف القناع) أن رأي الشيخ الصدوق في هذا الباب مضطرب، ولا يحصل من فتواه غالباً علم ولا ظن.. ثم قال: «هذا الخبر مأخوذ من الكافي وفيه تغييرات عجيبية تورث سوء الظن بالصدوق، وأنه فعل ذلك لتوافق مذهب أهل العدل»^(٢).

طعن اليهود بأنبيائهم

وبخلاف تقديسهم لأنبيائهم ورجال دينهم، وإضفاء العصمة عليهم، تجرأ اليهود في رمي بعض أنبيائهم بأخس الصفات، التي لا تليق بالإنسان العادي، فكيف بالنبي المرسل؟!

جاء في التوراة أن ابنتي النبي لوط، قامتتا بسقيه خمرًا، واضطجعتا مع أبيهما دون وعيه، لأجل أن يكثرنا نسل بني إسرائيل. (انظر سفر التكوين ٣٠ - ٣٦).

ورمت التوراة هارون بصنع عجل من ذهب بني إسرائيل، من أجل أن يعبدوه بعد غياب موسى عنهم (الإصحاح ٣٢ / ١ - ٤).

كما ترمي التوراة النبي داود بالزنى بامرأة أحد جنوده، فيأمر داود بإرسال الجندي إلى ساحة الحرب، فيقتل، فيضم المرأة إلى نسائه فيما بعد ما حملت منه. (الإصحاح ١١ / ٢ - ٦، وكذلك ١٤ - ١٦).

(١) الكاشاني. الصافي، ص ١٤.

(٢) النوري. فصل الخطاب. الدليل الحادي عشر في إثبات التحريف في القرآن.

وتصور التوراة النبي سليمان بأنه زير نساء إلى درجة أن العشاء قد أمكن قلبه عن الخالق. (الإصحاح ١١ / ١ - ٤).

والنصوص كثيرة في القدح بالأنبياء وبالربانيين، ووصفهم بكثرة شرب الخمر والسكر، والعردة، لدرجة أن يضلوا في أحكام قضائهم بين الناس. (الإصحاح ٢٣ / ١١).

طعن الشيعة بأزواج الرسول محمد ﷺ وأصحابه والأنبياء

أورد علي بن إبراهيم القمي، في معرض تفسيره لآية الإفك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ﴾ (النور: ١١)، قال: إن العامة (السنة) قالوا: نزلت في عائشة رضي الله عنها، وأما الخاصة (الشيعة)، فإنهم رووا أنها نزلت في مارية القبطية، وما رمتها به (عائشة)، وعلقت جهة التحقيق في الحاشية: (الظاهر أن هناك نقصاً) ^(١)، والنقص فيما يبدو هو رمي عائشة رضي الله عنها بهذا الإفك، وأما البراءة من الإفك الواردة في الآية، فهي براءة لمارية القبطية، حيث رمتها عائشة، وأنها ولدت إبراهيم من رجل حبشي، فجاءت البراءة لها في الآية، وليست البراءة لعائشة. كما أن في ذلك طعنًا على رسول الله ﷺ، فإذا كان الاتهام متوجهًا لذلك الحبشي الذي اكتشف علي بن أبي طالب أنه عني أو مقطوع الذكر، فكيف يعلم علي رضي الله عنه شيئاً يجله رسول الله ﷺ ^(٢).

وفي موضع آخر من تفسير القمي، ورد الطعن واللعن على زوجة الرسول ﷺ حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنها جميعاً، كما أورد اتهاماً

(١) القمي: تفسير، ج ٢، ص ٧٥.

(٢) القمي: تفسير، ج ٢، ص ٢٩٣.

لأبي بكر وعمر، وبعض الصحابة عليهم السلام بأنهم قد عزموا أن يضعوا السم للرسول صلى الله عليه وآله، ولكن جبريل أعلمه بذلك ^(١).

ثم أورد القمي في تفسيره للآية: ﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٌ﴾ (القلم: ١٣)، والآيات بعدها اتهامات للخلفاء الراشدين والصحابة، مما يترفع القلم عن ذكره، قام محقق الكتاب بحذف بعضه، فوضع بدلها نقاطاً أو عبر عن أسماء الخلفاء بفلان وفلان، وهو المشهور والمتكرر في كتبهم على ما يعلمه الدارسون ^(٢).

وهذا قد كتب في آخر القرن الثالث الهجري، ومنه وعن أمثاله نقل صاحب بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي في نهاية القرن الحادي عشر الهجري، ونعمة الله الجزائري، وغيرهم من الشيعة الغلاة.

وعند تفسير القمي للآية: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ (المدثر: ١١)، الوحيد ولد الزنا، وهوزفر، ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾ (المدثر: ١٢) أجلاً إلى مدة، ﴿وَبَيْنَ شُهُودًا﴾ (المدثر: ١٣) أصحابه الذين شهدوا أن رسول الله صلى الله عليه وآله لا يورث، ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ (المدثر: ١٤) ملكه الذي ملكه، ﴿إِنَّهُ كَانَ لِإِيْتِنَا عَنِيدًا﴾ (المدثر: ١٦) ولاية أمير المؤمنين جاحداً ^(٣)، وأترك للقارئ معرفة الاسم المعني هنا بزفر، فهو واضح من سياق الكلام.

وأورد ابن بابويه القمي في كتابه علل الشرائع نقلاً وروايات في حق أنبياء الله، يعلل فيها العقوبة التي حلت بهم، فتبى الله يعقوب عاقبه ربه

(١) القمي: تفسير، ج ٢، ص ٣٦١.

(٢) القمي: تفسير، ج ٢، ص ٣٦٧.

(٣) القمي: تفسير، ج ٢، ص ٣٨٦.

بضياع ابنه المحبوب له يوسف؛ لأنه لم يطعم فقيراً حل ببابه، طالباً سد رمقه من الجوع، وكذلك نبي الله يوسف، عوقب بالسجن؛ لأنه اختاره لنفسه لم يسأل العافية^(١).

ولعل ذلك من تأثير نقولهم من المصادر اليهودية التوراتية عن أنبياء بني إسرائيل.

ومثل ذلك ما نقله ابن بابويه في سبب رمي نبي الله يوسف بالسرقة تأويلاً للآية: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ (يوسف: ٧٧)^(٢)، كما رموا نبي الله يوسف بالتقية، حينما قال للغير: ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ (يوسف: ٧٠)، اتهمهم بالسرقة، وتقول الرواية وما هم بسارقين^(٣).

كما روي أن يوسف عاقبه الله بقطع نسله، واستمرار نسل أخيه بنيامين؛ لأنه لم ينزل عن كرسي عرشه، حينما قدم أبوه وإخوته إليه، وإنما جعلهم أو تركهم يخرون له سجداً، وكان عليه أن يستقبل أباه ويخر له ساجداً، بعد عذاب الأب الطويل من فقد ابنه^(٤)، ونبي الله موسى لما أمدّه الله بالمعجزات الكثيرة وأغرق فرعون وجنوده ظن موسى أنه يعلم كل شيء، فسلط الله عليه عبداً يدعى الخضر، علمه من علم الله ما لم يكن يعلم، ليدرك شدة جهالته واحتياجه إلى ربه^(٥).

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج١، ص٦٥، وما بعدها.

(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج١، ص٦٧.

(٣) المصدر السابق: ج١، ص٦٩.

(٤) المصدر السابق: ج١، ص٧٢.

(٥) المصدر السابق: ج١، ص٧٩٢.

وقد طعن كثير من علماء الشيعة بالصحابة والتابعين، والمصادر القديمة تنص على أن المسلمين، بعد وفاة الرسول ﷺ، ارتدوا إلا ثلاثة، أو إلا أربعة^(١).

وقد توارد الطعن في مصادر الشيعة على السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وزوج رسول الله ﷺ، وبهتوها كما بهت اليهود مريم العذراء أم المسيح عليه السلام، وهم على علم بهذا البهتان مخالفين كلام الله، الذي أنزل ببراءتها مما نسب إليها، ويقرب الشيخ الطوسي الإمام علي رضي الله عنه من صورة المسيح، ناسباً القول للرسول ﷺ: «يا علي، إن فيك شبيهاً من عيسى ابن مريم، أحبته النصارى حتى أنزلوه منزلة ليس بها، وأبغضه اليهود حتى بهتوا أمه»^(٢).

فكرة الحلول في اليهودية

تؤمن اليهودية بأن الله الواحد قد حل في شعب إسرائيل وباركه، فخصه دون غيره من الشعوب بتلك القداسة والبركة، كما أن الخالق أيضاً حل في أرض إسرائيل، فجعلها مباركة ومقدسة، ويتبع ذلك أن الله كان قد حل في نبيه موسى عليه السلام، فانتقلت تلك القداسة والبركة في نسل موسى والأنبياء بعده.

وقام علماء اليهود بتفسير نصوص التوراة الواردة في حق موسى والرسل الآخرين، وفي حق شعب إسرائيل وأرضهم بما يقتضي بهذه الفكرة، وقامت الفرق اليهودية بتوسيع هذا المفهوم والدفاع عنه بشتى الحجج الفلسفية^(٣).

(١) الشيخ المفيد: الاختصاص. ص ٧٩، ٥، ٩، ١٠.

(٢) محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، ص ٢٦١.

(٣) عبد الوهاب المسيري: الموسوعة اليهودية، مجلد ٢، ص ٢١، وما بعدها.

ولم تسلم الفرق الإسلامية - وخاصة الصوفية - من تأثرها بفكرة الحلول تلك، وادعت أن الله قد حل بمحمد ﷺ، فتحققت له العصمة، وأصبح ذلك الحلول عبارة عن نور محمدي، ينتقل في الأصلاب، ومن هنا جوز بعضهم الحلول في شيخهم الصوفي عن طريق العبادة والصوم والتجرد... إلى أن يصل لمرتبة الحلول في الذات الإلهية.

التأويل الباطني عند اليهود

يرى بعض الباحثين أن اليهود أوفرًا منهم، قد تأثروا بالفلسفة اليونانية، وذلك في القرن الأول الميلادي على يد المفكر اليهودي (فيلون)، عمد الفيثاغوريون اليونان إلى شرح قصص الميثولوجيا، وعبادات الأسرار بشكل باطني غنوصي^(١)، وبرع يهود الإسكندرية في الشرق بتأويل التوراة، وذلك بشكل رمزي، ففي شرحهم لسفر التكوين: أن الله خلق العقل في عالم المثال، ومنه خلق الإنسان على شكل آدم، وأعطاه الإحساس (أي حواء)، وانقاد إلى اللذة المرموزة بالحية، التي وسوست لحواء فولدت قابيل رمز الكبرياء، وانتقى منها الخير رمزًا لهاييل.

وأما آباء إبراهيم فرمزهم الكواكب، كما أولوا إبراهيم بأنه التنور، وسارة حق الفضيلة، ويرى بعض الدارسين أن السبب الدافع لهذا المنهج هو الهروب من المعنى الظاهر للنص؛ لكونه خرافيًا وغير معقول، أو خاطئًا من الأساس وهي وسيلة لتصديق ما بيدهم من تورا.

فالنبي إدريس رمز له بالندم، ونوح والطوفان رمز للتطهير النفسي، والجنة رمز لشجرة الحياة، أما الوعود الواردة فهي مجرد رمز لخيرات

(١) الغزالي: فضائح الباطنية، ص ١١، يوسف كرم: الفلسفة اليونانية، ص ٢٤٨.

روحية^(١)، وقد انتقلت هذه الأفكار إلى بقية المدارس الفكرية في الشرق خاصة في أنطاكية وحران، والرها ونصيبين والحضر والحيرة.

وانتقل التفسير الباطني من اليهودية أول الأمر إلى مذاهب غالية كالخرمية والقرامطة، ثم عم انتشاره في الشيعة الإسماعيلية وغيرهم من فرق الشيعة.

صور بعض أنبياء بني إسرائيل منطبعة بالعرش

ورد في سفر (حزقيال / ١ - ٢٦)، أن صورة النبي يعقوب رفعت إلى عرش الرحمن، وفي صلاة اليهود المعروفة باسم (الهاجادة) يوردون أن صورة الإنسان الموجود في الجزء العلوي من العرش السماوي هي صورة النبي يعقوب التي رفعت إلى العرش.

٣ - أثر اليهودية على الكيسانية من الشيعة

انتقلت أفكار السبئية إلى الكيسانية، عن طريق حركة المختار بن عبيد الله الثقفي بالكوفة، وعبد الله بن حرب، وبيان بن سمعان، بل يبدو أن هناك صلة مباشرة بين يهود الكوفة، والمغيرة بن سعيد، وهؤلاء جميعاً أخذوا من اليهودية أفكاراً باطنية، وقد أخذت الكيسانية التفسير الباطني من ابن سبأ في قضية الرجعة، حيث ادعوا برجوع إمامهم وأنه لم يمت.

أما عبد الله بن حرب فينسب له التأويل الباطني المتعلق بالأسباط، ولم يستح بيان بن سمعان، فادعى أنه هو المعني بقوله تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١٣٨)، وينسب إلى أبي هاشم بن محمد ابن الحنفية بن علي بن

(١) المصدر السابق.

أبي طالب، أن أباه أفضى إليه بأسرار العلوم وتقدير التنزيل، على التأويل وتصوير الظاهر على الباطن^(١)، وعلى هذا النهج سار المغيرة بن سعيد وأبو الخطاب.

فكرة الحلول عند الشيعة

ذكر محمد بن إبراهيم النعماني (أبوزينب) من علماء القرن الثالث الهجري، في كتابه الغيبة، أموراً يتضح فيها الاستعارة من التوراة وقصصها، وأنه يستفيد مما ورد في التوراة، لإقامة الدليل على ما يدعيه، فقد عقد باباً أسماه: (باب ما روي في الأئمة الاثني عشر إماماً، وذكر ما يدل عليه من القرآن والتوراة)، ويذكر النعماني باب الإمامة وصية من الله لجبريل، أخبر بها النبي ﷺ، ليسلمها لعلي بن أبي طالب، وكل إمام يسلمها لمن بعده من الأئمة الاثني عشر^(٢).

وفي موضع آخر يذكر النعماني أن الإمام الغائب فيه سنة من الأنبياء، فهو شبه بيوسف وأنه ابن أمة سوداء^(٣)، وفي موضع آخر وصف النعماني الإمام: «إن الله بعث الإمام علماً لخلقه، وجعله حجة على أهل طاعته، ألبسه تاج الوقار، وغشاه من نور الجبار، يمد بسبب من السماء لا ينقطع عنه».

ويتحدث النعماني عن نقول من الأحاديث، يذكر فيها أن الإمام الغائب إذا خرج: (يكون جبريل أمامه، وميكائيل عن يمينه، وإسرافيل عن يساره...) ^(٤).

(١) الشهرستاني: الملل والنحل، ج١، ص١٥١.

(٢) محمد بن إبراهيم النعماني: كتاب الغيبة، ص٢١، وما بعدها، ص٣٩، مؤسسة الأعلمي، بيروت ١٩٨٣ م.

(٣) المصدر السابق: ص١٠٨.

(٤) المصدر السابق: ص١٥٤.

عبدالله بن ميمون القداح

كان يهودياً من ولد الشلعل من مدينة السلمية بالشام، فأظهر الإسلام، وسكن بالكوفة، وكان من أحبار اليهود، على علم بالنجوم والفلسفة، وكانت دعوته في البداية إلى آل بيت رسول الله ﷺ، وذلك عن طريق التفسير الباطني للنصوص^(١).

وقد عرفت تأويلات ابن القداح الباطنية عند العلماء المسلمين بالديسانية، ونسبت له فرقة بهذا الاسم، تركزت مبادئها الباطنية على هدم الإسلام، والتخفي تحت ستار التأويل الباطني، والانتصار لآل البيت ﷺ^(٢).

فرقة الكبالا (القبالا) اليهودية وعلاقتها بالتشيع

الكبالا فرقة يهودية، والكلمة عبرية تعني: (التلقي عن طريق التقاليد)، أي التلقي بالقبول، وكان منهجها الفكري هو التأويل الباطني الغنوصي، مع مزيج من التعاليم الروحية والفلسفية، ويعتقد الكبالا أن الله كائن مطلق، شاعر بوجوده، ينفث نفسه في عالم الأرواح والملائكة، وأن روح الإنسان تنتقل من جسم إلى جسم، ومردّها إلى الله^(٣).

وقد انتقلت تعاليم هذه الفرقة إلى المسلمين بواسطة فرقة العيسوية، المنسوبة إلى أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصفهاني، وقيل: إن اسمه الحقيقي: (عوفيد الوهيم)، وكان زمن الخليفة المنصور، وكان على شاكلته

(١) محمد بن مالك الحمادي: كشف الأسرار الباطنية والقرامطة، ص ١٩٧.

(٢) د. أحمد شلبي: اليهودية، ٣١٨.

(٣) النشار: الفكر الإسلامي، ج ١، ص ١٨٧.

كثير من اليهود في العراق خاصة، وعند بعض الباحثين أن هذه الفرقة هي سبب نشأة الشيعة الإسماعيلية التي اشتهرت فيما بعد بالتأويل الباطني^(١).

وفي الفرق اليهودية الباطنية أيضاً فرقة المقاربة التي انتشرت أيضاً في ذلك الوقت، وأهم مقولاتها أن للتوراة معنى ظاهراً وباطناً، وهذا المقال تبنته كثير من فرق الشيعة، بل وزحف من الغلاة إلى بعض الشيعة الإمامية، ويمكن الرجوع إلى تفسير القمي، المشهور عند الاثني عشرية، ففيه الشواهد الكثيرة على التفسير الباطني للآيات، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ (الرحمن: ١٩)، أي علي وفاطمة يتزوجان، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن: ٢٢) أي يولد منهما الحسن والحسين.

التأويل الباطني عند الشيعة

تأثرت بعض فرق الشيعة وبعض روايتهم بمنهج التأويل الباطني اليهودي السالف، والقارئ لكتب التفسير والحديث القديمة يجد بين طياتها إشارات للتأويل الرمزي، منها:

الجنابة: مبادرة المستجيب بإفشاء السر.

الفصل: تجديد العهد.

الزنا: إلقاء نطفة العلم الباطن في نفس من لم يسبق معه عقد.

الصيام: الإمساك عن كشف السر.

الكعبة: النبي محمد ﷺ.

(١) برنارد لويس: أصول الإسماعيلية، ص ١٥٢، الشهرستاني: الملل والنحل، ج ١، ص ٢١٦.

الباب: علي بن أبي طالب.

الطوفان: العلم أغرق به المتمسكون بالشبهة.

نار إبراهيم: غضب الملك نمرود.

ذبح إسحاق: أخذ العهد منه.

عصا موسى: حجته ضد فرعون.

يأجوج ومأجوج: أهل الظاهر.

الجنة والنار: أسماء رجال^(١).

صور أئمة الشيعة منطبعة ومعلقة بالعرش

في كثير من مصادر الشيعة، يرد أن الله خلق آدم من طينة حمأ مسنون، أما خلق محمد الرسول ﷺ، والأئمة فإنه من طينة مختلفة خلقها الله قبل خلق آدم، وجعلها معلقة تحت العرش، ووضع في ظهر محمد ﷺ نوراً، وهذا النور انتقل منه إلى علي والحسن والحسين عن طريق فاطمة، هكذا إلى بقية الأئمة^(٢).



(١) الغزالي: فضائح الباطنية، ص ٦٠، وما بعدها.

(٢) أجناس جولدزيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام، ص ٢٠٥.

الفصل التاسع

النقمة على المخالفين

١ - ستحل عقوبة الخالق بالمخالفين عند اليهود

تكرر التعاليم اليهودية انتقام الرب من العصاة والمخالفين، وذلك خاصة في (يوم الرب) (أخبرت هياميم = يوم الآخرة) (انظر حزقيال ١٢ / ٢١). وفي (الإصحاح ٤٩: التكوين).

«... يبرز كوكب من يعقوب، ويقدم صولجان من إسرائيل، فيحطم طرقي مؤاب...» أو «.. فيهلك كل نبي الوغى». أو: «يزلزل سائر بني شيت». وجاء في التلمود في باب «السنهدين»: «... إن أبانا إلیاهو غضوب...» وفي الصلاة التاسعة عشرة التي أضافها صموئيل جاء في بعضها: «... لا تكن رجاء للوشاة بحيث يهلك كل البغاة تواء، ويستأصل كل أعدائك ومبغضيك عاجلاً فتقتلع وتحطم وتدمر ملك الفساد...». ويتكرر الدعاء بالخلاص مما هم فيه من اضطهاد وضيق.

فيكرر وعد الرب في التعاليم اليهودية أنه سينتقم لهم من أعدائهم وجلاديهم ومن آذاهم وقاتلهم، وأن عقوبة الرب ستحل بأعدائهم. وبسبب انكسار اليهود واضطهادهم قديماً وما تعرضوا له من مأس ظهر بينهم صلاة ابتدعها رجال دينهم، تسمى صلاة الحزن، تتلى بصوت حزين وعبارات فيها تضرع وانكسار للرب: أن ينقذهم مما هم فيه من ضيق وعنت^(١).

(١) انظر تفاصيل هذه التلاوة الحزينة ونصوصها عند حسن ظاظا: المصدر السابق، ص ١٥٧ -

رأي اليهود مخالفينهم

يرى اليهود عموماً حسب نصوص التوراة: والتلمود أن مخالفينهم من الأمم الأخرى إنما هم كفار وثنيون. وقد نص التلمود صراحة على كفر المسيح نفسه. وتبيح التوراة لليهود دماء مخالفينهم وأموالهم: «... وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب نصيباً، فلا تستبق منهم نسمة ما» (الإصحاح ٢٠-١٠-١٧).

إن اليهود في مصادرهم يستعملون كلمة (غويم) أو (غوي) للمخالفين من الأمم الأخرى، الذين يستحلونهم، إن تعاليم التلمود أشد وطأة على مخالفين اليهود ليس فقط في استباحة دمائهم وأموالهم، بل عدم جواز مساعدتهم وإنقاذ من يتعرض للهلاك منهم. وقد أباحت التوراة الذهب والفضة والمتاع الذي أخذه اليهود من المصريين في أثناء الخروج خلصة من مصر (الإصحاح: ٣-٢١-٢٢).

وأمرت التوراة اليهود ألا يقطعوا عهداً، ولا يصاهروا، ولا يشفقوا على مخالفينهم (التثنية، الإصحاح ٢/٧).

والأمم الأخرى عند اليهود أمم نجسة، قامت طوال الوقت بتنجيس الأرض (الأوبين الإصحاح ١٨/٢٤-٢٨). وبسبب هذه النجاسة يحرم على اليهود طعام المخالفين وأنيتهم. وفي تعاليم التلمود غلو وتشديد على وجوب تجنب أن ينجس المخالف طعام اليهودي أو شرابه أو ملابسه بالملامسة أو عن طريق استعمال تلك الأنية أو الأثاث... وما الأمم الأخرى في نظرهم إلا حيوانات مسخرة لخدمة اليهود.

اضطهاد اليهود

تعكس نصوص التوراة في كثير من المواضع غضب الرب على بني إسرائيل، لما قاموا به من عبادة العجل قديماً ثم ما قاموا به من مظالم استحقوا عليها

العقوبة من الخالق. وقد تركز الشعور بالذنب والخطيئة عندهم، وبالغوا في تصويرها والعزف عليها واستغلالها لأغراضهم السياسية، وادعاء المبالغة في موضوع المحرقة هو آخر إبداعات الصهيونية؛ ولذا فإن الحزن صفة ملازمة لليهودي أينما حل، حزن على ما فات من تاريخ، وحزن على المجهول من المستقبل^(١). وقد استغل اليهود فكرة معاداة السامية للنيل من خصومهم في العصر الحديث، وأصبحت سبة يخاف منها الساسة الغربيون، فقد أخذت أبعاداً سياسية لخدمة أغراض الصهيونية العالمية^(٢).

اضطهاد الشيعة

بسبب حركات الشيعة السياسية الفاشلة في العصر الأموي والعباسي ظلوا مضطهدين سياسياً، وبقيت عقائدهم سرية، لما فيها من مخالفة لمجموع ما عليه المسلمون. وتعكس هذه الحقيقة ما ورد في تفسير علي بن إبراهيم القمي رواية عن المنهال بن عمرو وعلي بن الحسن بن علي: أنهما سألا الإمام الصادق: كيف أصبحت؟ فرد عليهما: «أصبحنا في قومنا مثل بني إسرائيل في آل فرعون، يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا، وأصبح خير البرية بعد محمد يلعن على المنابر و...»^(٣).

ولشدة مراقبة السلطة السياسية للأئمة الشيعة لحقهم الكثير من المضايقات والأذى، وقد بثوا هذه الشكوى لمن حولهم، فتقلت إلينا الروايات الكثيرة الدالة على تبرم الأئمة مما حولهم، إلى درجة أنهم أعدوا ذلك الأذى

(١) محمد يونس هاشم: الدين والسياسة والنبوة. ص ٢١٥.

(٢) عبد الوهاب المسيري: الموسوعة اليهودية. المجلد الأول ص ١٣٧ وما بعدها.

(٣) القمي: تفسير. ج ٢، ص ١١١.

جزءاً من الابتلاء، فكان لسان حال بعضهم قوله: «لو كان المؤمن على رأس جبل لقيض الله عز وجل من يؤذيه ليأجره على ذلك»^(١).

ولصفات الشيعة السالفة فقد أوثقوا في طبعهم الحدة، وهو الأمر الذي لاحظته راوي ابن بابويه القمي في علل الشرائع، حيث ذكر ذلك للإمام الصادق، فعلى له ذلك بأن الشيعة أدخلوا النار، فأصابهم منها وهج، فالحدة من ذلك الوهج، أما مخالفوهم فلم يدخلوا النار، فمن ثم لهم سمت ولهم وقار^(٢).

هذا ولكون أكثر الشيعة ليسوا عرباً، وقد كانوا ينبزون بأنهم علوج أو نبط، فإننا نجد رد الفعل في الحديث الذي يرويه ابن بابويه القمي في علل الشرائع رافعاً شأنهم: «المؤمن علوي، لأنه علا في المعرفة، وهو هاشمي لأنه هشمي الضلالة، وهو قرشي لأنه أقر بالشيء المأخوذ عنا، وهو عجمي لأنه استعجم عليه الشر، وهو نبطي لأنه استنبط العلم، وهو أنصاري لأنه نصر آل البيت، وهو مجاهد لأنه جاهد بالتيقّة»^(٣).

وتعكس المصادر الشيعية القديمة أن عموم الشيعة كانوا مع اضطهادهم الفكري السالف كانوا فقراء في المجتمع بالنسبة لمخالفهم. ففي كتاب علل الشرائع يعلى ابن بابويه القمي لماذا كان المهر في الزواج عند أبناء جلدته خمس مئة درهم، بينما المخالفون مهوورهم أربعة آلاف درهم^(٤).

وحقيقة الفقر في المجتمعات تصاحب الجهل والمرض غالباً. وينقل محمد باقر المجلسي في كتابه بحار الأنوار أحاديث تفيد عمومياً: أن المرض من صفات المؤمن^(٥).

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج١، ص ٦٠.

(٢) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج١، ص ١٠٧.

(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج٢، ص ١٧٧-١٧٨.

(٤) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج٢، ص ٢١٣.

(٥) المجلسي: بحار الأنوار: المجلد ص .

وما ذلك في الحقيقة إلا انتكاس للحالة الاجتماعية للشيعة في المجتمع الإسلامي: اضطهاد فكري، وفقير، ومرض. كما يذكر ابن بابويه القمي العلة التي من شأنها أن الرجل هو الذي يدفع المهر للمرأة في الزواج، قائلاً: لأنه يشتريها^(١).

والشيخ المفيد (محمد بن محمد بن النعمان الحارثي) مع أنه عربي الأصل من حارثة اليمن، ولكنه يمالئ بني بويه حكام العراق، فيذكر صفات المؤمنين في حديث منسوب للإمام، ورد بعضه: أن المؤمن أعجمي لأنه أعجم عن الدلام، والمؤمن فارسي لأنه يفرس في الإيمان^(٢).

رأي الشيعة في مخالفينهم

للشيعة مخالفون كثر، ولكن أهم المخالفين الذين يريدون في كتبهم هم (النواصب)، وهم الذين نصبوا الحيلة لتفويت الإمامة على علي بن أبي طالب، ثم من جاء بعدهم ممن لا يقر لهم بعقيدتهم، خاصة ما تعلق منها بولاية علي والأئمة الاثني عشر. وتوصل بعض الأحاديث مرتبة الناصب في بغضه أشد من الذمي غير المسلم، ففي حديث أورده الكليني عن الصادق: أن الشيعي إذا سلم على الذمي فليمسح يده بالحائط، أما إذا سلم على الناصبي فليغسلها^(٣). ويروون عن أئمتهم أن أول شهادة زور وقعت في الإسلام هي شهادتهم: أن صاحبهم مستخلف من رسول الله، وينقلون أن أصحاب علي مثل عمار بن ياسر وسلمان الفارسي استضعفوا فلم يسمع لهم، وينقلون أن سلمان قال: «استضعفوني، كما استضعف بنو إسرائيل هارون»^(٤).

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع. ج ٢. ص ٢١٥.

(٢) المفيد: الاختصاص. ص ١٤٣.

(٣) الكليني: الكافي، الأصول، ص ٦٥٨.

(٤) الكليني: الكافي، الأصول، ص ٦٨٧.

وتعكس بعض الأحاديث رأي المخالفين في الشيعة أنهم: «أشر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا»^(١).

ويستخدم علماء الشيعة تأويل أي القرآن ضد من يكرهون، ففي معرض تفسير الآية: ﴿وَيَوْمَ يَعْضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ قال علي بن إبراهيم القمي في تفسيره: (يعني) الأول (أبا بكر رضي الله عنه). (يا ليتني اتخذت مع الرسول علياً ولياً. يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً) يعني الثاني (عمر رضي الله عنه). وكان الشيطان يعني الثاني (عمر رضي الله عنه) للإنسان خذولاً^(٢).

وفي كتاب علل الشرائع لابن بابويه القمي ينقل روايات: أن النواصب أنجس من الكلاب ومن اليهود والنصارى حسب نقله^(٣). ونقل حديثين عن الأكراد، ونهى عن مخالطتهم، لأن أصلهم من الجن^(٤).

وينقل ابن بابويه عدة أحاديث عن الصادق أنه يفتي أتباعه الذين لا يجدون من يفتيهم في أمور دينهم في بلد ما إلا قصتين من العامة (السنة)، فيقول لهم: آت مفتي العامة واسأله عن المسألة، ثم خالفه فيها، فإن الحق ما خالفه^(٥).

ويصل الحقد على الناصب إلى إباحة قتله، ولكن بطريقة لا تثبت على قاتله. روى ابن بابويه حديثاً: «عن داود بن فرقد قال: قلت لأبي عبد الله (الصادق) ما تقول في قتل الناصب؟ قال: حلال الدم، لكني اتق عليك، فإن

(١) الكليني: الكافي، الأصول، ص ٧٠٨.

(٢) القمي: تفسير، ج ٢، ص ٨٩.

(٣) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج ١، ص ٣٤٠.

(٤) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج ٢، ص ٢٤٤.

(٥) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج ٢، ص ٢٤٨-٢٤٩.

قدرت أن تقلب عليه حائطاً، أو تغرقه في ماء، لكيلا يشهد به عليك فافعل. قلت: فما ترى في ماله؟ قال: توه ما قدرت عليه»^(١).

ومنذ القرن الثالث الهجري وعلاقة الشيعة بالترك غير حسنة، ربما لأن الترك لم يتقبلوا التشيع كتقبل الفرس والإيرانيين عموماً.

ففي كتاب الأمالي للشيخ الطوسي حديث منسوب إلى النبي يقول: «تاركوا الترك ما تركوكم، فإن أول من يسلب أمتي ملكها وما خولها الله لبنوقنطورين كركره وهم الترك»^(٢). وكراهية الشيعة للترك ربما جاءت من سيطرة الجيش العباسي التركي في سامراء، هذا من جهه، ومن جهة أخرى كراهية الفرس منذ القدم للعنصر التركي، والحروب التاريخية بين الطرفين معروفة، ولم ينتشر التشيع بين الترك إلا متأخراً وبين عناصر أكثرها غير تركية.

وينسب الطوسي قولاً إلى الإمام علي رضي الله عنه مفاده: أن النواصب أشر من الكلب^(٣). ومصادر الشيعة خاصة القديمة مليئة بالهجوم والرد على من خالفهم حتى من أئمتهم.

ومن أوائل ردود فعل الشيعة ضد أولاد الحسن بن علي بن أبي طالب نجد لها بعض الآثار في مصادر الشيعة القديمة بلا شك، تسجل الخلاف بين الفريقين. فريق اعتزل السياسة واقتدى بأبيه، الذي تنازل عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان كما هو معروف. وفريق استمر مقتدياً بأبيه الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه الذي ثار على يزيد بن معاوية واستشهد في كربلاء. فقد نقل المجلسي رواية عن الإمام الصادق: كنت

(١) ابن بابويه القمي: علل الشرائع، ج٢، ص٢٢٦.

(٢) محمد بن الحسن الطوسي الأمالي. بيروت ١٩٨١ م.

(٣) المصدر السابق ص ٢٧٩.

أنظر في كتاب فاطمة فليس فيه ملك إلا وفيه مكتوب اسمه واسم أبيه، فما وجدت لولد الحسن فيه شيئاً^(١).

وهذه مصادرة في الحال والمستقبل من أن يكون لأولاد الحسن بن علي أي حق في الإمامة والسلطان، وتذهب رواية أخرى إلى حد تصوير أولاد الحسن بأنهم أعداء لأولاد الحسين بن علي. ففي رواية وضعت على لسان الصادق قال: «ليس منا إلا وله عدو من أهل بيته، ف قيل: بنو الحسن لا يعرفون لمن الحق، قال: بلى، ولكنهم يمنعهم الحسد»^(٢) ولتخلي أولاد الحسن عن مقالة الشيعة المتعلقة بالإمامة، وخاصة تلك التي تحث على الوقوف ضد بني أمية، أو ربما وصل ببعض أولاد الحسن موالة الأمويين ومهادنتهم نجد إنكار هذا المسلك في روايات قديمة، منها ما روي عن ابن يعفور، قال: سمعت أبا عبد الله (الصادق) يقول: «لو توفى الحسن بن الحسن بالزنا والربا وشرب الخمر لكان خيراً مما توفى عليه»^(٣).

وحيث إن الشيعة افترقت بعد وفاة الإمام الحسين منها من قالت: إن الإمام بعده هو ابنه زيد، وله تنسب فرقة الزيدية كما أسلفنا، ومنهم من قال بإمامة ابنه علي، وهذا ما عليه الإمامية «الاثني عشرية»، ويتمثل رد فعلهم ضد الزيدية بما روي على لسان أحد الرواة أنه قد قيل لأبي عبد الله الصادق: إن ظفر زيد وأصحابه فليس أحد أسوأ حالاً عندهم منا^(٤). وهذه المقالة تبدو حال تحفز الإمام زيد بن علي على الثورة ضد الأمويين كما أوضحنا سالفاً.

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٨٦.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٨٦.

(٣) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٨٦ - ١٨٨.

(٤) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ٢٠٩.

والجارودية فرقة من الزيدية تنسب إلى أبي الجارود، كما أسلفنا في تفصيل ذلك عند بحث فرقة الزيدية، هؤلاء ورد ضدّهم وصمة عار بارتكاب الفاحشة من قبل أحد المنتسبين للجارودية، حيث تذهب الرواية إلى أن هارون بن رثاب له أخ جارودي سأل عنه أبو عبد الله الصادق، فقال هارون: إنه مرض لكن لا يقر بولايتكم زاعماً أنه يتورع، فرد أبو عبد الله: أين ورعه ليلة نهر بلخ؟ فلما رجع هارون لأخيه وأخبره... فقال: والله لم يعلم بها أحد غيري وكان مع رفيق له معه جارية قرب نهر بلخ، واحتاجوا ناراً فذهب صاحب الجارية يلتمس النار وأخوه هارون ارتكب الفاحشة بالجارية^(١).

وبعد وفاة الإمام جعفر الصادق اختلف الشيعة فيمن هو الإمام بعده فذهب بعضهم إلى أن ابنه محمد هو الإمام وهذه الفرقة تسمى الشمطية، وقال آخرون: بل ابنه عبد الله هو الإمام هؤلاء هم فرقة الفطحية، وقالت فرقة ثالثة: بل ابنه إسماعيل هو الإمام وتوقفوا في الإمامة عنده، وتنسب فرقة الإسماعيلية له، وكذلك فرقة المباركية، في حين كما هو معلوم أن الإمامية "الاثني عشرية" على الاعتقاد بإمامة ابنه موسى، فسموا بالموسوية أو المفضلية، ومنهم القطعية الذين قطعوا بإمامة موسى وأنه مات مؤكداً، ومنهم أيضاً الواقعة الذين قالوا بعدم وفاة الإمام موسى مؤكداً. وقد ذكرنا طرفاً من هذه المقالات في بابها، المهم هنا تسجيل رد الفعل السياسي لهذه الفرقة ضد الإسماعيلية؛ لأنه أقسى الجميع^(٢).

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٤٩.

وتسجل كتب الشيعة رد فعل ضد المرجئة والقدرية ولكن ليس بالقساوة الشديدة. انظر

المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثالث. ص ١٣، ص ١٧

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٧٩.

منها ما روي عن ابن أبي الوليد.. عن الوليد بن صبيح قال: جاءني رجل، فقال: تعالَ حتى أريك ابن الرجل، قال: فذهبت معه، قال: فجاءني إلى القوم يشربون فيهم إسماعيل بن جعفر فخرجت مغموماً... قال: فذكرت ذلك لأبي عبد الله فقال: «لقد ابتلي ابني بشيطان يتمثل في صورته»^(١). وهذا مخرج لطيف يحقق وصمة ضد الإسماعيلية ويبرئ الإمام الصادق وابنه ويلقي اللوم على الشيطان، وينقل المجلسي عن كتاب زيد النرسي وهو من الكتب القديمة رواية منسوبة لأبي عبد الله الصادق قال: «ناجيت الله ونازلته في إسماعيل ابني أن يكون من بعدي، فأبى ربي إلا أن يكون موسى ابني»^(٢).

كما تسجل مصادر الشيعة الإمامية رد فعل ضد فرق غير شيعية مثل المرجئة والقدرية. وتذكر المصادر أن أول من قال بفكرة الإرجاء هو شخص من آل علي، وهو محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب، حيث ذكر أنه كان يكتب إلى الأمصار بفكرة الإرجاء، التي من صلبها أن مرتكب الكبيرة لا يكفر، حيث إن الطاعات وترك المعاصي ليست من أصل الإيمان، فلا يزول الإيمان بزوالها^(٣).

وروى الكليني في كتابه «الروضة» رواية طويلة عن الإمام محمد الباقر جاء فيها قول الإمام: «اللهم العن المرجئة، فإنهم أعداؤنا في الدنيا والآخرة»^(٤).

وأورد المجلسي في كتابه البحار رواية عن سليمان بن رشيد مرفوعة إلى الإمام علي قال: «يحشر المرجئة عمياناً إمامهم أعمى، فيقول بعض من

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٨٥.

(٢) الحكيم. محسن الطببائي الحكيم. مستمسك العروة الوثقى. ج ١. ص ٣٧٤.

(٣) الشهرستاني. الملل والنحل. في هامش ابن حزم. الملل. ص ١٩١.

(٤) الكليني. الروضة. مطبوع مع أصول الكافي. ج ١٢. ص ٤١٨.

يراهم من غير أمتنا ما تكون أمة محمد إلا عمياناً، فأقول لهم: ليسوا من أمة محمد؛ لأنهم بدلوا فبدل بهم»^(١).

وسبب نقمة الشيعة على المرجئة أنهم يرون علياً بالدرجة الرابعة بعد الخلفاء الراشدين الثلاثة^(٢). كما أن فكرة الإرجاء خدمت الأمويين سياسياً، حيث إن معصية الخليفة الأموي لا تخرجه عن الإسلام.

ومثل هذا وأشد نجده ضد من يسمونهم النواصب، والأصل كما يبدو أن المعنيين بالنواصب الذين في اعتقادهم نصبوا واحتالوا على علي بأخذ الإمامة منه يوم السقيفة، ويخصون بذلك الخليفين أبا بكر وعمر، ثم اتسعت الدلالة على مر العصور وبفعل عوامل البغضاء السياسية إلى أن حصرها السيد محسن الطباطبائي الحكيم في المعاني الآتية:

- ١- إنه من نصب العداوة لأهل البيت.
- ٢- المتدين ببغض علي أو القادح في علي.
- ٣- من ينسب لأحدهم (ويقصد بذلك الأئمة) ما يسقط العدالة.
- ٤- من ينكر فضيلة الأئمة لو سمعها.
- ٥- من يعتقد بفضيلة غير علي.
- ٦- من ينكر النص بإمامة علي بعد سماعه أو وصوله إليه بوجه يصدقه^(٣).

وتتسع فكرة الناصب عند بعضهم إلى رواية موضوعة على فم الصادق رواها المعلى بن خنيس قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «ليس الناصب من

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثالث. ص ١٣.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ٧. ص ٥.

(٣) الحكيم: محسن الطباطبائي الحكيم: مستمسك العروة الوثقى. ج ١. ص ٣٧٤.

نصب لنا أهل البيت؛ لأنك لا تجد أحداً يقول: إني أبغض آل محمد ﷺ، ولكن الناصب من نصب لكم وهو يعلم أنكم تقولون بنا وتبرؤون من أعدائنا»^(١).

وعلى هذا التحديد فإن أبناء أهل السنة أو غيرهم إذا انطبق على أحدهم الأوصاف السالفة فهو من النواصب، وإلا فهو مسلم مخالف، وعادة ما يسمون في كتب الشيعة الإمامية بالمخالفين أو العامة وقد قال السيد محسن الحكيم: «المعروف بين أصحابنا إسلام المخالفين»^(٢) وفي تفسير الآية الكريمة ﴿عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ﴾ نقل المجلسي: أن المعنى هم الذين خالفوا دين الله وصلوا وصاموا ونصبوا لأمير المؤمنين... فلا يقبل شيء من أفعالهم^(٣). وفي رواية منسوبة للصادق: أن كل من ناصب وإن تعبد منسوبة لهذه الآية^(٤).

ومن أهم أحكام النواصب عند الشيعة الإمامية أنه لا يجوز تزويجهم. ففي رواية عن الفضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عن المرأة العارفة هل أزوجها الناصب؟ قال: لا، الناصب كافر^(٥). وفي رواية أخرى أنه قال: لا تناكحهم، ولا تأكل ذبيحتهم، ولا تسكن معهم^(٦). والحكم الثاني: أن الناصب نجس شأنه شأن اليهود والنصارى والغلاة والخوارج، فالجميع نجس لا يجوز تزويجهم أو الزواج منهم زواجاً دائماً. ومن المعروف أن الإمام علياً قد قاتل الخوارج، فورثت كتب الفقه ردود فعل ضدهم، فعن الفضل بن يسار قال: قلت لأبي عبد الله: إن لامرأتي أختاً عارفة على رأينا وليس على رأينا

(١) الحكيم. مستمسك. ج ١. ص ٣٧٠.

(٢) الحكيم. مستمسك. ج ١. ص ٣٧١.

(٣) المجلسي البحار. مجلد ٣. ص ٣٩٤.

(٤) المجلسي البحار. مجلد ٣. ص ٣٩٤.

(٥) الطوسي. تهذيب الأحكام (وهو شرح كتاب المقنعة للشيخ المفيد). ج ٧. ص ٣٠٣.

(٦) الطوسي. تهذيب الأحكام (وهو شرح كتاب المقنعة للشيخ المفيد). ج ٧. ص ٣٠٣.

بالبصرة إلا قليل، فأزوجها ممن لا يرى رأيها؟ قال: لا، ولا نعمة، إن الله عز وجل يقول: ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُمْ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَنْ هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾^(١).

كما يوردون خبراً مفاده أن علي بن الحسين كان تحتها امرأة شيبانية خارجية، فلما تبين له أنها تشتم علياً أخلى سبيلها^(٢).

وتقع كتب الشيعة الإمامية في مشكلة تبرير كيف أن الإمام علياً زوج ابنته لعمر وعثمان، وكذلك في تزويج النبي ﷺ ابنته إلى عمر وأبي العاص ابن الربيع؛ لأنهم في نظرهم من النواصب. فالبعض ذهب إلى أنه يجوز تزويج الناصب تقية، ويروون عن زرارة عن الإمام جعفر في تزويج علي ابنته أم كلثوم إلى عمر؛ أن ذلك فرخ غبنه. وعن هشام بن سالم عن الإمام جعفر قال: لما خطب إليه (خطب عمر أم كلثوم من علي) قال له أمير المؤمنين: إنها صبية، قال: فلقى العباس، فقال: ما لي أبي بأس؟ فقال: ما ذاك؟ قال: خطبت إلى ابن أخيك فردوني، أما والله لأغورن زمزم، ولا أدع لكم مكرمة إلا هدمتها، ولأقيم عليه شاهدين بأنه سرق، ولأقطعن يمينه. فأتاه العباس فأخبره وسأله أن يجعل الأمر إليه فجعله له^(٣). والبعض ذهب إلى أن أخبار تزويج النبي ﷺ ابنتيه إلى عثمان وأن الإمام علياً زوج عمر رضي الله عنه إنما هي أخبار آحاد لم تثبت أو أنه زوجه جنية تمثلت أم كلثوم.

وبعضهم ذهب إلى أن تزويج الرسول ﷺ إلى عثمان كان صحيحاً في وقته؛ لأن ذلك قبل إمامة علي رضي الله عنه^(٤). ورواية عن زرارة قال: إن ذلك جائز، حيث كان من امرأة نوح ولوط خيانة لهما^(٥).

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة. المجلد ٧. ج ١٤. ص ٤٢٤.

(٢) الحر العاملي: وسائل الشيعة. المجلد ٧. ج ١٤. ص ٤٢٥.

(٣) الحر العاملي: وسائل الشيعة. المجلد ٧. ج ١٤. ص ٤٣٣ - ٤٣٤.

(٤) عبد النبي الجزائري: المبسوط. ص ٩٥. ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٥) الحر العاملي: وسائل الشيعة. المجلد ٧. ج ١٤. ص ٤٣٠.

وعلى العموم، فهذا منزلق خطر يوسع الشقة بين المسلمين، وعائق كبير ضد وحدتهم ومستقبل قوتهم ضد أعدائهم، وإذا كنا نجد المبررات التاريخية القديمة في عدااء الشيعة للخوارج أو عدائهم من كان يسب الإمام علياً في العهد الأموي، فإن ذلك أمر انقضى، ولا يوجد بين ظهرانينا اليوم من يرى رأي الخوارج في علي ولا من يسبه. وتوسيع فكرة الناصب إلى أن تشمل كل من يعتقد بفضيلة غيره، أو ينكر النص عليه، كما هو نص العروة الوثقى أمر يحتاج إلى وقفة تصحيح من علماء الشيعة؛ لأن جمهور المسلمين ومنهم السنة يعتقدون بفضيلة أصحاب رسول الله ﷺ جميعاً، ومنهم علي، كما أنهم لا يرون أن الرسول ﷺ نص على كون الخلافة له من بعده. أما بقية الصفات المذكورة للناصب فلا أحد من المسلمين يعتقد بها، وترك هذا التصحيح يجعل الباب مفتوحاً لأصحاب الأغراض، ليس فقط لاستغلال ذلك لفرقة المسلمين، بل إلى الزيادة والكذب والتأويل إلى أن يتسع الخرق، فيصعب سده من أصعب المهمات، ولا شك أن كثيراً من رواة الشيعة - لأسباب في أنفسهم - تقولوا على الأئمة ما لم يقولوه، ودونته كتب الشيعة دون مناقشة وتمحيص؛ لأنهم يخافون من رد أي رواية عن الإمام، إلى درجة أن شيخاً مثل الكليني يورد روايات في الحال، حينما يشكل على الشيعة أمر فقهي لا يعلم الرأي فيه، فتقول هذه الروايات الموضوعة على لسان الإمام الصادق أن ينظر إلى العامة (المسلمين من غير الشيعة) فيخالفهم في المسألة التي أشكلت عليه «فإن الحق ما خالفهم»^(١).

والأعمال الصالحة يتقبلها الله من جميع المسلمين دونما تمييز بينهم، ولكن ترد رواية مرفوعة إلى الإمام الصادق أنه قال لمنصور بن الصقيل:

(١) الكليني. الأصول. ص ٣٩ عن زيد العقيدة. ص ٢٣٦.

يا منصور إن أكثرتم أو قللتُم فو الله لا يقبل إلا منكم^(١). وهذا من الشطط والضلّال.

إن إخفاء الشيعة لعقائدهم وكتبهم منذ صراعهم السياسي الأول مع مخالفهم ليس فقط حرمهم فرصة تنقيتها، وإنما يشجع الكثير من مريدهم على المبالغة والكذب، دون أن تنهياً لعلماء الشيعة الحرية أو القدرة على تنقيتها. إن الاضطهاد السياسي الذي تعرض له الشيعة طيلة حياتهم السياسية أوقعهم في دائرة مظلمة جعلتهم يخفون عقائدهم، وتزين الروايات لهم أن ذلك أحب عند الله. ففي رواية عن علي بن سابط قال: أخبرني بعض أصحابنا عن محمد بن مسلم قال: قال أبو جعفر: يا ابن مسلم، الناس أهل رياء غيركم، وذلكم أنكم أخفيتُم ما يحب الله ﷻ، وأظهرتهم ما يحب الناس. والناس أظهروا ما يسخط الله ﷻ، وأخفوا ما يحبه الله. يا ابن مسلم، إن الله ﷻ رأف بكم، فجعل المتعة عوضاً لكم عن الأشربة^(٢).

وفي تعليل لماذا أن الزنا جعل الشارع لثبوتة أربعة شهود، وفي القتل شاهدين على الرغم من أن القتل أفضح من الزنا، يأتي التأويل موضوعاً على لسان الإمام الصادق: «إن الله تبارك وتعالى أحل لكم المتعة، وعلم أنها ستكر عليكم، فجعل الأربعة شهوداً احتياطاً لكم، لولا ذلك لا أتى عليكم»^(٣).

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١١. ص ١٣٨.

(٢) الكليني. الروضة. مطبوع مع أصول الكافي. ج ١٢. ص ١٥٥-١٥٦. ومن الممكن أن تفهم هذه الرواية بأنها رد فعل لشيعة الكوفة ضد الأحناف الذين أحلوا شراب النبيذ كما هو معلوم من خلاف كتاب الفقه.

(٣) محمد بن بابويه القمي. من لا يحضره الفقيه. ص ٣٢٩. وانظر أيضاً كتابه (علل الشرائع). ص ٥٠٩. المكتبة الحيدرية.

وفي هذا إقتناع للمريدين أنهم دون سواهم على حق. وأن الشارع سبحانه وتعالى قد شرع الأحكام مراعيًا بذلك أفكارهم وعقائدهم.

وحتى لا يطلع الشيعة وخاصة أحداثهم على علوم غيرهم من المذاهب فيتأثروا بها، جمع لنا الحر العاملي ست روايات كلها تنهى عن سماع حديث (العامّة) ^(١). وهذا ينم عن خوف الشيعة على مريديهم من أن ينفضوا عنهم، كما يدل على عدم ثقة بما عندهم مقارنة بما لدى غيرهم.

وعند المجلسي في كتابه بحار الأنوار باب في فضائل الشيعة ذكر فيه أنهم: «هم أهل دين الله، وهم على دين أنبيائه، وهم على الحق، ولا يغفر إلا لهم، ولا يقبل إلا منهم».

وذكر روايات عن الأئمة بهذا المعنى منها ما رواه عن الإمام الحسين ابن علي: «ما أحد على ملة إبراهيم إلا نحن وشيعتنا وسائر الناس منها براء». وأخرى عن الإمام جعفر في حق من هم على غير التشيع، قال: «لا والله ما هم على شيء مما جاء به الرسول ﷺ إلا استقبال الكعبة فقط» ^(٢).

وتتفق عقول الملفقين عن آراء أريد بها استبقاء أفراد الشيعة على هذا الاعتقاد؛ لأنهم دون غيرهم على حق، وسيدخلهم الله الجنة، ويغفر لهم وإن زنى فرد منهم وسرق، كما في تلك الرواية الموضوعة على لسان الصادق ^(٣). وهذا خطأ فادح؛ لأن فيه تسهياً على المسلم الشيعي المتهاون في أحكام الله واقتراف الآثام، ما زال أنه مقيم على حب آل النبي ﷺ. وهذا ما هو واقع مع

(١) الحر العاملي. وسائل الشيعة. المجلد ٧. ج ١٥. ص ١٩٦.

(٢) المجلسي.. بحار الأنوار. المجلد ١٥. ص ١٠٣ - ١٢٦.

(٣) المصدر السابق. ١٣٢. ١٤٠.

الأسف، ليس في واقع اليوم، بل هو من القديم سجلته كتب الشيعة في رواية عن عبد الله بن كيسان، قال: قلت لأبي عبد الله (جعفر الصادق): جعلت فداك أنا مولاك عبد الله بن كيسان.. وإنني أخالط الناس في التجارات وغير ذلك، فأخالط الرجل فأرى له حسن السميت وحسن الخلق وكثرة الأمانة، ثم أفتشه فأفتشه عن عداوتكم، وأخالط الرجل فأرى منه سوء الخلق وقلة أمانته، ثم أفتشه فأفتشه عن ولايتكم، فكيف يكون ذلك؟ قال: فقال لي: أما علمت يا ابن كيسان أن الله أخذ طينة من الجنة وطينة من النار، فخلطها جميعاً ثم نزع هذه من هذه وهذه من هذه، فما رأيت في أولئك من هؤلاء من قلة الأمانة وسوء الخلق والزعارة مما مسهم من طينة النار، وهم يعودون لما خلقوا منه ^(١).

وهذا فيه معذرة لأفراد الشيعة العصاة؛ لأن هذا العصيان ليس منهم، إنما هو من طينة غيرهم، بل ورد ما هو أصرح من ذلك في رواية عن أبي إسحاق الليثي قال: قلت للإمام الباقر... يا ابن رسول الله، أجد في شيعة أمير المؤمنين ومن مواليكم من يشرب الخمر ويأكل الربا ويزني ويلوط ويتهاون في الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد.. فكيف هذا؟.. واني لأجد الناصب الذي لا شك في كفره يتورع من هذه الأشياء لا يستحل... فكيف هذا؟... فرد الإمام: إن الله مزج طينتك بطينتهم، ولو ترك طينتهم على حاله ما عملوا صالحاً ولا... فما تراه من شيعتنا من ربا وزنا ولواط وخيانة وشرب خمر وترك للصلاة والصيام... فهي كلها من عدو ناصب وسبغته ومزجه الذي مزج بطينته، وما رأيته في هذا العدو الناصب من الزهد والعبادة... فذلك كله من طين المؤمنين وسبغته ومزاجه، فإذا عرضت أعمال المؤمن وأعمال

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٥ ص ٢٤.

الناصب على الله يقول الله عز وجل: أنا عدل لا أجور وعزتي وجلالي.. ما أظلم مؤمناً بذنب مرتب من سبغ الناصب وطينته ومزاجه، هذه الأعمال الصالحة كلها من طين المؤمن ومزاجه. والأعمال الرديئة التي كانت من المؤمن من طين العدو الناصب يلزم الله تعالى كل واحد منهم ما هو من أصله وطينته.. فإذا كان يوم القيامة نزع الله من العدو الناصب سبغ المؤمن ومزاجه وطينته مع جميع أعماله الصالحة ويرده إلى المؤمن، وينزع الله من المؤمن سبغ الناصب ومزاجه وطينته و... مع جميع أعماله السيئة ويرده إلى الناصب عدلاً منه ويقول للناصب: لا ظلم عليك هذه الأعمال الخبيثة من طينتك ومزاجك أنت أولى بها، وهذه الأعمال الصالحة من طين المؤمن، وهو أولى بها^(١).

إن هذه إساءة بالغة ليس من قبل هؤلاء الرواة من الشيعة ضد مخالفينهم، ففي أمثاله الكثير في كتب الشيعة، ولكن في ذلك إساءة للتقياء والعلماء من الشيعة في كل عصر وزمان؛ لأنهم في هذا المنطق وتحت هذا المقياس يستوي الأخيار من الشيعة بأشرارهم، وتختلط الأمور على العقلاء، فينقادون إلى الجهلاء والمغرضين، وفي هذا تبعة ثقيلة على علماء الشيعة في تنقية هذه العقائد والتبرء من أصحابها بعد أن تجذرت في النفوس^(٢).

ونتساءل: من أين للشيعة هذه الأفكار؟ والجواب: هذه نجدها ومثيلاً لها لدى اليهود، وفي أقوال الحاخامات وشراح التلمود، وما نقلناه لا يعدو أن يكون نقلاً قام به الموالي الشيعة الذين هم على صلة بالأفكار اليهودية المنتشرة خاصة في المدائن عاصمة الدولة الفارسية التي كان فيها وجود يهودي رسمي في بلاط الشاهنشاه. جاء في تعاليم التلمود: «اعلم أن أقوال الحاخامات هي

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. ص ٢٨-٢٩.

(٢) الكليني. الأصول. ج ١١. ص ٢٨٠.

أفضل من أقوال الأنبياء»، وجاء أيضاً: «الإسرائيلي عند الله أكثر من الملائكة، وإذا ضرب أممي إسرائيلياً فكأنما ضرب العزة الإلهية ويستحق الموت. ولولم يُخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض ولما خلقت الأمطار والأرض. والفرق بين درجة الإنسان والحيوان كالفرق بين اليهود وباقي الشعوب»، وجاء أيضاً في تعاليم التلمود: «الأجنب (غير اليهود) كالكلاب، والأعياد المقدسة لم تخلق للأجانب... والكلب أفضل من الأجنبي؛ لأنه مصرح لليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس له أن يطعم الأجنبي...».

وخلق أرواح الشيعة المنزهة عن أرواح (العامّة) مشتقات تماماً من نص تعاليم التلمود القائلة: «تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من والده». وقد ذكر القرآن مقالة اليهود هذه بأنهم: «أَبْتَوُا اللَّهَ وَآحَبُّوهُ»^(١) إن من الأسباب التي جرت الويلات والمشكلات على الشيعة طيلة تاريخهم هي تلك الأفكار الخارجة عن تقبل المجتمع الإسلامي، وعدم ملاءمتها للفكر الذي يدين به المجموع، مما أوغر صدور الآخرين عليهم^(٢).

وقد أفرغت فكرة سب الصحابة عليهم السلام أحمد الكسروي الذي كان أستاذاً في جامعة طهران، وتولى قبلها مناصب قضائية عدة، فكتب نافياً صحة ما تردده المصادر القديمة من ارتداد أكثر الصحابة أو سبهم، وقد تعلق بأفكاره هذه بعض أبناء جيله وتلامذته، ويروى أن فعله لم يكن بسبب ديني، وإنما كان للاتجاه المادي ورفض كامل للدين عند جميع الفرقاء على السواء.

ومطلولات كتب الشيعة بعد أن تبحث أحكام النواصب على عمومهم، فإنها أيضاً تخص بالبحث الخلفاء الراشدين الثلاثة: أبا بكر وعمر

(١) د. محمد علي البار: المسيح المنتظر وتعاليم التلمود. ص ١١-١٢. الدار السعودية. ١٩٨٧ م.

وعثمان رضي الله عنه وتشتد في تكفير الاثنين؛ لأنهما في رأيهم هم أول النواصب الذين نصبوا حيلة في سقيفة بني ساعدة، حيث بايع عمر أبا بكر، وقال له: ابسط يدك أبايعك. فتسبب في ذلك مبايعة الناس لأبي بكر. وتصف رواية الكليني أن الناس ارتدوا عن الإسلام عند مبايعة أبي بكر إلا أربعة، وفي رواية: إلا ستة. وذكر منهم المقداد وسلمان وحذيفة.

وهذا شطط كبير في الحكم على جميع المسلمين، ومنهم صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم بالكفر؛ لأن الردة عن الإسلام كفر، وكيف يتم مثل هذا الإجماع على هذا الأمر القبيح في العقيدة، ولا يتنبه له إلا بضعة أفراد من الصحابة، وهذا طعن شديد على المسلمين والإسلام معاً ولا يمكن حصوله عقلاً.

ويبدو لي أن هذه الروايات وأمثالها في تكفير الصحابة وعلى الأخص الشيخين، وتلك التي تأمر بسبهما والبراءة منهما وضعها رواة الشيعة في مدة احتدام الصراع السياسي في العصر الأموي وما قبله من اقتتال بين أصحاب علي وأصحاب معاوية. وقد كانت الكيسانية وما تفرع عنها من فرق شيعية غالية قد توسعت في سب الصحابة خاصة بعد خروج المختار بن عبيد الله الثقفي.

إن مصادر الشيعة في أغلب الأحيان لا تورد اسم أبي بكر وعمر صريحاً حينما يتعلق الأمر بسبهما أو لعنهما أو تكفيرهما، وإنما تورد اسم كنايات أو إشارات مثل لفظة (الرجلين) أو (صنمي قريش) أو (الجبب والطاغوت) أو (فرعون وهامان)، وذلك حماية لنفس كاتبها وألا يتعرض للمساءلة. أما تلك المصادر التي كتبت في مدة ساد فيها التشيع، وأمن فيها المؤلفون من الشيعة، فقد يرد اسمهما صريحاً، كما في بعض المصادر التي كتبت في العصر البويهي أو الصفوي.

أورد الكشي في كتابه (الرجال) رواية أسند آخرها إلى داود بن النعمان، قال: دخل الكميث بن زيد الشاعر المعروف على الإمام الصادق، فأنشده... فقال الكميث: يا سيدي، أسألك عن مسألة.. ثم قال: أسألك عن الرجلين؟ فقال «يا كميث بن زيد، ما أهريق في الإسلام محجة من دم ولا.. إلا وذلك في أعناقهما إلى يوم قائمنا، ونحن معاشر بني هاشم نأمر كبارنا وصغارنا بسبهما والبراءة منهما»^(١).

وقد تأول المجلسي في كتابه (بحار الأنوار) قول الإمام الحسين لمنهال ابن عمرو: «وأصحابنا في قومنا مثل بني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا»... قال المجلسي: «فلما تقدم استدلال علي أن المراد بفرعون وهامان وجنوده أبو بكر وعمر وأتباعهما»^(٢).

وعند المجلسي في كتابه (البحار) (باب كفر المخالفين والنصاب)^(٣). حيث جعلهما في حكم واحد، وهذا خلاف ما عليه أكثر علماء الشيعة ومحققهم، والسبب في ذلك أن المجلسي كتب (البحار) في مدة احتدام القتال بين دولة الصفويين الشيعية ودولة الأتراك السنية، وهذا يفسر ورود اللعن صريحاً باسمي الشيخين في كثير من مواضع الكتاب، منها ما نقله المجلسي من كتاب (تقريب المعارف) لأبي الصلاح الحلبي (عن أبي علي الخراساني عن مولى لعلي بن الحسين قال: كنت معه في بعض خلواته فقلت: إن لي عليك حقاً إلا تخبرني عن هذين الرجلين عن أبي بكر وعمر؟ فقال: كافران، كافر من (أحبهما))^(٤). كما أورد المجلسي رواية عن أبي حمزة

(١) الكشي. رجال. الطوسي. اختيار معرفة الرجال. ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٣. ص ٢١٣-٢١٤.

(٣) المجلسي. البحار. المجلد ١٥ القسم الثالث. ص ١٤.

(٤) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثالث. ص ١٤.

الشمالي أنه سأل الإمام علي بن الحسين عنهما فقال: «كافران، كافر من تولاهما»، ثم قال: وتناقل الخبر عن علي بن الحسين ومحمد بن علي بن جعفر بن محمد من طرق مختلفة أنهم قالوا: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزيكهم، ولهم عذاب أليم: من زعم أنه إمام وليس بإمام. ومن جحد إمامة من الله. ومن زعم أن لهما في الإسلام نصيباً»^(١). ويروي المجلسي تعليلاً لما إذا سمي أبو بكر بالصديق وعمر بالفاروق عن الإمام الصادق: «أن الرسول ﷺ سمي أبا بكر بالصديق لما كشف الرسول ﷺ له أن يرى سفينة بني عبدالمطلب تضطرب، فلما رآها أبو بكر أضمر في نفسه أن الرسول ﷺ لساحر، فقال له الرسول ﷺ: صديق أنت».

وعمر سمي بالفاروق لأنه فرق بين الحق والباطل وأخذ الناس بالباطل^(٢). ومثل هذه الروايات كثيرة في كتب القدماء والمتأخرين من الشيعة، ولكن بالنسبة للباحث النزيه المتجرد من الهوى، لا يمكن له أن يفهم النص دون معرفة الظروف التي قيل فيها، ولكن مبدئياً ننزه أياً من الأئمة علي وبنيه من أن يقولوا مثل ذلك في أبي بكر وعمر، ولكن لا أستبعد أن يخرج ذلك من أتباع الشيعة، كما ذكرت إبان الفتنة الكبرى بين المسلمين في العصر الأول، فمن أحل أن يقتل يحل أن يشتم ويكفر من باب أولى؛ لأنه لم يقاتل إلا من اعتقد بخروجه عن الإسلام، وهذا شأن كثير ممن دخل في معركة الجمل وصفين والنهروان، جميعهم مسلمون، ولكن الكثير يشتم ويكفر بعضه بعضاً، منهم المتأولون ومنهم أصحاب الأهواء والأغراض السياسية، ففي حرب الجمل بين علي وعائشة ﷺ قال الراوي: وجعل

(١) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثالث. ص ١٤.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٥. القسم الثالث. ص ٢١٨-٢١٩.

يسير بي حتى أتينا عائشة رضي الله عنها، فسمعت سب عثمان رضي الله عنه علانية فبكيت، فقلت: لا أقيم في بلد يسب فيه عثمان رضي الله عنه علانية^(١).

ففي هذه المعارك الكبيرة التي قاتل المسلمون بعضهم بعضاً، أفرزت مقالات وحججاً لكل منهم ضد الآخر، استخدم فيها الجميع كل ما أوتي من برهان يصلح له تأويلاً من القرآن أو الحديث أو المنطق، ثم دخل في هذه الاحتجاجات أناس ورواة لا يخافون الله، كل همهم إرضاء السامع وبيع ذمهمم بأبخس الأثمان. فإذا كانت وقعة الجمل قد قتل فيها ما يزيد على خمسة عشر ألف قتيل فعليك أن تقدر عظم المأساة والقتلى في صفين والنهروان^(٢). وما نتج عن ذلك من تمزق وشتات بين المسلمين في مدة لم تكن بالقصيرة، فلما استقرت الخلافة إلى معاوية وتنازل له الحسن بن علي تنفس المسلمون الصعداء واستبشروا خيراً، وسموا ذلك العام عام الجماعة، حقنت فيه دماؤهم، وتصالحوها فيما بينهم، ولكن نتائج هذه الحروب ومآسيها صبت على رأس المنهزم الأخير، مهما قيل عن شرعية وجوده وقتاله، وهكذا ظهر تيار كبير في بداية العصر الأموي يعزو ما حدث للمسلمين للإمام علي وأتباعه.

روى الشيخ المفيد في أماليه أن رجلاً سأل ابن عباس عن علي، فذكره مادحاً إياه: «لم يشرك ولم.. ولم.. فقال الرجل: لم أسألك عن هذا، وإنما سألتك عن حمله السيف على عاتقه يخطاله ويختال به حتى البصرة، فقتل أربعين ألفاً، ثم سار إلى الشام فلقى حواجب العرب فضرب بعضهم بعضاً حتى قتله، ثم أتى النهروان وهم مسلمون فقتلهم عن آخرهم..»^(٣).

(١) الشيخ المفيد. الجمل. ص ١٧٨.

(٢) الفتنة ووقعة الجمل. رواية سيف الضبي. جمع أحمد راتب عرموش. ص ٢٤ وما بعده. بيروت ١٩٨٤م.

(٣) الشيخ المفيد. أمالي المفيد. ص ١٤٦.

وأدى الخصام السياسي بالأمويين إلى وضع أحاديث وروايات ضد علي وأصحابه^(١) كما قام العباسيون فيما بعد بوضع أحاديث في سب معاوية والأمويين^(٢) وهكذا فإن واقعة سب الإمام علي وأصحابه في العصر الأموي تثبتتها الكثير من المصادر غير الشيعية، سواء على المستوى الرسمي من قبل الأمراء الأمويين أم على المستوى الشعبي بعد أن شاع موضوع الشتم على الأفواه. ذكر المسعودي رواية تفيد أنه «لما حج معاوية طاف بالبيت ومعه سعد بن عباد، فلما فرغ انصرف معاوية إلى دار الندوة، فأجلسه معه على سرير، ووقع في علي عليه السلام، وشرع في سبه، فرجف سعد، ثم قال: أجلسني معك على سريرك، ثم شرعت في سب علي، واللّه لا أكون في خصلة واحدة من خصال عليّ أحب إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس»^(٣).

وبطبيعة الحال، فإن هذا الشتم كان يؤذي آل علي، فقد ذكر الطبري عن المنهال بن عمرو قال: دخلت على علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، فقلت: كيف أصبحت أصلحك الله؟ قال: ما كنت أرى شيخاً من أهل المصر مثلك، لا يدري كيف أصبحنا، فأما إذا ما تدري أو تعلم فأخبرك: أصبحنا في قومنا كمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون، إذ كانوا يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، وأصبح شيخنا وسيدنا يتقرب إلى عدونا بشتمه أو سبه على المنابر، وأصبحت قريش تعد أن لها الفضل على العرب؛ لأن محمداً منها....^(٤).

(١) الطبري. تاريخ. ج٢. ص ١١٢.

(٢) الطبري. تاريخ. ج ٣. ص ٢١٧ وما بعدها.

(٣) المسعودي. مروج الذهب. ج ٥. ص ٤٠. ابن عبدربه. العقد الفريد. ج ٤. ص ٣٦٦.

(٤) الطبري. المنتخب. ج ٣. ص ٨٩.

ولم يكن لآل علي حول ولا قوة للرد على خصومهم حينذاك. روى الطبري عن سالم مولى أبي جعفر قال: كان هشام بن إسماعيل يؤذي علي ابن الحسين وأهل بيته، يخطب بذلك على المنبر، وينال من علي، فلما ولي الوليد بن عبد الملك عزله وأمر به أن يوقف للناس، قال: فجمع علي بن الحسين ولده وحاشيته ونهاهم عن التعرض له^(١).

وفي رسالة الجاحظ المتعلقة بفضل هاشم على عبد شمس انتقاد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان حيث قال: «... حسبك من جهله أنه رأى من أبلغ التدبير في منع بني هاشم الخلافة أن يلعن علي بن أبي طالب على منابر، ويرمى بالفجور في مجالسه، وهذا قرة عين عدوه وعين وليه...»^(٢).

وذكر ابن عبدربه رواية تفيد أن محمد بن هشام حج سنة من السنين فنزلت رفقة بجانبه فيها رجل كبير، فقيل له: إنه عراقي من الكوفة فاستدعاه محمد بن هشام وأمره بلعن علي، فقال: أو ما ترضى مني بما رضي به من هو خير منك، فمن هو خير مني فيمن هو شر من علي؟ قال: وما ذاك قال: الله وهو خير منك في عيسى وهو خير مني في النصارى وهم شر من علي، إذ قال: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٣).

ورواية أخرى تذكر أن معاوية جالس ومعه الأحنف بن قيس (وهو من أصحاب علي) إذ دخل رجل من أهل الشام فتكلم وسب علياً فرد الأحنف: اتركوا علياً في قبره.. فقال معاوية: والله لتلعننه على المنبر، فأبى الأحنف فتركه معاوية^(٤). وأخرى تذكر أن معاوية أمر عقيلاً أن يلعن علياً، فقام

(١) الطبري. المنتخب. ج ١٣. ص ٨٩.

(٢) الجاحظ. آثار الجاحظ. ص ٢١٦. الطبعة الأولى ١٩٦٩.

(٣) ابن عبدربه. العقد الفريد. ج ٤. ص ٢٨.

عقيل على المنبر، فقال: إن أمير المؤمنين أمرني أن ألعن علياً فالعنوه لعنه الله. فقال معاوية: إنك لم تبين؟ فقال: الكلام على نية قائله^(١).

ويؤكد ابن عبدربه في العقد الفريد أن معاوية كان يلعن علياً على المنبر، وكتب إلى عماله في الأمصار أن يلعنوا علياً على المنابر، وقد فعلوا ذلك^(٢).

والخلفاء العباسيون على علم بما كان يفعله الأمويون في سب الإمام علي، فقد ذكر أن محمد بن عبد الله بن حسن (العلوي) لما خرج في المدينة على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور جرى بينهم كتب متبادلة احتج فيها محمد بن عبد الله بقرابته من رسول الله ﷺ وبأمور أخرى، فرد عليه المنصور، وكان مما ورد في قوله: «وابتلى بالحرب أبوك فكانت بنو أمية تلعنه على المنابر، كما تلعن أهل الكفر في الصلاة المكتوبة، فاحتجنا له وذكرنا فضله وعنفتناهم وظلمناهم فيما قالوا فيه»^(٣).

واستمرار السب لعلي زمن الأمويين جعل المجتمع يستمرئ مثل هذا العمل، ويقبل به، وقلما يحصل منكر لذلك، وذلك لغلبة السلطان. ذكر المسعودي في مروج الذهب: أن ابن عباس وقد كان أعمى في حينه سمع قوماً يسبون علياً، فقال لقائده: أدني منهم، ثم قال لهم: أيكم الساب لله؟ قالوا: نعوذ بالله قال: أيكم الساب لرسول الله؟ قالوا: نعوذ إليه، قال: أيكم الساب لعلي؟ قالوا: أما هذا فنعم، قال: أشهد أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: من سبني فقد سب الله، فمن سب علياً فقد سبني، فأطرقوا^(٤).

(١) المصدر السابق. ج٤. ص ٢٨.

(٢) المصدر السابق. ج٤. ص ٣٦٦.

(٣) المصدر السابق. ج٥. ص ٨٤.

(٤) المسعودي. مروج الذهب. ج٤. ص ٤٥١.

ويبدو أن ذلك لم يكن يحصل إلا من أهل الزلفى وأهل الجهالة أو من صغار لا يعلمون من هو علي بن أبي طالب. وقد ذكر أن سبب ميتة أبي العباس بن محمد أحمد الملقب بأبي العبر، وهو شاعر أحرق أنه كان هجاء، وقد خرج إلى أرض الكوفة، فسمعه بعض أهلها يقول في علي قولاً قبيحاً، فقتله هناك^(١).

ولما ولي الخليفة الأموي العادل عمر بن عبدالعزيز أمر بالكف عن سب علي بعدما أصبحت عادة، فمدحه الشعراء على ذلك، فقال فيه كثير عزة:

وليت فلم تشتم علياً ولم تحف برياً ولم تتبع مقالة مجرم

وقد أنكر الشاعر عبيد الله بن كثير السهمي على خالد بن عبد الله القسري وكان والياً للأمويين على مكة، وكان يسب علياً والحسن والحسين على المنبر. قال عبيد الله السهمي:

لعن الله من يسب علياً وحسيناً من سوقة وإمام

يأمن الطير والحمام ولا يأ من آل الرسول عند المقام

وينسب لعبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه كان يلعن علياً رضي الله عنه ويقول: إن علياً رضي الله عنه قتل جدي الزبير وعثمان^(٢).

(١) الأصفهاني. الأغاني. ج ٢٠. ص ٩٣ النسخة القديمة.

(٢) الجاحظ، فضل هاشم علي ابن عبد شمس. رسائل الجاحظ، ص ٢١٤-٢١٥. الطبعة الأولى.

١٩٦٩م.

ورأي الخوارج معروف في علي وعثمان عليهما السلام وهو أنهم يكفرونهما، ومن يتولاهما^(١). وكان السيد الحميري الشاعر المعروف من أبوين خارجيين، ولكنه يتشيع لعلّي فقال يهجو والديه:

لعن الله والديّ جميعاً ثم أصلاهما عذاب الجحيم
حكما غدوة كما صليا الفجر بلعن الوصي باب العلوم
لنا خير من مشى فوق ظهر الأرض أو طاف محرماً بالحطيم^(٢)

ويذكر المسعودي في أخبار عمر بن عبد العزيز أنه ترك لعن علي عليه السلام على المنابر وجعل مكانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ وأنه كتب إلى عامله على المدينة أن يقسم في ولده عشرة آلاف دينار.. وقال له: «... فطالما تعديتم حقوقهم»^(٣).

(١) يوضح هذا النهج للخوارج كتاب نافع بن عبد الله بن عبد الله زعيم فرقة الأزارقة، وهم من الخوارج إلى عبد الله بن الزبير يدعو إلى الأخذ برأي الخوارج، قال: «أما بعد: فإنني أحذرك من الله ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾..... فاتق الله ربك، ولا تتول الظالمين، فإن الله يقول: ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾»، وقد حضرت عثمان حين قتل، فلعمري لئن كان قتل مظلوماً لقد كفر قاتلوه وخاذلوه، ولئن قاتلوه مهتدين وإنهم لمهتدون - لقد كفر من يتولاه وينصره ويعضده. ولقد علمت أن أباك وطلحة وعلياً كانوا أشد الناس عليه، وكانوا في أمره بين قاتل وخاذل، وأن تتولى أباك وطلحة وعثمان... ولقد ملك علي بعده فتى الشبهات وأقام الحدود... فبايعه أبوك وطلحة ثم خالفاه ظالمين له، وإن القول فيك وفيهما لكما، قال ابن عباس: إن يكن علي في وقت معصيتكم ومحاربتكم له كان مؤمناً، أما لقد كفرتم بقتال المؤمنين وأئمة العدل. ولئن كان كافراً كما زعمتم وفي الحكم جائر لقد يؤتم بغضب من الله، لفراركم من الزحف ولقد كنت له عدواً...».

انظر الكامل للمبرد. ج ٣. ص ١٠٣٧. البابي الحلبي. مصر. ١٣٥٦ هـ.

(٢) السيد الحميري، ديوان شعر السيد الحميري، مكتبة الحياة، بيروت. ص ٣٩١-٣٩٣.

(٣) المسعودي. مروج الذهب. ج ٥. ص ٤١٩. ٤٢١.

وليس الشعر والشعراء وحدهم عكسوا الواقع الشائع المتعلق بلعن علي أو سبه، بل أيضاً مجالس القضاء قد شهدت أحكاماً في هذا الصدد. فقد ذكر القاضي وكيع في كتابه أخبار القضاة أن سالم بن إبراهيم بن أبي بكر ابن عياش نازع أحد الأشخاص في إمامة علي بن أبي طالب، فاتهمه خصمه بسب علي... فحدث إنكار لهذه الواقعة وطالب الناس بقتله.. ولكنه عوقب بالجلد ثلاثين جلدة، وكان محمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين حاضراً في مجلس هذه القضية^(١).

كما أن بحوث الفقهاء تناولت مسألة اللعن، وعما إذا كان داخلاً في الوعيد الذي ذكره الرسول ﷺ لمن يسب أصحابه، فقد ذكر ابن تيمية أن من لعن بعض السلف الصالح عدّ داخلاً في الوعيد وإن كان متأولاً^(٢).

ثم هل اللاعن يُعدّ فاسقاً؟ فإن كان فاسقاً بهذا يخرج من الإمامة أو القضاء؟ ذكر السرخسي وهو حنفي المذهب: أن الفسق لا يخرج صاحبه من الإمامة والسلطنة، فإن الأئمة بعد الخلفاء الراشدين قلما يخلو واحد منهم عن فسق، فالقول يخرج من أن يكون إماماً بالفسق يؤدي إلى فساد عظيم، ومن ضرورة كونه أهلاً للإمامة كونه أهلاً للقضاء...^(٣).

وهكذا يبدو أن واقعة سب الإمام علي في العصر الأموي لها دوافع سياسية واضحة، وكان عمر بن عبد العزيز أول خلفاء الأمويين الذي أوقف السب؛ لغلبة دينه وعدله على دوافعه السياسية. فقد حكى هو عن نفسه: أنه كان غلاماً يقرأ القرآن على شيخ من أولاد عتبة بن مسعود، فمر الشيخ بعمر

(١) وكيع. أخبار القضاة. ج٣. ص ١٩١-١٩٢.

(٢) ابن تيمية. رفع الملام. ص ١٢٣ - ١٢٤.

(٣) السرخسي المبسوط. ج٥. ص ٣٢.

يوماً وهو يلعب مع صبية يلعنون علياً، يقول عمر: فجئت إليه فأعرض عني، ثم قال: أنت اللاعن لعلي؟ قلت: نعم، قال: متى علمت أن الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم؟ فقلت: وهل علي من أهل بدر؟ ثم قلت: لا أعود. ثم ذكر عمر أنه كان يحضر الجمعة مع والده الذي يخطب على منبر المدينة، ويقول عن والده: إنه إذا مر على موضع لعن علياً من الخطبة تلعنهم، فكان يعجب لذلك، فسأله يوماً فقال له أبوه: إن من ترى من تحت منبري من أهل الشام وغيرهم لو علموا من فضل هذا الرجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد. قال عمر: فوقرت كلمته في صدري، فأعطيت الله عهداً لأغيرنه إن كان لي بهذا الأمر نصيب. وقد قال الشريف الرضي في حق عمر بن عبد العزيز:

أنت نزهتنا عن السب والقذف فلو أمكن الجزاء جزيتك^(١)

وما سلف من تحقيق اعتمادنا فيه على مصادر غير شيعية، أما مصادر الشيعة فتذكر موضوع لعن علي وسبه بشيء من المارارة، ولا تخلو من زيادات ومبالغات. ويعد من يشتم علياً في كتب الفقه الشيعية أنه ناصبي إلا أن يفعل ذلك تقية، وقلبه مستقر على محبة علي^(٢).

اعترف بعض محققي الشيعة أن الروايات الدالة على النصب وأحكامه السالفة روايات لم تصح أسانيداً، وإنها مخالفة للمشهور من الأصحاب، وإنها متعارضة فيما بينها^(٣).

(١) ابن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة. ج٤. ص ٥٨ - ٥٩.

(٢) المجلسي. البحار. المجلد ١٦. ص ٢٢٤ - ٢٣٦، الحر العاملي. وسائل الشيعة. مجلد ٧. ج ٤. ص ١٤٢٥.

ص ٤٢٥. ابن أبي الحديد. شرح نهج البلاغة. ج٤. ص ٥٨ - ٦٣، وكذلك انظر ج ٥. ص ١٣١.

(٣) الحكيم. المستمسك. ج ١. ص ٣٧٣.

الكَذَابُونَ عَلَى أئِمَّةِ الشَّيْعَةِ حَسَبَ رَوَايَةِ الْكَشِيِّ فِي الرِّجَالِ^(١) عَنْ ابْنِ

سَنَانٍ عَنِ الصَّادِقِ:

مَسِيلَمَةُ: يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَبَأٍ: يَكْذِبُ عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الْمَخْتَارُ: يَكْذِبُ عَلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثُمَّ ذَكَرَ الصَّادِقُ الْكَذَابِينَ:

الْحَارِثُ الشَّامِيُّ.

بَيَّانُ.

الْمَغِيرَةُ بْنُ سَعِيدٍ.

بَزِيفَا.

السَّرِيُّ.

أَبُو الْخَطَّابِ.

مَعْمَرُ.

بِشَارُ الشَّعِيرِيِّ.

حَمْزَةُ الْبَرِيدِيِّ.

صَائِدُ النَّهْدِيِّ.

وَقَدْ نَقَلَ أَبُو سَعِيدٍ نَشْوَانُ الْحَمِيرِيُّ (ت ٥٧٣هـ) فِي كِتَابِهِ الْخَوَرِ الْعَيْنِ

عَنْ أَبِي طَالِبٍ فِي كِتَابِ الدِّعَامَةِ: «أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَسَانِيدِ الْإِثْنِي عَشْرِيَّةِ

مَبْنِيَّةٌ عَلَى أَسَامٍ لَا مَسْمَى لَهَا مِنَ الرِّجَالِ...»^(٢). وَنَحَاوُلُ أَنْ نَسْتَعْرِضَ تِلْكَ

الْأَسْمَاءَ، وَنَلْقِيَ الضُّوْءَ عَلَى الدُّورِ الَّذِي قَامُوا بِهِ فِي النُّقْلِ وَالْكَذْبِ مِنْ جِهَةٍ،

وَمِنْ الْإِسْتِعَارَةِ مِنَ الْأَفْكَارِ الْيَهُودِيَّةِ.

(١) الْكَشِيُّ: رِجَالُ. ص ٢٥٧ - ٢٥٨.

(٢) الْمَصْدَرُ السَّابِقُ: ص ٣٠٧. ط ٢ عام ١٩٨٢، بِيْرُوت.